

# من نور القرآن

تفسير موضوعي يقتبس من القرآن الكريم والسنة الشريفة  
ما يلقي ضوءاً على قضايا عقائدية أو أخلاقية  
أو فكرية أو اجتماعية

الجزء الرابع

سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد اليعقوبي

دار الصادقين  
للطباعة والنشر والتوزيع  
النجف الاشرف / شارع الرسول ﷺ

٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م





## القبس القرآني

١١٦

(فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعملون) (الحجر: ٩٢-٩٣)  
تنمية الشعور بالمسؤولية

يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله (ﷺ) ويختار للقسم اسماً محبباً من اسمائه وهو (الرب) الذي تولى تربيته ورعايته والعناية به على اتم وجه وهي العناية التي لمسها رسول الله (ﷺ) في كل حياته واستشعر رفقها وحنانها وحبها، فالقسم بهذا الاسم يكون أدعى للاذعان والتسليم بهذه الحقيقة.

وهو سبحانه لا يحتاج الى قسم لتصديق كلامه (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) (النساء-١٢٢) وإنما يقسم تعالى لتأكيد القضية، وجلب المزيد من الاهتمام بها وإيقاظ المخاطبين من غفلتهم عن جدية هذا الأمر وواقعيته، وزاد في التأكيد باستعمال اللام ونون التوكيد.

(لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) فكل البشر سيقفون للسؤال والحساب أمام الله تعالى بلا استثناء (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصفات-٢٤) وهو تبارك وتعالى لا يسأل للاستفهام وطلب التعرف لأنه تعالى (قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق-١٢) (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (يونس-٦١) (وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا) (طه-٩٨) وإنما

(١) كلمة سماحة المرجع العقبوي (دام ظله) في ملتقى أساتذة الجامعات العراقية مساء يوم الخميس ١٦ شوال ١٤٣٧ الموافق ٢١-٧-٢٠١٦ وقد استضاف مركز عين للبحوث والدراسات المعاصرة أكثر من ستين أستاذاً وأستاذة جامعية على مدى ثلاثة أيام لمناقشة التحديات المعاصرة.

السؤال للإقرار والتبكيك وإلزام المسؤول نفسه وكشفه (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وهذا بذاته فيه الكثير مما يسمى بـ(وخز الضمير) والشعور بالخجل لظهور ما كان يخفيه الانسان من القبائح والتقصيرات (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (الطارق-٩) وكان عليه أن يلتفت حينما كان في الحياة الدنيا الى هذه الحقيقة ويعمل على أساسها بحذر وانتباه لا أن يضيع نفسه بسبب الغفلة وإتباع الاهواء والشهوات (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) (فصلت-٢٢).

وفي قوله تعالى (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عموم لكل ما عمل الإنسان، فالسؤال سيكون شاملاً لكل تفاصيل الحياة التي ستكون حاضرة وماثلة (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثية-٢٩) (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) (الكهف-٤٩) (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا) (آل عمران-٣٠) وسيكون الجزاء - مثوبة وعقوبة - بحسب العمل (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة/٧-٨).

والسؤال والاستفهام ما دام إقرارياً تبكيتياً فإنه قد لا يكون بتوجيه الكلام الى المسؤول كما هو المتعارف بل باستنطاق جوارحه واعضائه الشاهدة على أفعاله والحاضرة فيها (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور-٢٤).

وهذا الفهم يقدم وجهاً لحل الاشكال بين الآية التي نحن فيها وقوله تعالى (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) (الرحمن-٣٩) وهنا السؤال متحقق

لكن بالاستنتاج المذكور ولا يحتاج الى أن يسأل الانس والجان لفظياً عن أعمالهم لأنها ستكون حاضرة مع شهودها (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس -٦٥) (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) (الرحمن -٤١).

أمام هذه الحقائق (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (فاطر -٥) يكون حرياً بنا أن نستشعر هذه المسؤولية وان تكون حية في وجداننا وحاضرة في أذهاننا عند كل قول أو فعل وفي أي حال من أحوال النفس، فهذا الشعور بالمسؤولية هو أول ثمرة واستجابة لهذه الآية الكريمة تلبية لنداء الرب الكريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال -٢٤)، والآية تؤسس لحقل مهم من حقول علم التنمية البشرية الذي يحظى باهتمام واسع اليوم وهو الشعور بالمسؤولية.

وفي الخطوة التالية علينا أن نعي هذه المسؤولية ونتعرف على تفاصيلها ومجالاتها، لأن المعرفة أساس كل شيء، وإنما اخرج الانسان الى هذه الدنيا ليحصل هذه المعرفة ففي تفسير قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات -٥٦) نقل عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (خرج الحسين بن علي (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) على أصحابه فقال: أيها الناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبده فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه)<sup>(١)</sup> ولذا اكتسب العقل أعلى قيمة بين العبادات في الحديث (مَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: باب ٩ علة خلق الخلق .

وَجَلِّبْشِيءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ<sup>(١)</sup>.

والمسؤوليات الملقاة على عاتقنا في هذه الدنيا واسعة ومتشعبة وبتجاهات عديدة، سئل الامام علي بن الحسين (عليه السلام) (كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال أصبحت مطلوباً بثمان خصال: الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبى (صلى الله عليه وآله) بالسنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصدق العمل، ومملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب)<sup>(٢)</sup> فالحديث يحمل معاني الاشفاق والقلق والعطف على من يعيش هذه التجاذبات وعليه ان يؤدي هذه الاستحقاقات التي لا يعرف صعوبة النجاح فيها والخروج من عهدتها بالشكل الكامل الا مثل الامام السجاد (عليه السلام)، فما حال الناس الغافلين والمقصرين!؟

وهذه الاستحقاقات الثمانية تمثل الحد المشترك بين الناس والمسؤولية الشخصية لكل أحد، وتوجد بإزائها المسؤوليات العامة التي تضاف الى الانسان بحسب الموقع الذي يشغله والعنوان الذي يكتسبه فهي تختلف من شخص لآخر، فمثلاً حضراتكم أساتذة في الجامعات يتربى على أيديكم في كل سنة المئات من الطلبة الشباب فعليكم مسؤولية علمية في تزويدهم بكل ما ينفعهم من العلوم والمعارف ليكونوا متقنين للعلم الذي تخصصوا فيه وهذه المسؤولية تلزمكم بتقييمهم بدقة وعدم بخس حق أحد او تفضيل أحد على آخر بغير حق، ورد في

(١) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٨٧ ح ٢٠٢٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٥/٣٧.



الآثار أن صبيين ارتفعا -أي تخاصما- إلى الحسن بن علي في خط كتبه و  
حكماه في ذلك ليحكم أي الخطين أجود فبصر به علي فقال يا بني أنظر كيف  
تحكم فإن هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

وعليكم مسؤولية أخلاقية وفكرية وثقافية في توعية هذا الجيل وهم خام  
في مقتبل العمر وفي مرحلة تكوين شخصيتهم ورسم ملامح رؤيتهم للحياة،  
وليس عندهم في عائلتهم أو بيئتهم التي جاؤوا منها ما يساعدهم على ذلك، وانتم  
لكم من الهوية والرمزية والتأثير على الطلبة أكثر من أي شخص مؤثر آخر، فعليكم  
ترشيدهم وتوجيههم وتصحيح سلوكياتهم وعقائدهم وتحصينهم من التيارات  
الوافدة تحت عناوين مختلفة وهي جميعاً تهدف إلى تجريد الشباب من هويتهم  
الاصيلة، فلا بد من اعطائهم الجرعات المضادة لهذه الأوبئة والأمراض الفتاكة.

فالمسؤولية اذن شاقة ومعقدة وقد تقولون إن هذا صعب أن يفى الإنسان  
بكل هذه الالتزامات مع الاستحقاقات الثمانية التي وردت في حديث الإمام  
السجاد عليه السلام وأنا أشاطركم هذا الشعور، لكن هذه الصعوبة تذوب بالإخلاص لله  
تبارك وتعالى وبالتسامي عن الأنانية الشخصية والفئوية وبالهمة العالية والتفاني في  
العمل، واعلموا أن الألفاظ الإلهية والنفحات المعنوية تختصر لكم الطريق  
وتطوي المسافة وتقرب البعيد وتذلل العسير قال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ  
مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (وَمَنْ يَتَّقِ  
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا). (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُخْرِجْهُ  
مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا).

(الطلاق: ٢، ٤-٥).

وهكذا فقد تكفل الله تعالى بتيسير سبل طاعته والمعونة عليها كما في الآيات والروايات الكثيرة ومنها قوله تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات-٧) قال تعالى (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات-٢٢) وقال تعالى (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) (الإسراء-٣١).

وتوجد رواية تهديكم إلى الكثير من الحلول لمشاكلكم وتفتح لكم آفاق المخرج من التعقيدات التي تواجهكم، خصوصاً في الساحة العراقية التي غاصت في وحلها أرجل الكبار والصغار، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسئل مسألة إلا ونفشنا في روعه جواباً لتلك المسألة)<sup>(١)</sup>.

فلا يكفي إذن ان يتبوأ الانسان موقعاً مهماً بل عليه أن يفني باستحقاقه ويؤدي التزاماته أمام الله تعالى، استمع الى أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن هذه المسؤولية حينما رجعت اليه الأمة بعد إعراض (أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش)<sup>(٢)</sup>.

وإذا عجز الإنسان عن القيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه في موقع معين

(١) شرح الخطبة التطنجية لكاظم الحسيني الرشتي ج ٢

(٢) نهج البلاغة ص ١٤٦، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

- خصوصاً على مستوى الزعامة الدينية والسياسية - فليتجنب الموقع وليترك الفرصة لغيره، فإن حركة البشرية نحو التكامل لا تتوقف لموت أحد أو انسحابه من العمل ولا حاجة إلى أن يتمادى في جهله وظلمه لنفسه فيتقمص موقعاً ليس من أهله ويكفيه ما قال فيه خالقه: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب - ٧٢).

وقد يشعر الإنسان بالرضا عن نفسه أحياناً وبكونه ناجحاً في عمله ومؤدياً لواجباته عكس ما ينظر إليه الآخرون فلا يفهم سبب اعتراض الآخرين أو توبيخهم، وما ذلك - في بعض وجوهه - إلا لفقدانه القدرة على قياس درجة النجاح وضياع المعايير الصحيحة للتقييم عنده لأنه غافل عن ما يجب عليه الوفاء به من استحقاقات، ولو التفت إليها لعرف حجم تقصيره ولكنه ينظر إلى جهةٍ واحدة ويرى نفسه ناجحاً فيها و يعمم النتيجة.

### أيها الإخوة والأخوات:

إن الله تعالى خلقكم في زمان يغطكم عليه أهل الأجيال الأخرى كما نغبط نحن جيل الصحابة الذين عاشوا مع رسول الله (ﷺ) وبنوا بقيادته الحكيمة صرح الإسلام العظيم، فكان لهم بكل من اهتدى بنور الإسلام صدقة جارية توجب لهم المزيد من الأجر.

ونغبط أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) لأنهم صنعوا مستقبل الأمة إلى نهاية التاريخ وأرجعوا مسيرة الأمة إلى اتجاهها الصحيح وصانوها من الانحراف

والتزييف فلهم على كل مسلم فضل ومنة بموقف وقفوه عدة ساعات من النهار.  
 فعلينا أن نلتفت الى ان الله تعالى خلقنا في هذا المفصل التاريخي العظيم  
 الذي قُدِّر له أن يرسم المستقبل ليس للعراق فقط بل للمنطقة وللعالم، ولا  
 تؤثر عليه المعاناة والمصائب والفجائع التي يدبرها لنا اعداؤنا، فعلينا أن نحسن  
 الأداء (لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك-٢) وأن نؤدي وظائفنا المطلوبة على  
 أكمل وجه في هذا اليوم الذي له ما وراءه كما كانت تقول العرب وأن نشكر الله  
 تعالى على هذه الفرصة الثمينة ونحسن استثمارها.

ومن قبل نشكر الله تعالى انه خلقنا في زمان الإسلام والهدى، هذه النعمة  
 التي سجلها الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة (لم تخرجني لرأفتك بي  
 ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك  
 لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يسرني وفيه أنشأتني).

تصوّروا لو أن الله تعالى خلق أحدنا في زمان الجاهلية فما هي فرصة الهداية  
 في ذلك المجتمع الذي كان يعكف على عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر وقتل  
 النفس المحترمة، بحيث أن جعفر بن أبي طالب يشار إليه بامتياز عن المجتمع  
 المكي بانه ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية لندرة هذه الحالة، ويوصف  
 الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأنه (كرم الله وجهه) لأنه لم يسجد لصنم في  
 الجاهلية ومن هذه الأمثلة النادرة تعلموا حال الآخرين.

أقول: ما فرصة هداية الإنسان في مثل ذلك المجتمع وكم واحدٍ يمكن أن  
 يكون مثل سلمان الفارسي الذي ولد بأرض الفرس فلما بلغ عرف ضلال قومه

فراح يجوب البلدان بحثاً عن الحقيقة في بلاد الفرس والروم وارض العرب حتى  
اهتدى إلى رسول الله (ﷺ).

فهذه النعمة التي نرفل بها تضاف إلى نعمة عظيمة أن الله تبارك وتعالى  
اختارنا بلطفه وعطائه الابتدائي من بين الأجيال لتكون من هذا الجيل الذي كلفه  
برسم معالم المستقبل، كما اختار من قبل أصحاب رسول الله ﷺ وأصحاب  
الحسين (عليه السلام) (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)  
(فصلت-٤٦)، (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا  
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) (الأنعام-١٠٤).

## (وقفوههم إنهم مسئولون) (الصفات: ٢٤) صفات المسؤول<sup>(١)</sup>

روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم)<sup>(٢)</sup>. وعن امير المؤمنين قال: اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسئولون حتى عن البقاع و البهائم، و أطيعوا الله و لا تعصوه)<sup>(٣)</sup>.

اذن كلنا مسئولون، ولكن قد تختلف دائرة المسؤولية سعةً وضيقاً ولا يخلو احدٌ منها فانه مسؤول عن نفسه اولاً بتهذيبها وإصلاحها ثم عن اسرته وعائلته ثانياً وعن أصدقائه وزملائه في العمل وعن جيرانه وعن مجتمعه إذا كان في موقع المسؤولية السياسية او الدينية وهكذا الى ان تصل الى ولاية أمور الامة والمسؤولية العامة عن الناس وإدارة امورهم ورعاية شؤونهم.

وقد ذكرت الروايات الشريفة الصفات والخصائص التي ينبغي توفرها في المسؤول لينجح في عمله واداء وظيفته وليُعد محسناً عند الله تبارك

(١) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في تجمّع مرشدي قوافل الحجاج يوم الاثنين

٢٧/شوال/١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٨/١ .

(٢) صحيح مسلم: ٣/١٤٥٩/٢٠

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧

وتعالى فينال رضاه، ورأيها تركّز على صفة (الابوة) في المسؤول وأغلب الصفات المطلوبة في المسؤول - بأي مستوى كان - مندرجة في هذا العنوان بحيث ان النبي (ﷺ) اختار هذا العنوان ليصف به نفسه واخاه امير المؤمنين (عليه السلام) قال (انا وعلي ابن ابي طالب ابوا هذه الامة)<sup>(١)</sup>.

واقول لكم بصراحة ان اكثر صفة نفتقدها في الذين يتولون امراً ما صغيراً كان او كبيراً هي هذه الصفة وفقدانها سبب رئيسي لفشل عمل اكثر مؤسساتنا ليس فقط الرسمية بل حتى الخيرية والدينية والاجتماعية والثقافية.

روى الشيخ الكليني (قده) بسنده عن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال (قال رسول الله (ﷺ): لا تصلح الامامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم)<sup>(٢)</sup>.

وروى في نفس المصدر أنه (جاء الى أمير المؤمنين (عليه السلام) غسل وتين من همدان وحلوان فأمر العرفاء - أي المسؤولين ورؤساء اللجان - أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الازقاق يلحقونها وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلحقونها؟ فقال: إن الامام ابو اليتامى وإنما العقتهم هذا برعاية الاباء)<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الانوار: ٦/٣٦-٩ والتفاصيل في خطاب المرحلة ٦٤/٩.

(٢) اصول الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب: ما يجب من حق الامام على الرعية، وحق الرعية على الامام.

(٣) اصول الكافي (الجزء الاول من الطبعة الحديثة): ٤٠٦.

فما هي صفات وسلوكيات الوالد الرحيم التي ارادت الاحاديث الشريفة من كل مسؤول الاتصاف بها؟

اولاً: لنحققها في انفسنا ونعمل بها لأنها من مكارم الاخلاق ومحاسنها التي تنال بها الدرجات الرفيعة عند الله تعالى وهذا مما لا يلتفت اليه اكثر الناس ويغفلون عن هذه الوسيلة العظيمة المقربة الى الله تعالى، عن النبي (ﷺ) قال (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة) وعنه (ﷺ) قال (ما من شيء انقل في الميزان من حسن الخلق)<sup>(١)</sup> وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (ما يقدّم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه)<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: ولأننا محاسبون عليها كما نطقت به الآيات الشريفة، (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصفات: ٢٤) (فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الحجر: ٩٢-٩٣).

ثالثاً: ولناخذ دروساً في تربية الأبناء تربية صحيحة وفق تعاليم اهل البيت (عليهم السلام) وينبغي الالتفات الى ان بعض الصفات قد نعرضها من جانب مسؤولية الآباء في الاسرة ولكن لما طلبت الروايات المتقدمة من كل مسؤول يلي أمور مجموعة من الناس ان يكون كالوالد الرحيم لهم فعلينا تجريد هذه الروايات من خصوصياتها وتعميمها الى المسؤوليات الأخرى:

(١) ميزان الحكمة : ٣/١٣٤

(٢) الكافي ٢: ١٠٠ / ح ٤



١- الحب للولد او للرية إذا نظرنا الى المسؤولية الاجتماعية: عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال : (قال موسى بن عمران: يا رب، أي الاعمال أفضل عندك؟ فقال عز وجل: حبُّ الاطفال، فأني فطرتهم على توحيدى، فإن أمّتهم أدخلتهم برحمتي وجنتي)<sup>(١)</sup>.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (أحبوا الصبيان وارحموهم...)<sup>(٢)</sup>.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (نظر الوالد الى ولده حباً له عبادة)<sup>(٣)</sup>.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل ليرحم العبد لشدة حبه لولده)<sup>(٤)</sup> وفي الحقيقة فان الحب ينبغي ان يشمل كل الناس لانهم صنع الله تعالى وآثار قدرته والمحب يحب كل آثار محبوبه وما يرتبط به .

٢- الرحمة: قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتُلْنَاكَ لَآئِن فَضَّلْنَا لَمَّا وَوَلَاةَ مِصْرَ (وَأَشْعِرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ . وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا ، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمَّا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ)<sup>(٥)</sup> .

وفيما نحن فيه من علاقة الاب بأولاده، ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أحبوا

(١) البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٢٠٠، باب المحبوبات، ح ١٥.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٤٩.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ١٧٠، ح ١٧٨٩٤.

(٤) اصول الكافي، ج ٦، ص ٥٠.

(٥) جواهر البحار - كتاب الروضة: باب عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشر حين ولاه مصر

الصبيان وارحموهم...<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر حب الولد والرحمة به: تقبيله، وتفريجه، وإرضاءه، وإدخال السرور على قلبه، والمسح على رأسه، والنظر برحمة إليه...

عن رسول الله (ﷺ): (من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة)<sup>(٢)</sup>.

وعنه (ﷺ): (قبلوا أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجتين خمسمائة عام)<sup>(٣)</sup>.

وعنه (ﷺ) لما قبل الحسن والحسين، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم، فقال رسول الله: (ما علي إن نزع الله الرحمة منك)<sup>(٤)</sup>.

وكان رسول الله يقبل الحسن والحسين، فقال عيينة: إن لي عشرة ما قبلت واحدا منهم قط فقال: (من لا يرحم لا يُرحم)<sup>(٥)</sup>.

عن الإمام موسى الكاظم عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (ﷺ):

(إذا نظر الوالد الى ولده فسرّه، كان للوالد عتق نسمة، قيل: يا رسول الله،

(١) الكافي ج ٦/ص ٤٩.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٩.

(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٢٠.

(٤) مكارم الاخلاق ص ٢٢٠.

(٥) وسائل الشيعة، ج ٢٧٦٥٧.

وإن نظر ستين وثلاثمائة نظرة؟! قال: الله أكبر<sup>(١)</sup>.

وكان النبي إذا أصبح مسح على رؤوس ولده وولد ولده<sup>(٢)</sup>.

عن الإمام علي (عليه السلام): (قبلة الولد رحمة)<sup>(٣)</sup>.

وعن رسول الله لما خرج على عثمان ابن مظعون ومعه صبي له صغير يلثمه، قال له: (ابنك هذا؟ قال نعم. قال: أتجبه يا عثمان؟ قال إي والله يا رسول الله، إنني أحبه! قال (صلى الله عليه وسلم): أفلا أزيدك له حباً؟ قال: بلى، فذاك أبي وأمي! قال (صلى الله عليه وسلم): إنه من يرضي صبياً له صغيراً من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى<sup>(٤)</sup>.

٣- التغافل: وغيض النظر عما فعل وكأنك لم تعلم بما صدر منه من خطأ

لكن مع الانتباه والمراقبة لما يفعل من طرف خفي.

وقد ورد هذا المعنى في بعض روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن أمير

المؤمنين (عليه السلام) قال (إن العاقل نصفه احتمال، ونصفه تغافل)<sup>(٥)</sup>.

وعنه (عليه السلام) قال: (أشرف أعمال - أو أحوال - الكريم غفلته عما يعلم)<sup>(٦)</sup>.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (صلاح حال التعايش والتعاشر ملء

(١) مستدرک الوسائل ج ١٥ / ص ١٦٩، ح ١٧٨٨٦

(٢) عدة الداعي، ص ٨٧

(٣) مكارم الاخلاق، ص ٢٢٠

(٤) كنز العمال ح ٤٥٩٥٨

(٥) غرر الحكم: ٢٣٧٨

(٦) نهج البلاغة / الحكمة ٣٢٣

مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل) (١).

وعن الامام علي ابن الحسين السجاد (عليه السلام) قال : (اعلم يا بني ان صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين : اصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلثاه فطنه وثلثه تغافل ، لان الانسان لا يتغافل الا عن شيء قد عرفه ففطن له) (٢).

٤- المداراة واللين والرفق بهم، وهو أدب عام من آداب المعاشرة مع الناس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض) (٣) وعنه (صلى الله عليه وآله): (مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش) (٤) وعنه (صلى الله عليه وآله) (إن الله رقيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف) (٥).

فالرفق من صفات الله تعالى، ومقتضى التوحيد العملي - كما في المصطلح - أن يتخلق الانسان بأخلاق الله فيكون رقيقاً، ويترك العنف والغلظة في الأفعال والاقوال على الخلق في جميع الأحوال، سواء صدر عنهم بالنسبة اليه خلاف الآداب او لم يصدر.

(١) تحف العقول ص ٣٩٣

(٢) الخزاز القمي / علي ابن محمد ، كفاية الاثر ص ٢٤٠ . تحقيق عبد اللطيف الحسني ، انتشارات

بيدارن مطبعة الخيام قم ١٤٠١ م

(٣) الكافي: ١١٧/٢.

(٤) الكافي: ١١٧/٢.

(٥) الكافي: ١٢٠/٢.

وروي عنه قوله (ﷺ): (خذوا بالناس الميسر ولا تملوهم)<sup>(١)</sup>.  
 وعن رسول الله (ﷺ) قال: (إن الله يحب الرفق، ويعين عليه)<sup>(٢)</sup>.  
 وعنه (ﷺ): (لو كان الرفق خلقاً ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه)<sup>(٣)</sup>.  
 وعنه (ﷺ): (إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم  
 الخير)<sup>(٤)</sup>.

وعن الامام جعفر الصادق (عليه السلام): (من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من  
 الناس)<sup>(٥)</sup>.

وكان آخر ما اوصى به الخضر، موسى بن عمران (عليه السلام) أن قال له (وإن  
 أحب الأمور الى الله عز وجل ثلاثة....الرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في  
 الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيامة)<sup>(٦)</sup>.

وهو من آداب الدعوة إلى الله تعالى وإلى الخير والأمر بالمعروف  
 والنهي عن المنكر: قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم موسى وأخاه هارون  
 (عليهما السلام): [اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ]

(١) كنز العمال، ح ٥٣٩٣.

(٢) الكافي، ن، م، ح ١٢.

(٣) الكافي، ن، م، ح ١٣.

(٤) الكافي، ن، م، ح ٧.

(٥) الكافي، ن، م، ح ١٦.

(٦) الصدوق، الخصال، ص ١١١.

(طه:٤٣-٤٤)، وهذا الأدب له آثار نفسية واجتماعية كبيرة<sup>(١)</sup> ويزيد من فرص التأثير والترغيب، أما الشدة والغلظة فتوجب النفور والعناد<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (النحل:١٢٥) وقال تعالى: [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] (فصلت:٣٤).

ويتأكد هذا الادب في علاقة الوالدين بالأبناء.

٥- العفو عنه : بمعنى عدم معاتبته ولا معاقبته او توبيخه، وقد اكد القران الكريم والنبى (ﷺ) في منهاجه على مبدأ العفو في العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة وخارجها بشكل عام.

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

(١) من الفوائد المرتبطة بالآية ما رواه الشيخ (قدس سره) في التهذيب بسنده عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه قال: (إن الحرب خدعة.. واعلم أن الله عز وجل قال لموسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حين أرسله إلى فرعون: [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على الذهاب) (التهذيب: ٢٩٩/١٦٣/٦)، قال تعالى: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ] (النساء:١٤٢) - أي مجازيهم بالخداع -.

والخداع كما عن مفردات الراغب: (إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يديه على خلاف ما يخفيه) والمكر: (صرف الغير عما يقصده بحيله وهو محمود ومذموم بحسب ما يراد منه، والاستدراج والإمهال من مكر الله).

(٢) هذا بحسب الغالب أو بحسب ما يناسب مع مراعاة المراتب وبعضها غليظ كما هو واضح، كما عبر الشاعر بقوله:

ووضع الندى في موضع السيف في العلا      مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع الندى.

رَحِيمٌ ﴿[النور: ٢٢] فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

فالله تعالى رغم قدرته على العقاب وصف نفسه بانه عفو، ونحن مأمورون بان نتأدب بأدب الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠] ونتخلق بأخلاقه أي اسمائه الحسنی (تخلقوا بأخلاق الله)<sup>(١)</sup> فقيما ناجى الله تعالى به نبي الله عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (طوبى لك ان اخذت بأدب الهك)<sup>(٢)</sup>.

عن رسول الله (ﷺ): (رحم الله من اعان ولده على بره، وهو ان يعفو عن سيئته ويدعو له فيما بينه وبين الله)<sup>(٣)</sup>.

٦- المشاورة والمشاركة في الرأي، قال تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: ١٥٩) ولأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عشرات الكلمات في المشاورة<sup>(٤)</sup> منها قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (الشركة في الرأي تؤدي الى الصواب) (غرر الحكم: رقم ١٩٤٢) و(حق على العاقل أن يضيف الى رأيه رأي العقلاء، ويضم الى عمله علوم الحكماء) (رقم ٤٩٢٠) و(من شاور الرجال شاركها في عقولها) (رقم ٨٦٥٢) و(ما استنبط

(١) الجامع الحديثي الثانوي كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

(٢) الكافي: ج ٨/ ص ١٣٥.

(٣) الحلبي احمد ابن فهد عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ٨٦ مؤسسة الرسول الاعظم ، العراق ط ١ م ٢٠١٠.

(٤) هداية العلم في تنظيم غرر الحكم: ٣١١.

الصواب بمثل المشاورة) (رقم ٩٥٢٧) وعلى صعيد العلاقة مع الولد فقد قيل في المثل العامي (إذا كبر ابنك خاويه) أي أجعل ابنك أخاً لك إذا بلغ الرشد. وعن ابي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : (عليكم بالعفو ، فان العفو لا يزيد العبد الا عزا، فتعافوا يعزكم الله) (١).

فعلى المسؤول والمربي والمؤدب ان لا يلجأ الى استعمال اسلوب العقوبة مباشرة، بل يوازن بين اسلوب العفو و اسلوب العقوبة، فلعل اسلوب العفو عن العقوبة على السلوك غير المرغوب فيه يكون له فائدة اشد تأثيراً في العملية التربوية.

٧- بر الولد واعانته على البر: عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : (قال رجل من الانصار للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من أبر؟ قال : والديك . قال قد مضيا . قال: برّ ولدك) (٢). وعن يونس بن رباط، عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (رحم الله من اعان ولده على بره، قال : قلت : كيف يعينه على بره؟ قال : يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به) (٣).

(١) الكافي : ج ٢ / ص ١٠٨

(٢) الكافي ج ٦ ، ص ٤٩

(٣) الطوسي محمد بن الحسن ، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة ج ٨ / ص ١١٣ ح ٣٩٠ تحقيق الموسوي الخرساني ، دار الكتب الاسلامية طهران، ١٣٦٥ هـ شرح مفردات الحديث (لا يرهقه): أي لا يسهفه عليه ولا يظلمه من الرهق محرّكة او يحمل عليه ما لا يطيقه. و(الخرق) بالضم: الحمق والجهل أي لا ينسب اليه الحمق.



وعن رسول الله (ﷺ) قال: (رحم الله والداً أعان ولده على البر)<sup>(١)</sup>.  
وهكذا ينبغي للمسؤول اعانة رعيته على بُره وطاعته من خلال أدائه  
لمسؤولياته كما ينبغي.

٨- التصابي معه: فقد وجدنا الأحاديث الشريفة تحت الوالد على اللعب مع  
الطفل، والتصابي معه، بمعنى النزول الى مستوى مدارك الطفل الحسية والحركية  
وتعامل الاب معه كأنه صبي مثله.

عن رسول الله (ﷺ): (من كان عنده صبي فليتصاب له)<sup>(٢)</sup>.

وعن الامام علي (عليه السلام): (من كان له ولد صبا)<sup>(٣)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال: دخلت على النبي، والحسن والحسين  
على ظهره، وهو يجثو لهما، ويقول: (نعم الجممل جملكما، ونعم العدلان)<sup>(٤)</sup>  
انتما)<sup>(٥)</sup>.

وعن سعد بن ابي وقاص: دخلت على رسول الله (ﷺ) والحسن والحسين  
يلعبان على بطنه فقلت يا رسول الله أتجبهما فقال ومالي لا أحبهما وهما

(١) مستدرک الوسائل، ج ١٥ / ص ١٦٨ / ح ١٧٨٨٥

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ٤٨٣، ح ٤٧٠٧

(٣) الكافي ج ٦ / ص ٥٠

(٤) العدلان مثني العدل وهو نصف الحمل على احد شقي الجممل وسميا ب الك لتساويهما

(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل ابي طالب ج ٣ / ص ١٥٨ تحقيق لجنة اساندة من  
النجف الاشرف المطبعة الحيدرية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦ م والطبراني، سليمان بن احمد المعجم الكبير  
ج ٣ / ص ٥٢، تحقيق عبد المجيد السلفي، دار احياء التراث العربي ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

ريحاتناي) (١).

و عن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع رسول الله (ﷺ) العشاء، فإذا سجد، وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه، أخذهما بيده من خلفه أخذًا رفيقًا، ويضعهما على الأرض، فإذا عاد، عادا، حتى إذا قضى صلاته، أقعدهما على فخذه... (٢).

وإذا اردنا نقل هذا المعنى الى الحالة العامة فنفهم منها رفع الحواجز بين المسؤول والناس ومشاركة الناس في فعاليتهم ومشاركتهم همومهم وافراحهم واحزانهم ولا نقصد بالحواجز المادية فقط وانما المعنوية اي بجعل الحواشي والحجّاب المانعين من وصول المظلومين والمحتاجين والبوح بمطالبهم من دون اي حزاة وقد يكون الحجاب بايجاد (اتكيت) او (برستيج) خاص كالتي كانت تعرف في زمن الامويين والعباسيين (رسوم دار الخلافة) وألقت الكتب فيها، تعرف احياناً في اوساطنا بالشأنية، فهذه كلها من مبتدعات الحكّام وليست من خصال الانبياء (عليهم السلام) والائمة وورثتهم من العلماء الصالحين، حيث لم يميّز احد منهم نفسه عن الناس كما وصف احدهم امير المؤمنين بقوله (كان فينا كأحدنا).

١- العدل والمساواة بينهم : عن النبي (ﷺ): (... اتقوا الله واعدلوا بين

(١) الهيثمي - المصدر: مجمع الزوائد - الصفحة أو الرقم: ١٨٤/٩ خلاصة حكم المحدث: رجاله رجال الصحيح.

(٢) (حم) ١٠٦٦٩، انظر الصحيحة: ٣٣٢٥، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

اولادكم...<sup>(١)</sup> .

وعنه (إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك عليهم من الحق أن يبروك)<sup>(٢)</sup> .

وعنه : (ساووا بين اولادكم في العطية)<sup>(٣)</sup> .

وعنه : (إن الله تعالى يحب ان تعدلوا بين اولادكم حتى في القُبل)<sup>(٤)</sup> .

وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : نظر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى رجل له ابنان، فقَبِلَ احدهما وترك الآخر ، فقال له النبي : فهلا واسيت بينهما؟<sup>(٥)</sup> .

وعن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : (من كان له ابنة، فلم يؤذها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها ادخله الله الجنة)<sup>(٦)</sup> .

وعن سعد بن سعد الاشعري قال : سألت ابا الحسن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ... (فقلت جعلت فداك، الرجل يكون بناته احب اليه من بنيه؟ قال الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

البنات والبنون في ذلك سواء، انما هو بقدر ما ينزلهم الله عزّ وجلّ منه)<sup>(٧)</sup> .

وتطبيقه ان من يلي امر مجموعة من الناس عليه ان يعدل بينهم فلا يحابي او

(١) كنز العمال ، ج١٦ ص٤٤٥ .

(٢) كتاب السنن الكبرى - عن ابي داوود .

(٣) كتاب حديث خالد بن مرداس السراج / حديث ١٢ .

(٤) ميزان الحكمة - ج٤/ ص٣٦٧٣ .

(٥) من لا يحضره الفقيه ج٣/ ص٤٨٣ .

(٦) عوالي اللئالي، ج١، ص١٨١ .

(٧) الكافي ج٦ / ص٥١ .

يجامل او يقرب هذا وذاك لانه ذو مال او جاه او موقع ونحو ذلك.

١٠- الاكرام والاحسان والتآلف : عن النبي (ﷺ) قال : (اكرموا

اولادكم، واحسنوا آدابهم)<sup>(١)</sup>.

وعنه قال : (رحم الله عبداً أعان ولده على بره بالإحسان اليه، والتآلف له

وتعليمه وتأديبه)<sup>(٢)</sup>.

١١- الشفقة : عن الامام علي (عليه السلام) قال : (يجب عليك ان تشفق على

ولدك اكثر من اشفاقه عليك)<sup>(٣)</sup> وهي مطلوبة في التعامل مع جميع الخلق،

في الحديث القدسي (الخلق عيالي فاحبهم اليّ اشفقهم على عيالي)<sup>(٤)</sup>.

وهي منزلة عظيمة ينالها الانسان حيث يكون أحبّ الخلق الى الله تعالى

بكرة شفقتة على الخلق، والخلق لا تقتصر على الانسان بل تشمل

الحيوانات والحشرات وكل شيء من خلق الله تعالى .

١٢- الوفاء بالوعد: عن رسول الله (ﷺ): (أجبا الصبيان، وأرحمهم،

وإذا وعدتموهم شيئاً فوفوا لهم، فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم)<sup>(٥)</sup>.

وعن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا

(١) مستدرك الوسائل ج ١٥/ص ١٦٧، ح ١٧٨٨٣

(٢) مستدرك الوسائل ج ١٥/ص ١٦٧، ح ١٧٨٨٦

(٣) شرح نهج البلاغة : ج ٢٠ / الحكم المنسوبة الى امير المؤمنين (عليه السلام) ح ١٥٢

(٤) دعائم الإسلام ج ٢ ص ٣٢٠ ح ١٢٠٧. وشرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٣٤٠ الرقم ٨٩٣

(٥) الكافي ج ٦، ص ٤٩

واعد أحدكم صبيه فلينجز)<sup>(١)</sup>.

وعنه (عَلَيْهِ) ،قال: (لا يصلح من الكذب جدُّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له، إن الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار.....)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الحسن (عَلَيْهِ) ،قال: (إذا وعدتم الصبيان فوفوا لهم، فإنهم يروُن أنكم الذين ترزقونهم، إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان)<sup>(٣)</sup>.

وهكذا المسؤول عليه ان يفي لرعيته بوعوده التي قطعها على نفسه ولا يجعلها خديعة ليعطيه الناس اصواتهم ثم يدير ظهره لهم بعد تحقيق مبتغاه .  
١٣- ايثارهم على النفس قال تعالى (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر/٩) فالأبوان يجوعان ليشبعا أطفالهما ويهجران لذيد النوم من اجلهم ويشقيان في الحياة من اجل اسعادهم وهكذا يكون المسؤول كالوالد الرحيم للرعية وهذه الخصلة مما وصفت به السيدة الزهراء (عَلَيْهَا) امير المؤمنين في خطبتها قالت : عَلِيُّ عَنْهُ عَلَيْهِ (ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل)<sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الوسائل ، ج ١٥، ص ١٧٠، ح ١٧٨٩٣

(٢) الصدوق / الامالي ، ص ٥٠٥ ح ٦٩٦ تحقيق قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة، طهران ط ١٤١٧هـ

(٣) الكافي ج ٦، ص ٥٠

(٤) الاحتجاج: ١٣٩/١

- ١٤- ومن صفات المسؤول: سعة الصدر في الحديث الشريف عن امير المؤمنين (عليه السلام) (آلة الرئاسة سعة الصدر)<sup>(١)</sup> .
- ١٥- ومن لوازم موقع المسؤولية النصيحة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال : (طلبت الرئاسة فوجدتها في النصيحة لعباد الله)<sup>(٢)</sup> .

---

(١) نهج البلاغة / الحكمة ١٧٦

(٢) مستدرک الوسائل : ١٢/١٧٣ / ح ١٣٨١٠

## القبس القرآني

١١٨

## [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] (١) (الأعراف: ١٦)

هذا واحد من التهديدات التي أطلقها إبليس في جداله مع ربّ العزة والجلال كردّ فعل على طرده من الجنة ومن صفوف الطائعين المرضيين عند الله تبارك وتعالى بسبب استكباره وتمرده عن السجود لآدم الذي كان يمثل النوع الإنساني المستخلف في الأرض، فعزم على الانتقام من الإنسان حسدا له ولأنه كان موضوع الابتلاء والامتحان الذي فشل فيه حيث تصرّح الآية أن السبب الذي برّر به غوايته لبني آدم وسوقهم إلى الضلال أن الأمر بالسجود لهم كان سبب طرده من رحمة الله تعالى [قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] والباء سببية.

وعلى اثر ذلك اطلق سلسلة من التهديدات والعمليات الانتقامية إلى يوم الوقت المعلوم، ومنها ما ذكرته الآية الشريفة، بأن يترصد لهم ويلاحقهم ويمكر بهم حتى يغويهم ويضلّهم كما غوى هو وضل بسوء اختياره، ويسلب منهم نعمة الاستقامة على صراط الله تعالى .

وزيادة في المكر والتلبس فإنه يقعد لهم على الصراط المستقيم حتى لا يتوقعوا منه الشر والسوء، وقد عبّر بلفظ (العود) المتضمن ثني بعض أجزاء

(١) الخطبة الأولى التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه الشريف)

لصلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/١٢ م.

الجسم للدلالة على قصد الاعوجاج المنافي للاستقامة، لذا أخبرنا الله تعالى بهذه الحقيقة وهذا التهديد الخطير لنكون حذرين يقظين لمكائد هذا العدو المبين، وعلمنا الله عز وجل أن ندعوا يومياً في صلاتنا ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ونطلب الهداية إلى الصراط المستقيم لتذكر دائماً العدو الذي يريد خروجنا عنه، وأن نتوسل إلى الله تبارك وتعالى طالبين المعونة على مواجهته والانتصار عليه.

وتدل الآية على أن الإنسان لو خُلِّي وطبيعته التي فطر عليها فإنه خلق ليسير على الصراط المستقيم الموصل إلى الله تبارك وتعالى [صراطك] ولكن الشيطان يقعد للناس على هذا الطريق ويتربص بهم ليحرفهم عن هذا الصراط المستقيم ويقطع عليهم طريق الطاعة ويوجههم إلى الطرق المنحرفة الأخرى، وهذا المعنى ورد في الحديث الشريف (كل إنسان يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه)<sup>(١)</sup>.

والصيغة المؤكدة المستعملة في التهديد تدل على الإصرار على الفعل والاستمرار فيه واستعمال الشيطان كل أدواته في التزيين والغواية والتضليل والتمويه والشبهات ونحو ذلك، والإطباق على الإنسان من جميع جهاته، وهو ما أشارت إليه الآية التالية: [ثُمَّ لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] (الأعراف: ١٧).

(١) رواه في البحار ج ٣ ص ٢٨١ عن غوالي اللثالي، وحمل قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] على دين الله وأورده السيد المرتضى في اول الجزء الرابع من اماليه مرسلأ عن ابي هريرة عن النبي (ﷺ) وسنن البيهقي وأبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير والسيوطي في الجامع الصغير: ٩٤/٢



ولعل أقرب مشهد ومسرح لهذا القعود هو ما يحصل اثناء الصلاة، فان اللعين يستخدم كل وسائله لسلب هذه المعراجية فيشتت ذهن المصلي في جميع الاتجاهات وتتوالى عليه الخواطر والصوارف حتى ينتهي من صلاته وهو غير ملتفت لشيء منها.

والتعبير هنا بالجهات الحسية الأربعة كناية عن الاتجاهات المعنوية التي يتحرك نحوها الانسان (عدا الأعلى والاسفل من الجهات الست)؛ لأن الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى لا يمكن أن يكون حسيًّا فكذا القعود عليه أمر معنوي فيمكن أن يكون معنى [من بين أيديهم] مستقبلهم وأيامهم القادمة والزمن الآتي فيخوفهم من الفقر والحاجة إذا أرادوا الإنفاق ومن الموت والقتل إذا نواوا الجهاد، أو يعظّم لهم المشقة والعناء إذا همّوا بالحج والعمرة والزيارة ويزين لهم الحياة الدنيا ويمنيهم بما تحبّ نفوسهم ونحو ذلك، قال تعالى: [إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ] (آل عمران: ١٧٥) وقال تعالى [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ] (البقرة: ٢٨٦) وقال تعالى [يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا] (النساء: ١٢٠).

أو أن المراد بما بين أيديهم الآخرة فينسيهم ذكر الموت وأهواله وما بعده ويشككهم في الآخرة والنشور ونحو ذلك [إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] (الإنسان : ٢٧).

ويكون معنى [من خلفهم] أي ما خلفوه في زمانهم الماضي فينسيهم المعاصي ويسوّف الاستغفار والتوبة ويهوّن عليهم ما ارتكبوه من المظالم. أو

يخوفه على ما يترك خلفه من أموال وأولاد وأهل وموقع اجتماعي ليقعده عن الإقدام على الطاعة ويبخله عن العطاء، أو يجعل من الماضي وسيرة الآباء والتقاليد الموروثة صنماً يعبده ويتبعه فيصده عن الهداية والصلاح.

ومعنى [عن أيمانهم] أي من جهة دينهم؛ لأن اليمين من اليمين والخير والقوة والسعادة، فيدخل في دينهم ما ليس منه ويغلفه بالقداسة ويجعله هو الدين وإلا فالسقوط في الجحيم، أو يغريهم باتباع قيادات دينية تضلهم وتقودهم إلى السعير، أو يدخلهم في صراعات وربما حروب تزهق فيها الأرواح وتهتك فيها الأعراض وتخرب الديار باسم الدين ونصرة الدين، أو يزين لهم قتل الآخرين معنوياً بالتسقيط والافتراء والتشويه والتضليل تحت عنوان نصرته الحق وأهله وهكذا.

أما [عن شمائلهم] فالشمال عكس اليمين فيراد به تزيين المعاصي وتهيج الشهوات لدفعهم إلى ارتكاب الفحشاء أو المنكر واتباع الأهواء.

وبهذا الشكل من التصرف في عواطف الإنسان وميوله وأهوائه وآماله وإثارة نزواته الشهوية والغضبية للتأثير على تفكيره وقراره وإلقاء الأوهام الباطلة عليه ومن ثم توجيه إرادته نحو الأفعال القبيحة وليس له سلطة أكثر من هذا [ومَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي] [إبراهيم: ٢٢]، وهكذا يصور لنا القرآن الكريم إحاطة الشيطان بابن آدم وغلقه لمنافذ الوعي والبصيرة وإيقاعه في الغفلة وحرصه على غوايته ويخبر الإنسان بذلك ليكون حذراً على الدوام وملتفتاً وواعياً.

وبهذا التفسير أورد الطبرسي رواية في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) (في معنى الآية [من بين أيديهم] أهوّن عليهم أمر الآخرة [ومن خلفهم] أمرهم بجمع الأموال ومنعها عن الحقوق لتبقى لورثتهم [وعن أيماهم] أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة [وعن شمائلهم] بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على عقولهم)<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير علي بن إبراهيم في معنى الآية (أما [بين أيديهم] فهو من قبل الآخرة، لأخبرنهم أنه لا جنة ولا نار ولا نشور، وأما [خلفهم] يقول: من قبل دنياهم أمرهم بجمع الأموال وأمرهم أن لا يصلوا في أموالهم رحماً، ولا يعطوا منه حقاً، وأمرهم أن يقللوا على ذرياتهم وأخوفهم عليهم الضيعة، وأما [عن أيماهم] يقول: من قبل دينهم، فإن كانوا على ضلالة زينتها لهم، وإن كانوا على هدى جهدت عليهم حتى أخرجهم منه، وأما [عن شمائلهم] يقول: من قبل اللذات والشهوات، يقول الله [وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ] <sup>(٢)</sup>.

ثم يذكر النتيجة التي يريد إيصال بني آدم إليها ويتوقعها [ولا تجد أكثرهم شاكرين] بل كافرين بها أو مقصرين في أداء حقوقها، وقال: [أكثرهم] ولم يقل: [جميعهم] لأنه يعلم أنه لا قدرة له على المخلصين الذين عرفوا نعمة الله تعالى وفرغوا أنفسهم لشكرها فلا نصيب لغير الله تعالى عندهم [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ] [ص: ٨٢-٨٣] [قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي

(١) تفسير البرهان: ٦٠/٤ عن مجمع البيان: ٦٢٣/٤.

(٢) تفسير القمي: ٢٢٤/١.

كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُحْرَزْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا  
(الإسراء: ٦٢).

وبالجمع بين الآيات الدالة على أن كمال نعمة الدين وتامها بولاية أهل البيت (عليهم السلام) [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] (المائدة: ٣) وما ورد في تفسير قوله تعالى: [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ] (الضحى: ١١) وان الشكر انما يكون على نعمة، وأفادت الآية محل البحث ان الناجين من مكائد الشيطان هم الشاكرون وما دل على أن الشكر الحقيقي هو بالثبات على اتباع أهل البيت (عليهم السلام) وعدم الانقلاب عليهم كالذي حصل بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وصف عدم الانقلاب بالشكر [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ] (آل عمران : ١٤٤) نستنتج أن أرقى مصاديق الاستقامة على الصراط المستقيم والثبات عليه هو التمسك بولاية أهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم في الاقوال والافعال لان ذلك حقيقة الشكر وخلاصته وان المعصومين من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) هم الدالون على الصراط المستقيم والحافظون له والذابون عنه، وقد دلت على هذا المعنى روايات عديدة في كتب الفريقين كالمروني عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (آل محمد الصراط الذي دل الله عليه) وقول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (أنت الطريق الواضح والصراط المستقيم) و (لا يجوز أحد الصراط إلا بولاء علي) (١).

(١) راجع مصادر هذه الأحاديث في تفسير الفرقان: ٣٤٣/١٠.

لذا كان أشد ما يحرص عليه اللعين هو التخلص من أهل البيت (عليهم السلام) فكان يغري السلطات بقتلهم وايدائهم ومحاصرتهم وإبعاد الناس عن أهل البيت (عليهم السلام) واتباع منهجهم والأخذ بتعاليمهم، ففي الكافي والمحاسن للبرقي بسند صحيح عن زرارة قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله تعالى: [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَنبَهُنَّ مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] فقال أبو جعفر عليه السلام: يا زرارة، إنما صمد لك ولأصحابك فأما الآخرون فقد فرغ منهم)<sup>(١)</sup> واللعين يكون أشد الخلق فرحاً حينما يقصى قانون أهل البيت (عليهم السلام) عن الحياة وتهمل أحكامهم وتنبد أخلاقهم وسيرتهم.

ولإبليس أعوان من شياطين الجن يقومون بنفس دوره ويساعدونه على تنفيذ ما يريد [إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ] (الأعراف: ٢٧) [أَفْتَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ب] (الكهف: ٥٠).

ولكن اللعين لا يكتفي بالغواية عن طريق التزيين النفسي الباطني لأنه يعلم أن الحسيات أكثر تأثيراً على الإنسان فيحوّل بعض الناس إلى شياطين من الأنس بأدائهم نفس وظيفته فيتربصون بالناس ليقطعوا عليهم طريق الهداية والصلاح بشتى الوسائل الماكرة والمخادعة فبعضهم عن طريق الجنس وإثارة الشهوات وما أكثر القنوات ومواقع التواصل والصحف والمجلات التي تعمل بهذا الاتجاه، وبعض آخر عن طريق إثارة العصبية الجاهلية والخلافات لجرّ الناس الى القتال والعنف والموت العبيثي، وبعض عن طريق الفكر والثقافة الإلحادية المنحرفة،

(١) الكافي: ١٤٥/٨، المحاسن: ١٣٨/١٧١.

وبعض عن طريق الظلم والتسلط والقهر.. ، والقائمة تطول، فهؤلاء كلهم قطاع طرق الخير والسعادة والفلاح، وكلهم أدوات بيد إبليس ينفذ بهم مآربه، ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (اتخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً يصول بهم على الناس، وتراجمة ينطق على ألسنتهم، استراقاً لعقولكم، ودخولاً في عيونكم، ونفتاً في أسماعكم، فجعلكم مرمى نبله، وموطئ قدمه، ومأخذ يده)<sup>(١)</sup>.

وقال (عليه السلام): (اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودبّ ودرج في جحورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من شره الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه)<sup>(٢)</sup>.

ومن نماذج شياطين الانس ما ورد في قوله (عليه السلام) في معاوية في كتاب أرسله إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية قد كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه (فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتمح غفلته ويستلب غرته)<sup>(٣)</sup>.

ولعل أخفى قطاع الطرق من يتحدثون باسم الدين ويتزيون بلباس أهل الدين ويحملون علوم الدين وهم يطلبون الدنيا الدنية بذلك وقد وصفتهم الاحاديث الشريفة صريحا بانهم قطاع طرق الهداية والصلاح روي عن رسول الله

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٧.

(٣) نهج البلاغة، ج ٣، الرسالة ٤٤، ص ٦٩، قال الشريف الرضي: ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

(صلى الله عليه وسلم) قوله: (أشرار علماء أمتنا المضلون عنا، القاطعون للطرق إلينا)<sup>(١)</sup> وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّهم عن ذكري وعن طريق محبتي ومناجاتي، أولئك قطاع الطريق من عبادي، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم)<sup>(٢)</sup>.

ومن امثلتهم ابن ابي دؤاد قاضي قضاة الدولة العباسية في زمن المعتصم أي مفتي الدولة الذي اغرى المعتصم بقتل الامام الجواد (عليه السلام) حسداً وغيظاً عندما اخذ المعتصم بقول الامام (عليه السلام) في موضع قطع يد السارق وترك اقوال فقهاء العامة في حادثة معروفة .

ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك، فالجاهل يغشّ الناس بتنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه) وفي تكملة حديث مثله (فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدين، أولئك فتنة كل مفتون)<sup>(٣)</sup>.

(١) الاحتجاج: ٥١٣/٢، ٣٣٧.

(٢) تحف العقول: ٣٩٧.

(٣) ميزان الحكمة: ١٨٨/٦.

[إِنَّ هَؤُلَاءِ يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا]

(الإنسان: ٢٧)

### الخارجون عن طاعة قادة الإسلام (الفرقة الواقفة) انموذجا<sup>(١)</sup>

شهد التشيع انشقاق فرق عديدة في زمان الأئمة (عليهم السلام) وما بعده، ومنهم (الواقفة) الذين لم يدعوا لإمامة الرضا (عليه السلام) ووقفوا على الإمام الكاظم (عليه السلام) وادعوا أن الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يمّت ولم يُقتل وأنه حيّ لإلغاء إمامة الرضا (عليه السلام) وافتروا أن الإمام الرضا (عليه السلام) يعلم ذلك إلا أنه يخفيه تقية، ورد الإمام (عليه السلام) عليهم بقوله: (فإني لا أتقيكم في أن أقول أنني إمام فكيف أتقيكم في أن أدعي أنه حيّ لو كان حياً)، وقاد هذا الانشقاق رموز معروفة من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام).

والدافع المعروف في الروايات هو للاستيلاء على الأموال الضخمة<sup>(٢)</sup> التي أودعها الإمام الكاظم (عليه السلام) عندهم، قال الشيخ الطوسي عن الواقفة (فروى الثقات أن أول من أظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى، طمعوا في الدنيا ومالوا إلى حطامها

(١) الخطبة الثانية التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه الشريف) لصلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٣٧ الموافق ١٢/٩/٢٠١٦م.

(٢) أصل هذه الأموال وكيفية تنميتها والهدف منها تحتاج الى بحث مفصل مستقل بأذن الله تعالى



واستمالوا قوماً فبدلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال<sup>(١)</sup>.

وروى الكليني بسنده عن يونس بن عبد الرحمن قال (مات أبو إبراهيم عليه السلام) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم، وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار -الدينار مثقال شرعي من الذهب- وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار).

وقد تحدثت في كلمة سابقة عن كيفية مواجهة الإمام عليه السلام لهذا الانشقاق<sup>(٢)</sup> الذي آلم قلب الإمام الرضا عليه السلام، واستمرت تداعياته إلى زمن الأئمة اللاحقين عليهم السلام واغترّ بهذه العقيدة جملة من كبار حملة الحديث. وهذا السبب المعروف في كتب الأصحاب يمكن أن يكون دافعاً للبعض وليس للجميع خصوصاً بعض الرموز الكبار فانهم لم ينكروا إمامة الرضا عليه السلام طمعاً في الاستيلاء على الأموال وإنما العكس إذ كانت خيانتهم للمال من باب تحصيل الحاصل ونتيجة لانكار امامة الرضا عليه السلام وليست سبباً له .

والذي فهمته من بعض الروايات أن سبب انشقاقهم شيء آخر لم يؤشّر بوضوح في كتب الرجال حاصله أن هؤلاء المؤسسين اختطوا لأنفسهم منهجاً فكرياً وعقائدياً اشتهروا به وأصبحوا رموزاً في الوسط الشيعي من خلاله ولم يوافقهم الإمام الرضا عليه السلام عليه فاستكبرت أنفسهم عن طاعة الإمام والتخلي عن

(١) راجع ترجمته في كتب الرجال ومنها معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره):

٢٣٤/١٢-٢٤٧.

(٢) خطاب المرحلة: ١٧٤/٧.

هذا المنهج ورأوا أن المحافظة على رمزيتهم والجاه الذي حصلوه من خلال هذا المنهج لا يتحقق إلا بإنكار إمامة الرضا (عليه السلام) فابتدعوا عقيدة (الواقفة).

والرواية طويلة رواها في قرب الإسناد وأوردها المجلسي في البحار ومحل الشاهد من الرواية قوله (عليه السلام) (أما ابن السراج فإنما دعاه إلى مخالفتنا والخروج من أمرنا أنه عدا على مال لأبي الحسن عليه السلام عظيم، فاقطعه في حياة أبي الحسن وكابرني عليه وأبى أن يدفعه، والناس كلهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلها إلي فلما حدث ما حدث من هلاك أبي الحسن عليه السلام اغتتم فراق علي بن أبي حمزة وأصحابه إياي وتعلل، ولعمري ما به من علة إلا اقتطاعه المال وذهابه به.

وأما ابن أبي حمزة فإنه رجل تأول تأويلاً لم يحسنه ولم يؤت علمه، فألقاه إلى الناس فلجّ فيه، وكره إكذاب نفسه في إبطال قوله بأحاديث تأولها، ولم يحسن تأويلها ولم يؤت علمها، ورأى أنه إذا لم يصدق آبائي بذلك لم يدر لعل ما خبر عنه مثل السفيناني وغيره أنه كان لا يكون منه شيء، وقال لهم: ليس يسقط قول آبائه بشيء ولعمري ما يسقط قول آبائي شيء ولكن قصر علمه عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنة له وشبهة عليه، وفر من أمر فوقه فيه<sup>(١)</sup>.

توضيح الحديث: أن علي بن أبي حمزة تأول الأحاديث الواردة في أن موسى بن جعفر (عليه السلام) هو القائم وبأنه المهدي الموعود فكذب خبر استشهاد الإمام (عليه السلام) لكيلا يكذب نفسه فيما تبني من فكرة ويلزم منه كذبه فيما نقل من

(١) بحار الأنوار: ٢٦٧/٤٩-٢٦٨. عن قرب الإسناد: ص ٣٤٨-٣٥٢، ح ١٢٦٠.

أخبار السفيناني ونحوه عن الأئمة (عليهم السلام) فتسقط أخباره عن الاعتبار وفي الحقيقة فإن أخبار الأئمة (عليهم السلام) صادقة لكنه أخطأ في فهمها حيث قال (عليهم السلام): (كلنا قائمون بأمر الله) وليس بالمعنى الذي ذهب إليه.

وقوله (عليهم السلام): (وفرّ من أمر فوق فيه) إشارة إلى أن إصراره هذا لزم منه تكذيب أحاديث كثيرة أخرى تنفي كون الإمام الكاظم (عليهم السلام) هو القائم المهدي.

ويظهر من الرواية أن الإمام (عليهم السلام) صبر طويلاً عليهم وأمهلهم زمناً لعلهم يثوبون إلى رشدهم فلم يصدر منه بيان مفصّل لحقيقتهم وعاقبتهم، قال (عليهم السلام) (ولولا ما قال أبو جعفر (عليهم السلام) حين يقول لا تعجلوا على شيعتنا إن تزل قدم تثبت أخرى وقال من لك بأخيك كله: لكان مني من القول في ابن أبي حمزة وابن السراج وأصحاب ابن أبي حمزة).

ولما تمادوا في غيهم وتمردهم صرح الإمام الرضا (عليهم السلام) بموقفه فقال في ابن أبي حمزة (أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي يُهدى إلى عيسى بن موسى؟ وهو صاحب السفيناني! وقال إن أبا إبراهيم يعود إلى ثمانية أشهر؟! فما استبان لكم كذبه؟) (١).

وروى يونس بن عبد الرحمن -وهو من أجلاء أصحاب الإمام الرضا (عليهم السلام)- وعرض عليه الجماعة عشرة آلاف دينار ليكسبه إلى صفهم فرفض - قال: (دخلت على الرضا (عليهم السلام) فقال لي: مات علي بن أبي حمزة؟ قلت: نعم، قال:

(١) معجم رجال الحديث: ٢٣٦/١٢ عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٦١٤.

قد دخل النار! قال: ففزعت من ذلك -مما يدل على منزلته لدى الشيعة- قال: أما أنه سُئِلَ عن الإمام بعد موسى أبي، فقال: لا أعرف إماماً بعده، فقيل: لا، فـضُرب ضربة اشتعل قبره ناراً).

وقال (عليه السلام): (إنه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليه السلام)، فلما توفي أبو الحسن (عليه السلام) - موسى بن جعفر (عليه السلام) - جهد علي بن أبي حمزة في إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره).

هذه واحدة من المشاكل التي تواجه قادة الإسلام على مرّ العصور سواء في زمان المعصومين (عليه السلام) أو نوابهم بالحق، أذكرُ مثلاً قريباً من مرجعية السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) فقد كان مهتماً بالتربية الأخلاقية والسلوك الصالح فظهرت فئة تدعي المعرفة والسلوك وهم في الحقيقة طلاب زعامة ورياسة فشلوا في نيلها بالطرق الطبيعية أي العلم والعمل الصالح فلجأوا إلى هذه الدعاوى وحققوا مكاسب فيها، وأصبحوا واجهات وادعوا أن لهم ارتباطاً خاصاً بالسيد الشهيد (قدس سره) فما كان منه إلا أن يتبرأ منهم علناً وبشكل صريح على منبر الجمعة، لكن البعض أبى أن يذعن ويتوب لأنه سيخسر زعامته وسلطته على مريديه المضللين به فانشقوا عن السيد الشهيد (قدس سره) وأصروا على المضي في منهجهم.

ويحكى أن السيد البروجردي (قدس سره) - وكان المرجع العام للشيعة في زمانه توفي عام ١٩٦٠- منع من التطبير واعتبره ممارسة مبتدعة أدخلت في الشعائر

الحسينية، فصارحه جماعة من رؤساء مواكب التطبير إننا نقلدك السنة كلها إلا يوم عاشوراء.

أما تجربتي الخاصة ففيها الكثير من الشواهد لهؤلاء لأسباب شتى وفي مواقف عديدة ربما سيكتب عنها من عرفها وعاشها، والمهم أن يكون عندنا من الورع والتقوى ما يحجزنا عن معصية الله تعالى من أجل لذة عاجلة بمال أو جاه أو كثرة أتباع أو شهرة أو نحو ذلك من الأمور التي تزول لذتها المنكدة ببلاءات الدنيا وتبقى تبعثها وسوء عاقبتها دائماً سرمداً قال تعالى مشفقاً على هؤلاء المخدوعين ومحذراً: [إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] (الإنسان : ٢٧) ثقيلاً في طول مدته ودوام مقامه وشدة عذابه وعدم التخفيف عن اهله فهم يُعرضون عن تذكّر هذا ويخلفونه وراءهم ولا يجعلونه نصب أعينهم استعجالاً للذة وقتية زائلة، ويعبّر الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة عن خسارة صفقة هؤلاء (لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا، وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً) ومنه قوله (عليه السلام) (ماذا وجدَ مَنْ فَقَدَكَ، وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ) (١) وهذا طبع الإنسان الذي يغفل عن ذكر الله تعالى [كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذْرُونَ الآخِرَةَ] (القيامة : ٢٠-٢١).

(وَيَمْنَكُرُونَ وَيَمْنَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال - ٣٠)

### الامام الرضا رائد حوار الحضارات<sup>(١)</sup>

كثيرة هي الأسباب والدواعي التي يمكن ان يكون المأمون العباسي قد فُكر فيها حتى اتخذ قرار استقدام الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من المدينة المنورة الى مرو<sup>(٢)</sup> حيث كان يقيم مع جيشه، ونذكر بعض هذه الأسباب باختصار مقدمة لبيان خاطرة إنقذت في ذهني:

١- إعطاء شرعية لسلطته لان المأمون وسلفه يعترفون بأن المستحق الشرعي لولاية أمر الأمة هم الأئمة المعصومون (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) من ذرية علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) وقالها هارون العباسي صريحة لولده المأمون عندما سأله عن سرّ تعظيمه للإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وإكرامه (هذا إمام القلوب وأنا إمام الابدان) فقد أخذوا سلطتهم بالسيف وقهر إرادة الأمة والأساليب الشيطانية فرأى المأمون ان وجود الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) معه في هرم السلطة يضيفي الشرعية له.

٢- إخماد الثورات المسلحة التي كانت تنفجر في بلدان إسلامية عديدة رفضاً لسلطة بني العباس الظالمة الجائرة وكان الشوار يكتنون الاحترام والتقديس

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في ١٣ ذو القعدة ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٨/١٧ في جمع من أهالي ناحية الشيخ سعد من محافظة واسط.

(٢) تقع الآن في جمهورية تركمنستان التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، فتحها المسلمون في خلافة عثمان، منها خرج أبو مسلم الخراساني (المنجد في الاعلام).

للأئمة المعصومين (عليهم السلام) وشعار كثير منها الدعوة لمبايعة الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ويعتبرونهم القادة القادرين على تحقيق الإصلاح والعدالة الاجتماعية وإقامة دين الله تعالى، فعندما يكون الإمام الرضا في السلطة فإنه يسلب مبررات هذه الثورات باعتبار تحقق الهدف ظاهراً.

٣- بعث رسالة تحذير وتهديد الى بني العباس المقيمين في العاصمة بغداد الذين استأثروا من مقتل الخليفة الأمين على يد جيش أخيه المأمون في بغداد - وهو عباسي الابوين - وتولي أخيه المأمون - أمه فارسية - وتقريبه للفرس - حيث كان رئيس حكومته الفضل بن سهل الفارسي - وإضعاف سطوة العباسيين ونفوذهم ومن يواليهم من العرب فقرروا خلع المأمون ومبايعة رجل منهم خليفة في بغداد، فأراد المأمون بجعل الامام الرضا (عليه السلام) ولياً للعهد أن يقول لهم إن لم تقبلوا بي خليفة فإن الأمر صائر الى أعدائكم التقليديين وهم آل علي (عليه السلام)، وكان المأمون يعلم أنه لا يستطيع دخول بغداد عندما قرر العودة اليها من (مرو) ومعه الامام الرضا (عليه السلام) فقرّر التخلص منه في الطريق فقتله بالسّم في طوس حيث مشهده الشريف.

٤- الحط من شأن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومنزلتهم العظيمة في قلوب الناس فأراد أن يقول للناس ان هؤلاء الأشخاص لم يعارضونا ويخرجوا علينا كالإمام الحسين (عليه السلام) من أجل إحقاق الحق وإقامة دولة العدل وإنما هم طلاب زعامة ودنيا لذلك ما إن عُرضت على أحدهم ولاية العهد حتى قبلها.

٥- وضع الامام الرضا (عليه السلام) تحت المراقبة المستمرة لمحاصرته وحجبه

عن الناس لتحجيم دوره، أما بقاء الامام (عليه السلام) في المدينة فإنه يتيح له فضاءً من الحركة واللقاء بالناس من مختلف البلدان الإسلامية الذين يأتون لأداء الحج والعمرة وهذا كله يؤدي الى المزيد من التعريف به وبآبائه الكرام وتوسيع قاعدته.

هذه الأسباب وربما توجد غيرها مما لم استحضرها جالت في ذهن المأمون، وهي ليست خافية عن الامام الرضا (عليه السلام) ولذا كان موقفه الإصرار على رفض العرض الحكومي، والمأمون يعلم ان الامام (عليه السلام) سيرفض لأنه يترفع عن الدنيا وأهلها وتضيق نفسه بالحضور في مجالسهم فأرسل مع مبعوثه جيشاً ضخماً لجلب الامام (عليه السلام) كرهاً، وقد تحدثت الروايات<sup>(١)</sup> عن العاطفة الجياشة والبكاء والالام الذي ملأ الامام (عليه السلام) وهو يودّع قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجدته فاطمة (عليها السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في البقيع ثم الكعبة المشرفة في مكة ومعه ولده الامام الجواد (عليه السلام) وهو في السادسة من عمره ويسأله عن سبب هذه اللوعة والحزن فيخبره انه فراق لا يعقبه لقاء وأمر أهله<sup>(٢)</sup> وذويه بإقامة المآتم لفراقه

(١) روى الصدوق بسنده عن مخول السجستاني قال: لما ورد البريد باشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله (ص) فودعه مرارا كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد السلام وهنأته فقال: ذرني فاني أخرج من جوار جدي (ص) وأموت في غربة وأدفن في جنب هارون قال: فخرجت متبعا لطريقه حتى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢١٧.

(٢) وبإسناده عن الوشاء قال: قال لي الرضا عليه السلام: إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا علي حتى أسمع ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً. العيون: ٢/٢١٧.



للإشعار بالمصير الذي سيلاقه وغادر الامام (عليه السلام) الى مرو مع جيش الظلمة.  
والسؤال الآن: إذا كان الامام (عليه السلام) يعلم بمكر المأمون وخدعه والاهداف  
الخبیثة من استقدام الامام (عليه السلام) وعرض ولاية العهد عليه فلماذا وافق؟  
والجواب الذي تذكره المصادر ان الامام (عليه السلام) أكره على ذلك وهو  
جواب صحيح وهذا الموقف الرافض لولاية الجائر من المسلمات في مدرسة اهل  
البيت (عليهم السلام) وقد أبلغه الإمام للأمة من خلال الفعاليات العاطفية التي ذكرناها آنفاً  
ومن خلال التصريحات التي ذكرها لبعض المعترضين على موقفه<sup>(١)</sup> وقد ردّ  
الامام (عليه السلام) بشدة عرض المأمون الخلافة عليه ثم ولاية العهد حتى هدّده بالقتل،  
والامام (عليه السلام) لا يخشى الموت وإنما يعمل بما يأمره الله تعالى من المحافظة على  
الحياة او الاقدام على الشهادة.

وروى الحميري في الدلائل، عن أمية بن علي، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة، في السنة التي  
حجّ فيها، ثم صار إلى خراسان، ومعه أبو جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت، فلمّا قضى  
طوافه، عدل إلى المقام، فصلّى عنده، فصار أبو جعفر عليه السلام على عنق موقّ - أحد خدام الإمام  
وخواصه - يطوف به، فصار أبو جعفر عليه السلام إلى الحجر، فجلس فيه فأطال، فقال له موقّ: قم جعلت  
فداك. فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله، واستبان في وجهه الغم. فأتى موقّ أبا  
الحسن عليه السلام فقال: جعلت فداك، قد جلس أبو جعفر عليه السلام في الحجر، وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو  
الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر عليه السلام فقال له: قم يا حبيبي، فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا. قال:  
بلى يا حبيبي. ثم قال: كيف أقوم، وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه! فقال: قم يا حبيبي، فقام معه.  
كشف الغمة: ٣/ ١٥٥، بحار الأنوار: ٤٩/ ١٢٠.

(١) راجعها في وسائل الشيعة: ١٢/ ١٤٥ كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، باب ٤٨، وراجع  
التفاصيل في كتاب (فقه المشاركة في السلطة).

وهنا حضرتني خاطرة نستفيد منها درساً عملياً حاصلها: أن الدولة الإسلامية بلغت في عهد هارون وابنه المأمون سعة ونفوذاً وقوة هيمنت بها على أغلب أجزاء العالم المعروف يومئذٍ من حدود الصين شرقاً الى اسبانيا غرباً وأصبحت مقصداً لكل الشعوب والأمم الموجودة وشهدت مدنها حراكاً علمياً وفكرياً وعقائدياً قوياً مدعوماً ببذل سخي من الدولة، وانفتح المسلمون على كل الحضارات المعروفة وتوافد علماءهم على العاصمة وكان هؤلاء يتحدثون بعقائدهم وتشكيكهم في أصول الإسلام بكل حرية وعززتها حركة الترجمة الواسعة لكتب الاغريق والرومان والاقباط والصينيين والهنود والفرس وغيرهم ولم يكن المجتمع المسلم محصناً ليقدر على مواجهتها فاضطربت عقيدة كثيرين واصبح الالحاد علناً والسلطة غير مكترثة بذلك بل تؤيده كما هو ديدن الطواغيت لان انتشار الثقافة الإسلامية الواعية الصادقة ومبادئ الدين الحق يهدد سلطانهم الجائر.

ولما كان الامام (عليه السلام) احرص الناس على حفظ عقائد المسلمين وتقويم سلوكهم ومعالجة الانحراف في المجتمع رأى ان من الضروري ان يكون في قلب الحدث وان يدير الحوار الحضاري بنفسه مع علماء الأديان والطوائف والحضارات الأخرى والتي كانت تجري في عاصمة الدولة الإسلامية ولم يكن علماء العامة المتواجدون في البلاط العباسي بالمستوى الذي يؤهلهم لإدارة الحوار بل كانوا من المتزلفين للسلطة اما العلماء الصادقون المخلصون فقد كانوا في زوايا الإهمال او مصيرهم القتل و السجن والتشريد، ولذلك حوّل الامام (عليه السلام) ببركة التخطيط الإلهي الفعل الظالم العدواني الى عمل إيجابي مبارك

يحصن عقائد الامة ويهديها ويصلح حالها، ورأى (عليه السلام) ان وجوده في المدينة بعيدا عن هذا الغزو الثقافي والاخلاقي والعقائدي يضعف شوكة المسلمين ويذهب عزتهم وكرامتهم ويفقدتهم دينهم، وان التواجد في عاصمة الدولة مهم ومثمر من دون ان يحقق للظالم أهدافه حيث افشلها الامام (عليه السلام) برفض ولاية العهد بشدة وحينما قبلها كان القبول مشروطاً بان لا يأمر ولا ينهى ولا ينصب ولا يعزل ولا يلي شيئاً من أمور السلطة ليثبت عملياً انه ليس جزءاً منها فالامام (عليه السلام) ثبتت أولاً هذه الحقيقة في ذهن الامة ثم انطلق لإدلاء رسالته، ومن يراجع كتابي (عيون اخبار الرضا) و(الاحتجاج) وغيرها يجد الكم الهائل من المناظرات والحوارات التي اجراها الامام الرضا (عليه السلام) مع علماء اليهود والانصار والمجوس والزرادشت والصابئة والملحدين ومختلف الأيدولوجيات وتفوق الامام (عليه السلام) عليهم وافحامهم، وبذلك أسس الامام (عليه السلام) لحوار حضارات واسع النطاق ومبني على أسس علمية رصينة قبل ان يدعو الغرب اليه اليوم بعد اكثر من الف عام ويسميه احياناً (صراع الحضارات) لان منهجه وتفكيره يفترض سلفاً المغالبة والنزاع والتسلط، لا الحوار والاقناع والتعايش بسلام.

فالمأمون العباسي فكّر بأمور ففشل فيها والامام الرضا (عليه السلام) أراد غيرها فحققها بفضل الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال/ ٣٠) مما اوغر قلب المأمون وزاد من حقه ولم يجد بداً من استعمال سلاح العاجزين الفاشلين وهو القتل والتصفية الجسدية ليزيح الامام الرضا (عليه السلام) عن مسرح الحياة.

وهذا الدور من الامام الرضا (عليه السلام) يشابه ما قام به جده امير المؤمنين (عليه السلام) في التصدي لتشكيكات علماء اليهود ومن ورائهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستغلين اقصاء القيادة الحقة ونقصان تربية اغلبية المسلمين علميا واخلاقيا مما دعا الخلافة المتقمصاة الى طلب النجدة من امير المؤمنين (عليه السلام) في كل ازمة تمر بها، وقد فصلنا الكلام فيها في كتاب (دور الائمة في الحياة الإسلامية).

والدرس العملي الذي نستفيده من هذه القراءة لحركة الامام الرضا (عليه السلام) ان نكون حاضرين في ساحات الحوار والمواجهة مع كل الاتجاهات الفكرية المطروحة سواء على صعيد الكتب والمجلات والصحف او على مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الانترنت او الفضائيات والقنوات المرئية والمسموعة والمؤتمرات والندوات وسائر الفعاليات، وان لا نغيب عنها وان نقصدها ونذهب اليها ولا ننتظر دعوة المشاركة فيها ولم يعد كافيا ان نمنع تداول كتاب ما ونحو ذلك، فقد غزونا في عقر دارنا بألقاء الشبهات والشكوك والضلالات الموجهة للإسلام والقران الكريم والى نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله) والائمة الطاهرين (عليهم السلام) بل اصل الاعتقاد بالله تعالى .

فهل نقابلهم بالإهمال والتقصير والاستمرار في الجهل، ام بالتعب في تحصيل العلوم والمعارف المطلوبة ثم مواجهتهم بالحجج الدامغة والأدلة القويمة بأذن الله تعالى (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (الأنعام/١٤٩).

إنَّ مسؤوليتنا اليوم أكبر من أي زمان مضى وهذه ضريبة الاستعداد لاستقبال اليوم الموعد بقدر ضخامة التحدي.

(أولئك هم خير البرية) (البينة: ٧)

حي على خير العمل والدعوة الى ولاية أهل البيت عليهم السلام <sup>(١)</sup>

(حي على خير العمل) من فقرات الاذان والإقامة المستحيين الاكيدين قبل الصلاة وقال البعض بالوجوب، وفي هذه الفقرة حث ودعوة مع طلب المبادرة الى خير العمل، ويمكن أن يكون المراد من (خير العمل) كل عمل خير من باب إضافة الصفة الى موصوفها وبهذا المعنى تكون الدعوة شاملة لكل أفعال الخير المرضية عند الله تعالى فتتطابق مع الآية الكريمة (فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ) (المائدة: ٤٨).

وقد يراد بـ(خير العمل) عمل مخصوص هو خير الاعمال وأفضلها والدعوة تؤكد المبادرة اليه، والمستفاد من الروايات أن المقصود بهذا العمل أمران ظاهري عام وآخر خاص.

(أما) (المعنى الظاهري) فهو الصلاة نفسها التي هي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها، روي عن الامام الرضا عليه السلام عن علة الأمر بالآذان، الى أن قال عليه السلام (ثم دعا الى خير العمل مرغباً فيه - أي الصلاة -

(١) كلمة متلفزة وجهها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) الى مؤتمر المبلغين الذي عقده مكتب المرجع في قم المقدسة يوم الخميس ٢٠ / ذي الحجة / ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/٢٢ بمناسبة عيد الغدير الأغر وقرب حلول موسم التبليغ في شهري محرم وصفر.

وفي عملها وفي أدائها<sup>(١)</sup>.

وفي رواية محمد بن الحنفية عن معراج النبي (ﷺ) وإمامته للصلاة في السماء السادسة والنداء الأول بالآذان يومئذٍ من قبل ملكٍ خاص إلى أن قال (حي على الصلاة، قال الله جل جلاله: فرضتها على عبادي وجعلتها لي ديناً، ثم قال: حيَّ على الفلاح، قال الله عز وجل: أفلح من مشى إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي، ثم قال حيَّ على خير العمل، قال الله جل جلاله: هي أفضل الأعمال وأزكاها عندي)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الاذان قال: (وإذا قال حي على خير العمل فإنه يقول ترحموا على أنفسكم فإنه لا أعلم لكم عملاً أفضل من هذه فتفرغوا لصلواتكم قبل الندامة)<sup>(٣)</sup>.

(وإما المعنى الخاص وهو الاكمل) فيراد بخير العمل ولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأهل بيت النبي (ﷺ) المعصومين، ففي معاني الاخبار وعلل الشرائع للشيخ الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (أتدري ما تفسير حيَّ على خير العمل، قال: قلت لا، قال: دعاك إلى البر، أتدري برّ من؟ قلت: لا، قال: دعاك إلى بر فاطمة وولدها (عليه السلام)<sup>(٤)</sup>)، وروايات أخرى ستأتي إن شاء الله.

(١) بحار الانوار: ١٤٤/٨٤ عن علل الشرائع: ٢٥٨/١ الباب ١٨٢ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ١٠٥/٢ الباب ٣٤ ح ١.

(٢) بحار الانوار: ١٤١/٨٤ عن معاني الاخبار: ٤٢ ح ٤.

(٣) بحار الانوار: ١٥٤/٨٤ عن جامع الأخبار: ١٧١ الحديث ٤٠٥.

(٤) بحار الأنوار: ٨١: ١٤١ عن معاني الأخبار: ٤٢، وعلل الشرائع: ٣٦٨ الباب ٨٩.

شاء الله تعالى.

وليس في هذا المعنى أي غرابة فان ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) كمال دين التوحيد وتمام نعمة الإسلام وقد أعلم الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بأنه إن لم يبلغ الولاية فكأنه لم يبلغ رسالة الإسلام أصلاً بنص الآية الشريفة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة: ٦٧) وقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣) فهذا وجه لكون (خير العمل) ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بنيه (عليهم السلام)، باعتبارها ذروة الإسلام وخلاصة التوحيد والايمان بالله تعالى.

والوجه الآخر، أن بها تقبل الاعمال وتركى الأفعال، وفي كتاب العلل (وقوله حيّ على خير العمل أي حث على الولاية وعلّة أنها خير العمل أن الاعمال كلها بها قبل) (١).

وسنشير الى وجهين آخرين إن شاء الله تعالى.

وقد صرحت الروايات بأن هذه الفقرة كانت موجودة في الاذان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن الثاني هو من أسقطها روى صاحب كتاب (دعائم الإسلام) عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: (كان الاذان بحيّ على خير العمل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبه امروا أيام ابي بكر وصدراً من أيام عمر، ثم امر عمر بقطعه وحذفه من الاذان والإقامة، ف قيل له في ذلك، فقال: إذا سمع الناس أن الصلاة خير

العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه<sup>(١)</sup>.

وهذا فعل منكر لعدم جواز الاجتهاد مقابل النص، مضافاً الى أن في هذا توهيناً لمقام النبي (ﷺ) إذ كيف خفي عليه هذا التأثير السلبي للنداء ولماذا لم يحذفه حتى تفتقت عنه ذهنية الثاني، وهل ثبَط هذا النداء عزائم المسلمين في الجهاد أيام النبي (ﷺ) وما بعده من حروب الردة والفتوحات الإسلامية، حتى يدعي مثل هذا السبب.

فالظاهر أن هذا السبب المعلن ليس هو الحقيقي، وإنما السبب الحقيقي هو طمس المعنى الثاني ومحاولة إطفاء نور الله تعالى المتمثل بأهل البيت (عليهم السلام) لان تكرار هذا النداء في الصلاة سيدفع الناس الى السؤال عن خير العمل حتى يبادروا اليه ويلتزموا به فأراد غلق باب السؤال لدى الناس عن خير العمل فألغى الفقرة من أصلها.

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن محمد بن ابي عمير أنه (سأل أبا الحسن (عليه السلام) - موسى بن جعفر (عليه السلام) - عن حي على خير العمل لم تركت من الاذان؟ فقال: تريد العلة الظاهرة أو الباطنة، قلت أريدهما جميعاً، فقال: أما العلة الظاهرة فثلاثا يدع الناس الجهاد إتكالاً على الصلاة، وأما الباطنة فأن خير العمل الولاية، فأراد من أمر بترك حي على خير العمل من الاذان أن لا يقع حث عليها ودعاء اليها<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الانوار: ١٥٦/٨٤ عن دعائم الإسلام: ١٤٢/١.

(٢) بحار الانوار: ١٤٠/٨٤ عن علل الشرائع: ٣٦٨/٢ الباب ٨٩ ح ٤.



وهذه واحدة من محاولاتهم المحمومة لاستئصال أهل بيت النبي (ﷺ) واقصائهم عن قيادة الأمة بل عن مسرح الحياة لولا لطف الله تعالى وحفظه، روى الكشي في رجاله عن الامام الرضا (عليه السلام) قال: (لما قبض رسول الله (ﷺ) جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا ان يتم نوره بأمر المؤمنين (عليهم السلام)<sup>(١)</sup> .

وأمدت محاولاتهم لتصل الى إزالة ذكر النبي (ﷺ) من أصله وكل ما يمت إليه بصلة من معالم الدين وشعائره وإعادة الناس الى جاهليتهم الأولى لولا خشيتهم من انقلاب الرأي العام عليهم وإبقاءً لشعرة معاوية مع الدين الذي به تسلطوا على الأمة، ولنستمع الى هذا النص الذي اثبتته ابن ابي الحديد المعتزلي وهو من علماء العامة، روي أن المطرف بن المغيرة بن شعبة<sup>(٢)</sup> قال: دخلت مع أبي علي معاوية - وكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية و عقله، و يُعجب بما يرى منه - إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيتُه مغتماً فانتظرتُه ساعة، و ظننتُ أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئتُ من عند أكفر الناس و أخبثهم! قلت: و ما ذاك؟ قال: قلت له و قد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً و بسطت خيراً، فإنك قد كبرت، و لو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم،

(١) معجم رجال الحديث: ٢٣٩/١٢ في ترجمة علي بن ابي حمزة البطائني عن رجال الكشي رقم

(٢) المغيرة بن شعبة من دهاة العرب و كان له دور خفي في الاحداث منذ عهد رسول الله (ﷺ) وما بعده، و غلامه أبو لؤلؤة الفارسي هو من قتل عمر وقد ساعد معاوية في تشييد ملكه فكافئه بولاية الكوفة و تزلف اليه بأن القى اليه بدعة استخلاف ولده يزيد .

فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه .  
 فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم -أي أبو بكر-  
 فعدل، و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو  
 بكر، ثم ملك أخو عدي -أي عمر- فاجتهد و شمر عشر سنين، فما عدا أن هلك  
 حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، و إن ابن أبي كبشة - أي النبي محمد  
 (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فهو يستكبر عن الاعتراف بنبوته - ليُصاح به كل يوم خمس مرات "  
 أشهد أن محمداً رسول الله، فأبى عمل يبقى و أبى ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك، لا  
 والله إلا دفناً دفناً!!<sup>(١)</sup>.

ومن هذا تبرز أهمية الحث على خير العمل بمعنى الدعاء الى ولاية أهل  
 البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وبيان فضائلهم ومحاسن كلامهم وسيرتهم المباركة (فأن الناس لو  
 سمعوا محاسن كلامنا لأتبعونا)<sup>(٢)</sup> فيهم قوام الدين وديمومته وحفظه من التحريف  
 والشبهات والتزييف والكذب والافتراء وإفشال هذه المحاولات الشيطانية الهدامة  
 ولولا وجود الأئمة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وقيامهم بأمر الدين لنقض بناؤه حجراً  
 حجر من أول يوم كما دلّت عليه الروايات المتقدمة وقد تواصلوا بهذه الجريمة  
 جيلاً بعد جيل وكان الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لهم بالمرصاد (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ  
 أَطْفَأَهَا اللَّهُ) (المائدة: ٦٤) فوصف ولاية أهل البيت والدعوة اليها والتمسك بها  
 بخير العمل في محله لان بها يُحفظ الدين وكل الطاعات والاعمال الصالحة،

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج ٥ ص ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٠.

وهذا وجه ثالث.

والوجه الرابع: ما ورد في تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٧) من كتب الفريقين أنها نزلت في علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وشيعته، كالذي رواه الحسكاني في شواهد التنزيل وموفق بن أحمد في كتاب المناقب بالإسناد عن علي أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (حدثني رسول الله ﷺ) وأنا مسنده الى صدري، فقال: أي علي، ألم تسمع قول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جثت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين) وهي مما احتج بها أمير المؤمنين على أهل الشورى حينما عدّد مناقبه وان النبي (ﷺ) قال للمسلمين (إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، فنزلت الآية (فكبر رسول الله ﷺ) وكبرتم وهنأتموني بأجمعكم فهل تعلمون أن ذلك كذلك؟ قالوا: اللهم نعم) (١).

ولكي يتم الاستدلال بالآية على ما نريد نضم إليها قوله تعالى (لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك: ٢) وقوله تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣) ونحوهما الدالة على ان معيار التفاضل وتفاوت المنزلة عند الله تعالى هو خير العمل وأحسنه فتتحقق النتيجة وهي أن أكرم الناس وخير البرية هم أهل خير العمل وأفضله وأحسنه وقد أفادت آية البينة أن خير البرية هم علي ومن تمسك بولايته وسار على منهجه، فالنتيجة أن أهل خير العمل هم علي وشيعته

(١) راجع مصادر الروايات في تفسير البرهان: ٢٠٦/١٠.

المتمسكون بولايته ولازمه ان خير العمل هو هذا.

اذن علينا أيها الاحبة أن نلبي - كل من موقعه: علماء وخطباء و مثقفين وكتّاب وشعراء وناشطين على مواقع التواصل وغير ذلك - هذا النداء (حيّ على خير العمل) بعد أن نفهم معناه ونواظب عليه ونبذل وسعنا في دعوة الناس كافة الى الاستجابة لهذا النداء لنكون من خير البرية الذين وصفتهم الآية الكريمة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٧)، وقد أتانا الله تعالى من آليات العمل ووسائل التواصل ما يغبطنا عليه سائر الأجيال لسعة الفرصة وقوة التأثير وحسن الاستجابة بتوفيق الله تعالى تمهيداً وتعجلاً للظهور الميمون المبارك وإقامة دولة العدل الالهية .

## القبس القرآني

١٢٢

**وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ (١) (هل اتى: ٨)**

الآية حلقة من سلسلة آيات نزلت في امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم اجمعين) في حادثة مشهورة لدى الفريقين، وعدَّ المرحوم الاميني في كتاب الغدير<sup>(٢)</sup> (٣٤) ممن أوردتها من علماء السنة، والف الحافظ أبو محمد العاصمي كتاباً في مجلدين اسماه (زين الفتى في شرح سورة هل اتى) ووصف الالوسي في روح المعاني خبر الواقعة بأنه مشهور.

وخلاصة الحادثة في مصادر العامة كما أوردتها العلامة الاميني (قده) عن ابن عباس قال إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا:

يا أبا الحسن؟ لو نذرت على ولدك. فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام.

فشفا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت

(١) كلمة سماحة المرجع الشيخ العقوبي (دام ظله) في جمع من الزوار يوم الأربعاء ٢٦/ ذي الحجة /

١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٩/٢٨ بمناسبة ذكرى نزول سورة (هل آتى) في حق أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) الغدير: ١٠٧-١١١ من الطبعة الاصلية، و ١٥٤/٤-١٦١ من طبعة دار الغدير.

محمد؟ مسكين من مساكين المسلمين أطمعوني أطمعكم الله من موائد الجنة.  
فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا  
الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا  
مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة  
الجوع قال: ما أشد ما يسوئي ما أرى بكم؟! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في  
محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساء ذلك فنزل جبريل وقال:  
خذها يا محمد؟ هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.

وحاول البعض التشكيك في نزولها في علي وأهل بيته (عليه السلام) رغم شهرتها  
وكثرة مصادرها، ومما قالوه: ان السورة مكية والحادثة وقعت في المدينة بعد  
زواج امير المؤمنين وولادة الحسنين (عليه السلام) وجوابه: عدم الوثوق بما دل على مكية  
السورة بل الدليل على العكس أي مدنية السورة، لوجود ذكر الأسير فيها، ولم  
يكن للمسلمين اسرى في مكة بل كانوا قلة مستضعفين وانما قويت شوكتهم  
واصبح لديهم اسرى في المدينة، ولو تنزلنا فان مكية السورة لا ينافي كون بعض  
آياتها مدنية وهي ١٨ اية من قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ  
مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان : ٥] الى الآية ٢٢ ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ  
سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان : ٢٢].

وقد دلت عدة روايات من الفريقين على ان السورة مدنية ومنها ما دل على  
خصوص الآيات المذكورة كرواية للمفيد في الاختصاص بسنده الى رسول الله

(ﷺ) وفيها قوله مخاطباً أمير المؤمنين (عليه السلام) (هل عملت شيئاً غير هذا فان الله قد انزل عليّ سبع عشرة آية يتلو بعضها بعضاً، من قوله (ان الابرار) الى قوله (وكان سعيكم مشكوراً)<sup>(١)</sup>.

ولشهرة الخبر فقد نظمها الشعراء في قصائدهم، ومنها قول الوزير صاحب بن عباد:

وسائل هل أتى نص بحق علي قلت (هل أتى) نص بحق علي  
ونحن لا نريد بهذا الحديث الاكتفاء بالتذكير بهذه المنقبة لأمر المؤمنين  
(عليه السلام) واهل بيته في ذكرى نزول هذه السورة في ٢٥/ذي الحجة وانما نريد ان  
نستلهم بعض الدروس والعبر.

١- كرامة الانسان في الإسلام والإحسان اليه حتى لو كان مشركاً محارباً  
كأسير الحرب مع الدولة النبوية الكريمة فلم يتخذ النبي (ﷺ) سجيناً لاسراه  
وانما كان يوزع الاسرى على المسلمين ليحافظوا عليهم ويحسنوا اليهم حتى  
يجعل الله تعالى لهم فرجاً وورد في ذلك قوله (ﷺ) (استوصوا بالأسرى  
خيراً)<sup>(٢)</sup>، (وقد كان يؤتى الرسول (ﷺ) بالأسير فيدفعه الى بعض المسلمين  
فيقول: احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه)<sup>(٣)</sup> واذا لم يجد  
الأسير ما يحفظ كرامته عند مضيفه فتعطى حرته ويذهب لينال ما يريد، ويختار  
ومنها ما في هذه الحادثة لذا قصد هذا الأسير دار علي وفاطمة (عليهما السلام) لما بلغه من

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٧٩/١٠ ح ٥ عن الاختصاص: ١٥٠.

(٢) الأمثل: ٥٢٤/١٤ عن الكامل لابن الاثير: ١٣١/٢.

(٣) روح المعاني للألوسي: ١٥٥/٢٩ عن الحسن .

ايارهما على انفسهما وتكريمهما السائل والمحتاج .

٢- الأولوية والاهمية التي يحظى بها اطعام المحتاجين والمعوزين من بين اعمال البر الكثيرة، وقد اشير اليه في الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة كثيرا، قال تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةً \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) [البلد: ١١ - ١٦] روي عن النبي (ﷺ) قوله (من اطعم ثلاث نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات) والحديث مطلق ولم يقيّد المدعوين للطعام لكونهم فقراء أو محتاجين وهذا يعني أن الاطعام مستحب بغض النظر عن كون الاكلين ذوي حاجة لما فيه من تقوية أواصر المحبة والموّدة وانفتاح النفوس على بعضها وزوال ما بينها من شحناء وبغض.

وعن الامام الصادق (ع) قال : (من اطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدري احد من خلق الله ماله من الاجر في الاخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل الى الله رب العالمين)<sup>(١)</sup>.

وعنه (ﷺ) قال : (من افضل الاعمال عند الله ابراد الكباد الحارة واشباع الكباد الجائعة)<sup>(٢)</sup> وهو حديث مطلق يشمل كل ذي كبد حتى الحيوانات، وتعززه روايات أخرى ففي بعضها ان أمراءه فاسقة غفر لها لأنها سقت قطعة عطشى ماءً، تضمنت تنمة الحديث تهديد المقصر في ذلك قال (ﷺ) (والذي نفس محمد

(١) أصول الكافي: ٢٠٠/٢ - ٣٠٢ باب اطعام المؤمن .

(٢) بحار الانوار: ٣٦٩: ٧٤.



بيده لا يؤمن بي عبد بيت شعباناً واخوه- او قال جاره- المسلم الجائع).  
ولو ألتزمت البشرية بهذه التوصيات لما مات ملايين البشر جوعاً بينما تتلف  
دول الغرب المترفة الاف الاطنان من الأغذية للمحافظة على الأسعار ونحو ذلك.  
٣- ويمكن ان يتوسع معنى الأسير ليشمل كل محتاج الى رعاية غيره  
واعالته مادياً، كالمروي عن النبي (ﷺ) في المديون لغيره: (غريمك اسيرك  
فأحسن الى اسيرك)<sup>(١)</sup> ومنهم عيال الرجل وأسرته عن الامام الكاظم (عليه السلام)  
(ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلاً يتمنوا موته وتلى هذه الآية ﴿وَيُطْعَمُونَ  
الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: الأسير عيال الرجل ينبغي له اذا زيد  
في النعمة ان يزيد اسراءه في السعة عليهم)، ثم قال (ان فلاناً انعم الله عليه بنعمة  
فمنعها اسراءه وجعلها عند فلان فذهب الله بها، قال الراوي: وكان فلان  
حاضراً)<sup>(٢)</sup>.

وروي عن النبي (ﷺ) قوله: (اتقوا الله في النساء فأنهن عندكم أعوان)<sup>(٣)</sup>  
أي اسراؤه، وهكذا تشمل التوصية بالأسرى خيراً كل من كان راعياً لغيره في  
مؤسسة أو دائرة أو كيان ونحو ذلك.

ويتوسع المعنى الى الحاجة المعنوية أيضاً فيشمل من هو في حاجة اليه  
فكرياً وعقائدياً واجتماعياً وهذا المعنى قد ورد في اليتيم في الاحاديث الشريفة

(١) روح المعاني للألوسي: ١٥٦/٢٩

(٢) فروع الكافي: ١١/٤ كتاب الصدقة باب ٧: كفاية العيال والتوسيع عليهم، ح ٣

(٣) الفرقان في تفسير القران: ٢٣٦/٢٩ عن تفسير الرازي: ٢٤٥/٣٠

وقد تناولناها في كلمة سابقة<sup>(١)</sup>.

٤- ان الاطعام حصل (على حبه) أي رغم وجود الحب للطعام لا من جهة نهم الاكولين والميل الشهوي والتلذذ به فهم ابعده ما يكونون عن ذلك وهم المخلصون لله تبارك وتعالى، بل لحاجتهم اليه بحسب ما وصفتهم الروايات في الحادثة كما ذكرناها، ولأنهم يريدون التقوي به على الصوم وسائر طاعة الله تعالى. ولكنهم آثروا الثلاثة على أنفسهم وقدموا ما يريد الله تعالى على ما تريده نفوسهم لانهم يرون انفسهم عبيداً خالصين لله تبارك وتعالى ولا يملكون لها خياراً ولا إرادة ولا فعلاً الا الله تعالى فاخلصوا العبودية لله تعالى مما اكسب فعلهم قيمة اكبر.

ويمكن ان يكون معنى حبه: حسنه وافضليته وطيبه ليكون ادعى للقبول قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي من أفضل ما عندكم واحسنه الذين تحبونه لأنفسكم.

وقد ارجع بعضهم الضمير في حبه الى الله تبارك وتعالى وكأنه لم يستغ ارجاعه الى الطعام لكنه تصرف بعيد بحسب السياق ولان هذا المعنى سيأتي في الآيات اللاحقة ولان الضمير لو كان عائدا الى الله تعالى لكان الأولى التعبير (في حبه) ولعدم الغرابة في عودة الضمير الى الطعام بعد الذي ذكرناه، وقد روى البرقي في المحاسن بسند صحيح عن الامام الرضا (عليه السلام) في هذه الآية قال

(١) خطاب المرحلة: (٢٥٠) ... هل تريد أن تكون مع الصديقة الزهراء (عليها السلام) في درجتها؟، أنظر:

الراوي (قلت : حب الله او حب الطعام؟ قال : حب الطعام) <sup>(١)</sup>، فهذا الايثار الذي صاحب فعلهم (صلوات الله عليهم أجمعين) هو المنشأ الأول لإعطائه هذه القيمة الكبرى بحيث تنزل فيهم سورة مباركة تتلى الى نهاية الدنيا، مع أنه فعل بسيط في نفسه لا يعدو إنفاق خمسة أرغفة من شعير وليس من حنطة.

٥- والمنشأ الثاني والاهم الذي اعطى فعلهم (صلوات الله عليهم اجمعين) القيمة العظمى ان اطعامهم كان خالصاً لله تعالى ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَّا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] فهم لم يبتغوا شكر المعطى وثناءه ولا جزاء منه ولو كان العطاء مشروطاً بالجزاء لحرم كثيرٌ من المحتاجين لعدم امتلاكهم الجزاء، ولو كان مشروطاً بالشكر للزم منه توهين المعطى واذلاله.

فلكي يكون الاطعام طيباً هنيئاً لا بد ان يكون مجردا من طلب الجزاء او الشكر، كإطعام عليٍّ (عليه السلام) واهل بيته فقد كان اطعامهم خالصا لوجه الله لا يبتغون عليه جزاء بجلب ثواب او دفع عقاب حتى من الله تبارك وتعالى. لان عبادتهم عبادة احرار وليست فعل التجار الذين يعبدون الله طمعاً في جنته ولا العبيد الذين يعبدون الله خوفاً من ناره بحسب تقسيم امير المؤمنين (عليه السلام) لعبادة الناس، ومن كلماته المشهورة (إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) <sup>(٢)</sup>.

وقد حصر القصد بإرادة وجه الله تعالى خالصاً باستعمال أداة الحصر (انما)

(١) المحاسن: ٣٩٧ ح ٧١

(٢) البحار: ١٤/٤١.

أما ما ورد في الآية التالية (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) (الإنسان: ١٠) فهو لا ينافي قصد وجه الله تعالى لأنه خوف من آثاره ورشحاته وليس مستقلاً عنه حتى يدخل في عبادة العبيد، بل خوف البعد عنه تبارك وتعالى وعدم نيل رضاه وبلوغ كمال معرفته.

٦- لم يسبق قولهم (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَّا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان: ٩) بكلمة (قالوا) وهذا يعني أنهم لم يقولوا هذا الكلام للثلاثة المطعمين وهذا الاستظهار يناسب مقامهم السامي وكون إطعامهم لوجه الله، أما التفوه بهذه الكلمات أمام المطعمين فإنه لا يخلو من توهين وترفع عنهم، فالظاهر ان هذا التعبير من الله تبارك وتعالى لبيان حالهم ومقامهم الذي علمه الله تعالى منهم والروايات تدل على ذلك، فقد روى الشيخ المفيد في الاختصاص (عليه السلام): (أما ان علياً لم يقل في موضع: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَّا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، ولكن الله تعالى علم من قلبه أن ما أطعم الله، فأخبره بما يعلم من قلبه من غير أن ينطق به)<sup>(١)</sup>.

٧- إن هذه القيمة الكبرى التي اكتسبها الاطعام بالإخلاص لله تعالى لا تختص به بل يمكن أن تكتسبها أي طاعة لله تعالى فالآية نموذج للتربية القرآنية للإنسان على ان يبادر الى فعل الخير ويسارع اليه لا لشيء إلا لأن فيه رضا الله تبارك وتعالى لا ينتظر جزاءً ولا شكوراً من أي أحد ولا يشبطه ولا يشعره

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٧٩/١٠ ح ٦ عن الاختصاص: ١٥١ ورواها الشيخ الصدوق في الامالي

عن الامام الصادق عن ابيه (عليه السلام)

بالإحباط واليأس عدم حصوله على الثناء والشكر والإشادة بعمله بل ربما يتعرض للإساءة من نفس الذين يحسن اليهم لؤماً منهم وهو يمضي في معرفه وإحسانه متأسياً بربه الذي يغدق على عباده بالنعمة وهم يعصونه ويتمردون عليه ويشركون به ويعبدون غيره (مني ما يليق بلؤمي منك ما يليق بكرمك).

٨- وهذا السلوك القرآني والسير على منهجه ثابت في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) - وهم القرآن الناطق - فقد روت كتب التاريخ والمقاتل أن الحر الرياحي وكتيبته البالغة ألف فارس من جيش الأمويين لما خرجوا لاعتراض ركب الامام الحسين (عليه السلام) في الطريق بلغ بهم العطش والاعياء أقصاه فتلقاهم الامام (عليه السلام) وسقاهم ثم سقى خيولهم بيده الشريفة، ولما حاصره القوم في كربلاء ومنعوه واصحابه حتى الرضع من الماء حتى قضوا عطشى لم يرو أحد أن الامام الحسين (عليه السلام) ذكرهم بموقفهم ذاك أو قال لهم اسقوني كما سقيتكم في الطريق، لأنه من أولئك الذين قال الله تعالى (إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا).

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله يا رمز الإباء والسمو والإنسانية.

## [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] (١) (الذاريات: ٥٠)

قال الله تعالى: [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الذاريات : ٥٠) في هذه الآية الشريفة عدة دلالات وإرشادات نهدي بها في حياتنا العملية وفي طريق التكامل إن شاء الله تعالى:

١- إن الأمر بالفرار يعني التسليم بأننا في وضع يوجب الفرار منه؛ لأن الفرار والهرب لا يكون إلا من خطر وضيق وعسر ومشقة، فالأمر بالفرار يعني أننا واقعون فعلاً فيه أو أننا في معرض الوقوع فيه سواء التفتنا إليه أو لم نلتفت لغفلتنا وجهلنا بحقائق الأمور، وما يستوجب الفرار كثير مما نواجه في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا: الفرار من المشاكل والتعقيدات والأزمات والصعوبات والقلق والأخطار وقساوة الحياة، أما في الآخرة فالفرار من طول الموقف وسوء الحساب وشدة العقوبة والعذاب، وهذه كلها تلزم كل عاقل بأن يهرب منها إلى ملجأ يحميه ويوفر له الأمن والاستقرار والسعادة، وقد كرّر تعالى في هذه الآية والتي تليها [إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] للتنبية من الغفلة وإيقاظ العقول والتأكيد على هذه المخاطر.

٢- إن الأمر بالفرار يستلزم من الأمر تحديد المهرب والملاذ الآمن كما أن الدول حينما تقوم بعملية عسكرية لتطهير مدينة أو موضع من إرهابيين ومجرمين فإنها تحدد مسارات وملاجئ آمنة لخروج المدنيين الأبرياء، وقد حدّدت الآية الجهة التي نفرّ إليها وهي جهة النجاة الوحيدة إنه الله تبارك وتعالى ولا يوجد مفرّ إلا إليه [يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرَى، كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ] (القيامة : ١٠-١٣)، وهي بهذا المعنى تلتقي مع آيات عديدة [إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ] [العلق: ٨] [وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ] [النجم : ٤٢] [النجم: ٤٢] [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] [البقرة : ١٥٦].

وهذا المعنى الذي عبّر عنه الإمام السجاد (عليه السلام) في العديد من الأدعية والمناجاة كقوله (عليه السلام) في مناجاة الراجين (يا من كل هارب إليه يلتجئ، وكل طالب إياه يرتجئ) وفيها (كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك، وكيف أومل سواك والخلق والأمر لك) وفي مناجاة التائبين (إلهي هل يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه، أم هل يجيره من سخطه أحد سواه) وفي مناجاة المطيعين لله قال (عليه السلام): (فإننا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت) وفي مناجاة المفتقرين (إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكنها إلا أمانك، وذلتي لا يعزها إلا سلطانك، وأمنيته لا يبلغنيها إلا فضلك) إلى غيرها من الفقرات التي اغتنت بها الصحيفة السجادية المباركة وأدعية الإمام السجاد الأخرى

الملحقة بها.

٣- ارتبطت الآية بفاء التفريع [فَفَرُّوا] فالأمر بالفرار إلى الله جاء تفريعاً ونتيجة على ما ذكر في الآيات السابقة التي ذكرت الأسباب الموجبة لكون الله تعالى الجهة الوحيدة التي نفر إليها وهي ثلاثة.

فَالْآيَةِ (٤٧) بَيَّنَتْ مِثَالاً لِعِظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ [وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] (الذاريات : ٤٧) التي تعني في بعض الوجوه استمرار توسع الكون وتمدده وقد اكتشف العلم الحديث التوسع الهائل الذي تتجه فيه النجوم والمجرات بسرعة تصل إلى ٦٦ ألف كيلومتراً في الثانية<sup>(١)</sup>.

وَالْآيَةِ (٤٨) بَيَّنَتْ رِعَايَةَ اللَّهِ لَخَلْقِهِ وَإِعْدَاقَهُ النِّعَمَ عَلَيْهِمْ [وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ] (الذاريات : ٤٨) فبسط لنا الأرض وجعل لها حركة هادئة مريحة وزودها بكل ما يوفر للإنسان السعادة والراحة والمتعة كما تفرش الأم مهد صغيرها وتجهزه بكل وسائل الراحة والسعادة.

ثم عطفت الآية التالية على ذلك بيان شكل من أشكال فقر المخلوقات - كل المخلوقات - ونقصها الذاتي واحتياجها إلى ربها الغني من خلال إظهار حاجتها إلى غيرها ووجود ما يضادها، [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] (الذاريات : ٤٩) إذ الزوجية هنا تعني أعم من الزوجية الجنسية كالذكر والأنثى، وزوجية السالب والموجب كشحنتي الإلكترون والبروتون في الذرة، وزوجية التضاد كالظلمة والنور أو زوجية

(١) تفسير الأمثل: ٢٣٦/١٣ عن كتاب (حدود النجوم) ل(فرد هويل).



الظاهر والباطن وغير ذلك؛ فالأشياء كلها إذن فقيرة ناقصة محتاجة في ذاتها.

فالفرار إلى الله تعالى لأن القدرة بيده والخير منه والسعادة عنده والكل محتاجون إليه.

فالأيات تقرر هذه الحقيقة وتدعو الناس إلى وعيها والالتفات إليها وتذكّرها دائماً لترتيب الأثر عليها وأخذ العبرة منها [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] فمن الطبيعي أن تتفرع الآية التالية عليها [فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الذاريات : ٥٠) فإن الله تعالى لشفقته على عباده وحبّه لهم ولطفه بهم لم يتركهم سدىً ولم يوكل أمورهم إلى الصدفة أو إلى حماقة الجهّال من البشر ولم يتركهم يجربون طريقة المحاولة والخطأ (tryal & error) للتوصل إلى القوانين التي تكفل سعادتهم في الدنيا والآخرة وإنما أرسل إليهم منه الأنبياء والرسل لينذروهم ويبينوا لهم هذه الحقائق والمعارف كراماً منه وفضلاً [إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ].

٤- ولما كان الله تعالى أجلاً من أن تكون له جهة أو مكان أو حيّز يشغله فالفرار إليه ليس كالفرار إلى حصن أو أي مكان آمن يتوجه إليه الهارب، وإنما الفرار إليه يعني التمسك بالوسائل الموصلة إليه تبارك وتعالى وفعل ما يوجب قربه ورضاه وتعجب ما يسخطه سبحانه ويوجب غضبه؛ لذلك كانت الآية التالية كالبيان لمعنى الفرار ووسيلته [وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] فالفرار إلى الله تعالى يستند إلى الإيمان به

وتوحيده ويبدأ من نفي الشركاء عنه.

والفرار إلى الله يعني الهروب من المعاصي والذنوب وكل ما يسخط الله تبارك وتعالى إلى طاعته ورضاه، ويعني الهروب من عذاب الله تعالى وعقابه إلى رحمته ورضوانه، من مناجاة الراغبين للإمام السجّاد (عليه السلام): (وها أنا فارق من سخطك إلى رضاك وهارب منك إليك).

والفرار إلى الله تعالى يعني الانقطاع عما سواه والتحرر من كل الآصار، والأغلال التي تعيق حركته نحو التكامل وتثقله إلى الأرض وتوجب عبوديته وأسره [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] (الأعراف: ١٥٧).

والفرار يعني الهروب والتحرر من ذل أتباع كل الآلهة والمعبودات التي تطاع من دون الله سواء كانت بشرية أو أصناماً حجرية أو أهواء وشهوات وغرائز أو أنظمة وقوانين من صنع البشر أو أعراف وتقاليد اجتماعية أو عشائرية أو سلطات وزعامات تحكم بغير ما أنزل الله، أو ضلالات أو أفكار مبتدعة أو أوضاع اجتماعية خارجة عما يريد الله تعالى بحيث صارت الدول التي تصف نفسها بالتحضر والعظمة تبيح الشذوذ الجنسي بين المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية والديمقراطية وأمثالها، فالفرار يعني الهروب من كل هذه المعبودات المطاعة إلى الإله الواحد القهار وهو الله تبارك وتعالى.

بل المطلوب أكثر من ذلك وهو السعي الحثيث لتحرير البشرية منها وإزالتها وليس الانعزال السلبي فضلاً عن مداهنة أتباعها ومسايرتهم كالذي حصل قبل أيام

حينما نجح بعض الإخوة في استصدار قرار من البرلمان يحظر تجارة المسكرات<sup>(١)</sup> وتناولها في محلات علينية وهو موافق للدستور الذي يمنع من مخالفة ثوابت الإسلام، ومن ما يخالف الديمقراطية وقد نال القرار موافقة الأغلبية، فانبرت أصوات منبوذة لرفض القرار حتى قال أحدهم أن هذا القرار يثبّط عزائم الحشد الذي يقاتل داعش لأنهم يشربون الخمر وقاتلوا داعش لأنها منعتهم منها، ولم يمتلك أكثر مدعي الشعارات الإسلامية الشجاعة في نصره الحق والإصلاح و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نهج أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فكانوا على عكس ما أرادت منهم الآية الكريمة فارين من الله تعالى وليس إليه سبحانه فبئست الصفقة.

٥- ولما كانت هذه الوسائل على درجات، فإن الفرار إلى الله تعالى له درجات متصاعدة في الكمال، كما أن الابتعاد عنه تعالى له درجات في الانحطاط، فأولى درجات الفرار وأساسها توحيد الله تعالى ونبذ الشركاء عنه، وأرقاها الانقطاع عما سواه حتى عن نفسه فيصبح مخلصاً لله تعالى فاراً مما سواه، مستقراً عنده عز وجل [إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ] (القيامة: ١٢).

٦- ووسائل الفرار إلى الله تعالى غير منحصرة فالقيام بكل عمل صالح ومثمر ومفيد للشخص أو المجتمع هو فرار إلى الله تعالى واجتناب كل فعل

(١) صوت البرلمان العراقي بأغلبية الحاضرين البالغين (٢٢٩) عضواً يوم السبت ٢٠ / محرم / ١٤٣٨ الموافق ٢٢ / ١٠ / ٢٠١٦ على قرار منع استيراد وصناعة وبيع المشروبات الكحولية وتغريم المخالفين وكان لكتلة الفضيلة دور في النجاح وحصل بعده جدل كثير واعتراض من العلمانيين متقوين بمطالبة المرجعية بدولة مدنية وليست دينية! فطمأنهم (الاسلاميون).

سيئ مضرّ لا ينسجم مع التعاليم الإلهية هو فرار إلى الله تعالى، وأساس كل ذلك التوحيد كما في الآية أعلاه ومفتاحه ولاية أهل البيت (عليهم السلام) والأخذ عنهم والتمسك بنهجهم قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ] (المائدة: ٣٥) فهم (عليهم السلام) أوضح الوسائل إلى الله تعالى كما أفادت الروايات<sup>(١)</sup>، وقد ذكرت الروايات مصاديق أخرى، فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في معاني الأخبار بالإسناد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية قال: (حجّوا إلى الله عز وجل) وهذا من باب ذكر بعض المصاديق وهي واسعة ولعل الحج هنا يراد به معناه اللغوي أي القصد إلى الله تعالى وتدل عليه رواية الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) بسنده عن زيد الشهيد عن أبيه الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بني إن الكعبة بيت الله، فمن حجّ بيت الله قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله، فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه)<sup>(٢)</sup>.

وقد دلّت بعض المنقولات على أن أوسع وسائل النجاة والفرار إلى الله تعالى إحياء ذكر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والعمل على تحقيق أهدافه المباركة في إصلاح الأمة وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قال الشاعر الشعبي (غير حسين ما عدنا وسيلة) أي أنه (عليه السلام) أيسر وأسرع سفن النجاة.

(١) راجع تفسير البرهان: ٢٣٢/٣.

(٢) راجع مصادرها في تفسير البرهان: ١٣٤/٩.

## القيس القرآني

١٢٤

## (١) (ولا تستعجل لهم) (الأحقاف: ٣٥)

من كلمات الامام الحسن السبط الزكي المجتبي (صلوات الله عليه) في بيان أحد الأداب العامة لتنظيم العلاقة الإيجابية مع الآخرين خصوصاً للمربين وأولياء الأمور كالأب في البيت او معلم المدرسة أو مدير الدائرة أو رئيس العمال ونحو ذلك، قال (عليه السلام) (لا تعاجل الذنب بالعقوبة وأجعل بينهما للاعتذار طريقاً) (٢).

والمعنى واضح فالإمام (عليه السلام) ينهى عن المبادرة الى معاقبة من يخطأ أو يذنب أو يقصر فهذا التريث والإمهال وغيض النظر المؤقت يُعطي المذنب فرصة للتأمل والتفكير والمراجعة وسيدفعه ذلك إلى الاعتذار والاعتراف بالتقصير وتدارك التقصير وهذه نتيجة طيبة لجميع الأطراف، أما المبادرة الى المحاسبة والمعاقبة بغض النظر عن كون العقوبة بمستوى الذنب أو أقل أو أكثر فأنها تؤدي الى التشنج والتعصب وتأخذه العزة بالإثم.

وهذا الادب يندرج ضمن التأسّي بالصفات الإلهية فإن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة بأن لا يُعاجل العباد العقوبة حتى الكفار والمتجبرين والمتمردين قال تعالى (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)

(١) أُلقيت يوم الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/١٤ تزامناً مع ذكرى استشهاد الامام الحسن (عليه السلام).

(٢) المجالس السنوية: ٣٤٨/٥، موسوعة المصطفى والعترة: ١٢٦/٥-١٢٨.

(الأحقاف: ٣٥) وقال تعالى (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) (يونس: ١١) وقال تعالى (فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَلَهُمْ رُؤْيَاً) (الطارق: ١٧) فإن تابوا الى رشدهم وعادوا الى الطريق كان فيه خير الدنيا والاخرة للجميع ولا نفقد الامل بهداية أي أحد وهذا ما عبّر عنه بعض الربانيين لما قال لهم بعض اليائسين والمتقاعسين (لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) كان جوابهم الأمل والاندفاع (قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الأعراف: ١٦٤) حتى في مثل فرعون الذي كان يقول (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) (النازعات: ٢٤) و(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) (غافر: ٢٩) فإن الله تعالى أبقى الامل في نفس موسى وهارون (عليهما السلام) قال تعالى (اذْهَبَا إلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه: ٤٣-٤٤).

وإن استمروا بالعصيان والاستكبار كان أبلغ بالحجة عليهم وأقطع لعذرهم قال تعالى (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران: ١٧٨).

ويتأكد هذا الادب كلما ازدادت أواصر القرب والعلاقة ويبلغ ذروته مع الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) فترى الامام الرضا (عليه السلام) يُعَلِّلُ تَرِيثَهُ فِي اتِّخَاذِ الْإِجْرَاءَاتِ ضِدَّ قِيَادَاتِ مَنْ أَصْحَابُهُ أَنْشَقُّوا عَنْهُ وَخَانُوهُ فِي الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أودعها عندهم بأنه (عليه السلام) يأمل منهم ان يتقدموا خطوة ليحظوا باللطف الالهي قال (عليه السلام): (ولولا ما قال أبو جعفر (عليه السلام) حين يقول: لا تعجلوا على شيعتنا إن نزل قدم تثبت أخرى، وقال: من لك بأخيك كله: لكان مني من القول في ابن أبي

حمزة وابن السراج وأصحاب ابن ابي حمزة<sup>(١)</sup>.

وهذه الميزة لشيعه أمير المؤمنين الموالين وردت في حديث سابق عن رسول الله (ﷺ) قال: (ما ثبت الله حب علي في قلب مؤمن فزلت به قدم إلا ثبت الله قدماً يوم القيامة على الصراط)<sup>(٢)</sup>.

وقد جسّد الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) هذا الادب في حياتهم بصوره المتنوعه، فقد انتظر أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يقارب السنه قبل ان يتوجه لمقاتله الباغين معاوية وأصحابه وأكثر إرسال المواعظ اليهم لعلهم يعودون الى الهدى والرشد حتى بدأ المرجفون والمنافقون يشيعون أن علياً (عليه السلام) شك في أمر أهل الشام ولا يجد مسوغاً لقتالهم فصعد الامام (عليه السلام) على المنبر وبين لهم انه لم يشك طرفه عين في ظلال معاوية واصحابه وكونهم بغاة يستحقون القتل والقتال وانما تأخر إمهالاً لهم لعلهم يتوبوا الى رشدهم ويفيئوا الى أمر الله وليستضيئوا بنور أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (عليه السلام): (أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت، فوالله ما أبالي، دخلت الى الموت أو خرج الموت إليّ، وأما قولكم شكاً في أهل الشام! فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي، وذلك أحب إليّ من أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها)<sup>(٣)</sup> ومن رساله له (عليه السلام) بعثها الى معاوية قال: (وليس أبطأني عنك إلا ترقباً لما أنت

(١) بحار الانوار: ٢٦٧/٤٩-٢٦٨ عن قرب الاسناد: ٣٤٨-٣٥٢ ح ١٢٦٠.

(٢) كنز العمال: ١١/٦٢١ ح ٣٣٠٢٢.

(٣) نهج البلاغه الخطبة ٥٤.

له مكذب وأنا له مصدق<sup>(١)</sup> وقال (عليه السلام): (اني قلبت أمري وأمرهم ظهرا لبطن، فما وجدت إلا قتالهم أو الكفر بما جاء محمد ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

كما كان (عليه السلام) يمنع افراد جيشه من ان يدعو أحدهم للمبارزة، وكانوا لا يبدؤون اعداءهم بقتال ففي يوم عاشوراء حينما حاول بعض أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) أن يرمي شمراً أو بعض الأعداء أن يرميه بسهم فمنعه لهذا الغرض النبيل حتى رمى عمر بن سعد بسهم نحو معسكر الحسين (عليه السلام) وتبعه جيشه لهذا نادى الامام (عليه السلام) أصحابه قائلاً قوموا الى الموت الذي لا بد منه فهذه رُسل القوم اليكم.

وقد أثمر هذا الادب عن توبة قائد كبير في جيش بني أمية وهو الحر الرياحي ولو استعجل الامام (عليه السلام) مواجهته في الطريق لما حظي بهذه السعادة الابدية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٥٠/٤.

(٢) علل الشرائع: ٢٢٠ باب ١٦٠، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٥.



## (فلا كفران لسعيه) النبي (ﷺ) مكفور النعمة<sup>(١)</sup>

قال الله تبارك وتعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) (الأنبياء: ٩٤) وتفسير الآية باختصار ان كل عمل يقوم به الانسان فيه رضا لله تعالى ونفع للخلق فإن الله تعالى يكتب ذلك العمل ويثبته لصاحبه بما لا نحيط من أشكال الكتابة وأنواع الشهود لشكره عليه لأن الكفران هنا بمعنى الجحود والانكار وعدم الشكر، وأصل الكفر في اللغة ستر الشيء، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك شكرها، فكفران السعي تغطيته وإهماله وعدم المجازاة عليه، ويقابله شكر العمل لذا عبّر تعالى عن نفس هذه الحقيقة في آية اخرى بقوله تعالى (وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا) (الإنسان: ٢٢)، وقد ورد الشكر - كفعل وسلوك - مقابل الكفر في آيات عديدة كقوله تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم: ٧) وقال تعالى (لِيُبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل: ٤٠).

ومعنى شكر العمل إثابة صاحبه عليه بالجزاء المناسب (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

(١) كلمة ألقيت يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٦/١٢/١٦ بمناسبة ذكرى المولد

مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (الكهف: ٣٠)، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة: ٧) لكن هذه الآية وغيرها كالأية ١١٢ من سورة طه الآتية تفيد أن قبول الاعمال مشروط بالإيمان بالله تعالى وسائر العقائد الحقّة.

وقد أطلقت الآية (من الصالحات) لكي لا يقلل الإنسان من شأن أي طاعة فكل عمل صالح مهما ظن الإنسان أنه لا قيمة له فإن الله تعالى سوف لا يكفره أي لا يهمله قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَعِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (التوبة: ١٢٠) فليس من الضروري القيام بأعمال كبيرة حتى يكون مرضياً عند الله تعالى.

وما دام العمل مسجلاً عند الله تعالى ويُشكر عليه فلا يهمه (أولاً) إن كان له تأثير في المجتمع أو لا يكون لأن هذا شيء بيد الله وقد يأتي تأثيره بعد زمن أو ينضم إلى عمل غيره فيصنع التأثير، ولا يهمه (ثانياً) إن أطلع عليه أحد وعرف أنه الفاعل أو لم يطلع لأن المهم أنه بعين الله تعالى ومكتوب عنده تبارك وتعالى.

فاستحضار هذه المعاني يدفع الإنسان إلى العمل ويرفع الهمة ويزيد من النشاط ويطرد الكسل والشعور بالإحباط.

فهذا تفسير مختصر للآية ككل أما غرضي هنا فهو الوقوف عند هذه الفقرة (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) إذ المفروض أن إثابة المحسن على إحسانه وعدم اهمال العمل الصالح بلا مكافأة قضية فطرية ومن الضروريات (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: ٦٠) فلا تحتاج القضية إلى بيان فلماذا يذكره الله تعالى؟

والذي يزيد السؤال إلحاحاً ذكر هذه الحقيقة مراراً في القرآن الكريم بنفس التعبير - أي عدم الكفران - كقوله تعالى (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) (آل عمران: ١١٥) أو بتعبير آخر كقوله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (طه: ١١٢) أو التعبير بما يقابله وهو الشكر كقوله تعالى (وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا) (الإنسان: ٢٢) وقوله تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (الإسراء: ١٩) (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٦٢).

يمكن القول أن الغرض هو لبيان وتقرير بعض تفاصيل عقيدة الايمان بالمعاد واليوم الآخر والحساب ومجازاة الاحسان والىساءة وهذا ظاهر من كثير من الآيات، والذي أريد أن أضيفه أن الغرض هو لتطمين المحسنين وعاملي الصالحات مما يرونه من الحالة المؤسفة الغالبة لدى البشر وهي التكر للمنعم وكفران النعمة على عكس ما هو المطلوب منهم الى حد احتاج عدم كفران الاحسان والعمل الصالح الى بيان وتبديد مخاوف حيث أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفاً.

وأول مكفور النعمة هو الله تبارك وتعالى قال سبحانه (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف: ١٧) وقال تعالى (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (الإسراء: ٨٩) وقال تعالى (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) (سبأ: ١٣) حتى اصبح كفران النعمة صفة ملازمة لسلوك البشر إلا من عصم الله قال تعالى (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورًا) (الشورى: ٤٨)

والكفور هو المبالغ في كفران النعمة، وقد أكد الله تعالى هذه الحقيقة في آية أخرى باستعمال (إِنَّ) وإدخال اللام قال تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) (الزخرف: ١٥) مما أوجب حالة التأسف والاستغراب قال تعالى (قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس: ١٧) على خلاف الادب النبوي المبارك، روى السيد ابن طاووس في الاقبال كان النبي (ﷺ) يقول - إذا أكل بعض اللقمة قبل تمامها - (اللهم لك الحمد أطعمت وأسقيت ورويت، فلك الحمد غير مكفور ولا مودّع ولا مستغنى عنك)<sup>(١)</sup>.

ولرسول الله (ﷺ) أسوة بربه في كونه مكفور النعمة وموجودها وهو أعظم النعم الإلهية على المخلوقات وقد قرن الله تعالى إنعامه بإنعام نبيه تعظيماً له وتكريماً قال تعالى (إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (التوبة: ٧٤) وقال تعالى (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) (الأحزاب: ٣٧) ولأهل البيت (عليهم السلام) أسوة برسول الله (ﷺ)، وكذلك اتباعهم من المؤمنين، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (كان رسول الله (ﷺ) مكفراً لا يشكر معروفه، ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي، ومن كان أعظم معروفاً من رسول الله (ﷺ) على هذا الخلق وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا وكذلك خيار المؤمنين لا يشكر معروفهم)<sup>(٢)</sup> وهي حقيقة مرة تكشف عن بعض صور الانحطاط في الاخلاق والسلوك البشري.

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس الحسني: ١١٦ س ٢٤، وروي في كتب العامة مثله.

(٢) بحار الانوار: ٧٥ / ٤٢ ح ٣ عن علل الشرائع: ٥٦٠ باب ٣٥٣ ح ٢.

ومظاهر كفر البشر نعمة النبي (ﷺ) عديدة :-

(فمنهم) من لم يؤمن برسالته أصلاً وهم أكثرُ الناس قال تعالى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف: ١٠٣).

(ومنهم) من آمن ظاهراً بالرسالة إلا انه بعيد كل البعد عن مضمونها كالفاسقين والمنافقين ووصلت الجرأة بهم الى أن يقولوا له في وجهه الكريم وهو في اللحظات الأخيرة من حياته (ان الرجل ليهجرك).

(ومنهم) من تنكر له في عترته ونصب لهم العداء حسداً وظلماً فأرتكبوا أعظم الكبائر حتى قتلوا أهل بيته وذريته وهم يشهدون ظاهراً لله تعالى بالتوحيد والى النبي (ﷺ) بالرسالة.

(ومنهم) ظاهره التدين والالتزام بالعبادات الفردية إلا انه يُقصي شريعة رسول الله (ﷺ) عن الحياة ويمنع من تطبيقها ويدعو الى تحكيم القوانين الوضعية بعنوان (الحكومة المدنية) وهل توجد مدنية وحضارة حقيقية بغير الإسلام والقرآن والسيرة النبوية المباركة.

(ومنهم) من يريد التخلي عن سنته الشريفة التي هي بيان كتاب الله تعالى تحت عنوان الحداثة والتجديد وإعادة قراءة النصوص الشرعية بما يناسب الثقافة المعاصرة وتمادى بعضهم فأسقط قدسية كلام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ونحو ذلك.

وبالأمس القريب حينما نجح بعض الإخوة في إقرار قانون بمنع تجارة الخمر وبيعها لم نجد مدافعاً عنه من الإسلاميين ومرجعياتهم إلا النادر فيدخلون على رسول الله (ﷺ) حتى بهذه النصرة الضئيلة، أليس هذا من كفر النعمة؟!

وهكذا تجد صدق ما وصف به أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنه مكفر لا يُشكر معروفه حتى من المنتسبين إليه، فعلياً ان نتبه لأنفسنا ونكون من الشاكرين لنعمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (صلى الله عليهم اجمعين) بشكرهم والثناء عليهم والصلاة عليهم ونشر ذكرهم المبارك والدعوة اليهم وإتباع أقوالهم وأفعالهم.

ان خطورة هذا السلوك - كفران النعمة - لا يقتصر على العقوبة الوخيمة لصاحبه وقد أشرنا الى جانب من هذا الحديث في تفسير قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) (إبراهيم: ٢٨-٢٩) حتى ورد في الحديث الشريف عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (أربعة أسرع شيء عقوبة رجل أحسنت اليه ويكافيك بالإحسان اليه إساءة)<sup>(١)</sup>.

بل يكون له أثر اجتماعي وهو ما يعبر عنه بقطع سبيل المعروف، روي عن الامام الصادق قال: (لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره)<sup>(٢)</sup>.

وإن كان المفروض بالإنسان أن لا يمنعه عدم شكر إحسانه على تقديم المزيد من عمل الخير طلباً لرضا الله تعالى وقد طمأنته الأحاديث الشريفة على حسن جزائه عند الله تعالى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أفضل الناس عند الله منزلة

(١) بحار الانوار: ٤٢/٧٥ عن الخصال ٢٣٠/١ باب الأربعة ح ٧١.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٦، باب ٨ من أبواب فعل المعروف حديث ١.

وأقربهم من الله وسيلة المحسن يكفر إحسانه<sup>(١)</sup> وعنه (صلى الله عليه) قال: (يد الله فوق رؤوس المكفرين ترفرف بالرحمة)<sup>(٢)</sup> وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)<sup>(٣)</sup>.

وقد فسرت بعض الأحاديث معنى ان المؤمن مكفر النعمة، فقد روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (الْمُؤْمِنُ مُكْفَرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يُنْشَرُ فِي النَّاسِ، وَالْكَافِرُ مَشْهُورٌ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ لِلنَّاسِ يَنْتَشِرُ فِي النَّاسِ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ)<sup>(٤)</sup>.

أقول: مكفر على وزن معظّم وهو مجحود النعمة مع إحسانه، وذلك إما لأنه يصنعه لدى الفقراء والضعفاء المحتاجين وهؤلاء ليس لهم جاه اجتماعي وكلام مسموع حتى ينتشر ذكره بينما الكافر والمنافق يجعل معرفه في المشاهير والمتصدرين ووسائل الاعلام (والملا) بحسب التعبير القرآني فيروجون لمن أحسن إليهم.

(أو) لأن المؤمن يصنع معرفه خفية من دون رياء أو شهرة فلا يُعرف،

(١) بحار الانوار: ٤٤/٧٥ عن نوادر الراوندي: ٩.

(٢) علل الشرائع: ٥٦/٢ الباب ٣٥٣ ح ٢.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٤.

(٤) بحار الانوار: ٢٦٠/٧٦ عن علل الشرائع: ٥٦٠/٢ باب ٣٥٣ ح ١.

والكافر يصنعه علانية لان غاية ما يطلب هو الرياء والسمعة بين الناس  
فتتحقق له.

(أو) ان الله تعالى يريد حماية المؤمن من الرياء وحبط العمل فلا ينشره  
وتكفر نعمته ليزيد من ثوابه في الآخرة بينما المنافق والكافر لا خلاق لهما في  
الآخرة فيأخذون جزاءهم في الدنيا.

وذكر ابن الأثير معنى آخر لقوله ﷺ (المؤمن مكفّر) قال: (أي مرزأ في  
نفسه وماله لتكفر خطاياها)<sup>(١)</sup> وهو معنى صحيح في نفسه ودلت عليه روايات  
اخرى إلا انه لا يناسب أحاديث المقام وربما أورده ابن الأثير لأنه لم ينظر في بقية  
الحديث.



## يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة (المتحنة: ١) درس نبوي في المصالحة المجتمعية (١)

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) (المتحنة: ١).

هذه الآيات الأولى من سورة المتحنة فيها بحث مهمة تتعلق بالموالاة والبراءة لكننا نتحدث الآن عن درس مستفاد من الحادثة التي نزلت بسببها هذه الآيات وتصرف النبي (ﷺ) أزائها، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره سبب نزول الآيات قال (نزلت في حاطب بن ابي بلتعة<sup>(٢)</sup>)، ولفظ الآية عام ومعناه خاص،

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع أساتذة وطلبة عدة مدارس قرآنية في بغداد والكوفة يوم السبت ١٤٣٨/١٤/٣ المصادف ٢٠١٦/١٢/٣.

(٢) حاطب بن بلتعة اللخمي من اليمن كان حليفاً لقريش، هاجر الى المدينة وشهد بدرأ والحديبية والمشاهد كلها، وفي الإصابة (ج ١/ص ٣٠٠ رقم الترجمة ١٥٣٨) عن المرزباني في معجم الشعراء أنه كان أحد فرسان قريش في الجاهلية والإسلام، وقد يبعد ذلك ما ذكره في الإصابة انه مات سنة ٣٠

وكان سبب ذلك ان حاطب بن ابي بلتعة كان قد اسلم وهاجر إلى المدينة وكان عياله بمكة وكانت قريش تخاف ان يغزوهم رسول الله (ﷺ)، فصاروا إلى عيال حاطب وسألوهم ان يكتبوا إلى حاطب يسألوه عن خبر محمد رسول الله (ﷺ) وهل يريد ان يغزو مكة؟ فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك فكتب اليهم حاطب ان رسول الله (ﷺ) يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية<sup>(١)</sup>، فوضعتة في قرنها ومرت، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله (ﷺ) فاخبره بذلك فبعث رسول الله (ﷺ) أمير المؤمنين عليه السلام والزبير بن العوام في طلبها فلحقوها، فقال لها امير المؤمنين عليه السلام: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي، ففتشوها فلم يجدوا معها شيئاً، فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً فقال امير المؤمنين: والله ما كذبنا رسول الله (ﷺ) ولا كذب رسول الله (ﷺ) على جبرئيل عليه السلام ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه والله لتظهرن لي الكتاب او لأوردن رأسك إلى رسول الله (ﷺ)، فقالت تنحيا حتى أخرجه فأخرجت الكتاب من قرنها فأخذه امير المؤمنين عليه السلام وجاء به إلى رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): يا حاطب! ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيرت ولا بدلت واني أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله (ﷺ) حقا ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلى بحسن صنيع قريش

وعمره ٦٥ عاماً وقد أسلم في مكة وهاجر فعمره في الجاهلية لا يسمح باشتهار أمره، وفي الاستيعاب والموطأ انه كان شديداً على رقيقه وشكاه بعضهم الى رسول الله (ﷺ).

(١) وفي (سيرة ابن هشام: ٢٩/٤) أن اسمها سارة مولاة لبني عبد المطلب وقال في موضع آخر كانت ممن يؤذي رسول الله (ﷺ) في مكة، وهي ممن أهدر النبي (ﷺ) دمها حين فتح مكة ثم توسطوا لها وطلبوا لها الأمان فأمنها رسول الله (ﷺ).

اليهم، فأحببت ان اجازي قريشا بحسن معاشرتهم فانزل الله جل ثناؤه على رسول الله (ﷺ) (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة - إلى قوله - لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

أقول: تضافرت روايات العامة في نقل هذه الحادثة ايضاً كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي وأبي نعيم وغيرهم<sup>(٢)</sup> وفي هذا التصرف النبوي الشريف مثل أعلى يستحق ان يدرسه القادة والحكام في المصالحة المجتمعية والعفو عن الذين تزلّ أقدامهم من أبناء المجتمع ويخرجون على الدولة ويخرقون النظام بسبب ضعف النفس او الجهل او سوء التقدير أو أي سبب آخر، بينما الجرم الذي ارتكبه حاطب يدخل فيما يسمى بالخيانة العظمى لتسريبه اسراراً عسكرية تتعلق بأمن الدولة الى أعداء في حالة حرب مع الدولة، والقوانين المعاصرة تحكم على مرتكب هذا الجرم بالإعدام، لكن النبي (ﷺ) قبل عذره وزجر عمر بن الخطاب لأنه طلب من النبي (ﷺ) أن يأمر بقتله.

ولم يكتفي النبي (ﷺ) بل قام بما يسمى اليوم بإعادة تأهيله ودمجه في المجتمع وإزالة كل المضاعفات الاجتماعية التي حصلت له بسبب إرتكابه لهذه الجريمة فأرسله النبي (ﷺ) بكتابه الى المقوقس حاكم مصر في الإسكندرية حينما بعث برسائله الى ملوك العصر يدعوهم الى التوحيد وطاعة الله تعالى ومنهم: كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة وملوك اليمن

(١) تفسير القمي: ٣٦١/٢، تفسير البرهان: ٢٧٩/٩.

(٢) الدر المنثور: ١٢٥/٨.

وعمان والبحرين وغيرهم، وعاد الى النبي (ﷺ) ومعه هدايا ومارية القبطية التي تزوجها وولدت ابنه الوحيد إبراهيم.

وفي كتاب الاستيعاب<sup>(١)</sup> ان بعثه كان في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية أي قبل أحداث فتح مكة وربما يظهر ذلك ايضاً من سياق حديث ابن هشام في السيرة<sup>(٢)</sup>.

فعلينا ان نبرز هذه الصور المشرقة من رسالة الإسلام وقادته العظام لنعرف العالم بهذا الدين الرباني الذي هو أعظم هدية من الله تعالى خالق البشرية الى الانسان ليسعده.

ومضافاً الى هذا فأنتنا يمكن ان نستخلص عدة دروس أخرى من الآية

الكريمة:

١- الانصاف والموضوعية حينما بدأ الخطاب بـ(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) والخطاب وإن كان عاماً إلا انه نزل في حادثة حاطب فلم يخرجه عن الايمان بارتكاب هذه الجريمة الكبرى فالذين يكفرون الناس لاختلافهم معهم في بعض الاحكام أو في فهم بعض العقائد الدينية مخالفون لمنهج القرآن وأدبه.

٢- الطاعة والتسليم التام للقائد الذي تجلى في إصرار أمير المؤمنين (عليه السلام)

على تنفيذ أمر رسول الله (ﷺ) وعدم التهاون فيه كما حصل للزبير.

(١) المطبوع بهامش الإصابة: ٣٥٠/١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٨/٤.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) <sup>(١)</sup> (الأنفال: ٦٠)

### إعداد القوة في السيرة النبوية المباركة

(وَأَعِدُّوا) صيغة أمر وإلزام مثل (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وغيرها، والإعداد للشيء تهيئة المقدمات واللوازم التي يتطلبها تحقيق ذلك الشيء، كإعداد السلم للصعود و الماء للغسل وإعداد لوازم السفر قبل الشروع فيه وهكذا. (لَهُمْ) مجملة فلم يحدد الذين يتم الاعداد والاستعداد لهم بغض النظر عن إعادة الضمير لسياق الآيات السابقة لإمكان النظر الى الآية مستقلاً، وبذلك ترك الأمر مفتوحاً لكل من بينت الآيات الكريمة و الاحاديث الشريفة انه عدو تلزم مواجهته والاستعداد له سواء كان عدواً مادياً محسوساً كالمجرمين و الطواغيت و المفسدين و كالقوى الظالمة المعتدية أو غير محسوس لكنه يدرك بالوجدان والبصيرة كالشيطان والنفس الأمارة بالسوء، والعدو الاول قد يكون معروفاً معلوماً معلناً بعداوته وقد يكون متخفياً كما في بقية الآية (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) مثل المنافقين المتظاهرين بلباس الدين، وقد لا يكون عدواً فعلياً الآن ولكنه سيكون كذلك لاحقاً لان الاختلاف في الافكار و الايدولوجيات والطباع وتعارض المصالح سنة جارية بين بني البشر فيؤدي ذلك الى الصراع والتنازع إلا ما رحم ربي، فالأمر في الآية واسع و شامل إذ يجب أن يكون

(١) أُلقيت بتاريخ ٣٠/ربيع الأول/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١٢/٣٠

الاستعداد تاماً بلحاظ كل هذه الاحتمالات.

(مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي بكل ما تستطيعون من الإعداد و كل ما تسمح به قدراتكم وقد يكون شيء الآن فوق طاقتكم لكنكم إذا عملتم بكل ما تستطيعون الآن فستصبح لكم القدرة حينئذٍ على إعداد ما لم تكن تستطيعونه اليوم، نظير ما ورد في تحصيل التقوى قال تعالى (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) (آل عمران: ١٠٢) وهو أمر متعذر على الناس ف جاء قوله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن: ١٦) ليبين وسيلة الوصول الى تلك النتيجة فالآية الأولى استراتيجية تبين الهدف الذي يراد الوصول اليه والثانية تكتيكية في المصطلح تبين كيفية الوصول إلى ذلك الهدف عبر مراحل، فإذا عملت الآن بما تستطيع من التقوى رزقك الله تعالى درجة أعلى منها وصرت تستطيعها بعد إن لم تكن، فإذا عملت بها وهبك الله تعالى أعلى منها حتى تصل الى نتيجة (حق تقاته).

(مَنْ قُوَّةٍ) من بيانية وأطلقت كلمة (قُوَّةٍ) لتشمل كل أشكال ومصاديق القوى فهي لا تختص بالقوة العسكرية بل تشمل القوة الاقتصادية والسياسية والبشرية والعلمية والإعلامية والاجتماعية والتنظيمية وتشمل أيضاً ما يسمى بالقوى الناعمة التي تناولناها في عدة احاديث، حتى ان بعض الروايات جعلت من مصاديق القوة صبغ اللحية بالسواد لإظهار الشباب و الفتوة امام الاعداء فيحصل لديهم الخوف و الرعب ففي الكافي ان الحسين بن علي (عليه السلام) أختضب بالسواد فسأله عن ذلك فقال (أمر رسول الله ﷺ في غزاة غزاها أن يختضبوا بالسواد

ليقووا به على المشركين)<sup>(١)</sup>.

وعلى رأس هذه القوى، القوة المعنوية والروحية التي هي أصل القوى كالإيمان والصبر والمجاهدة والتوكل والدعاء والتوسل و(خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (البقرة ١٩٧) و إنما كانت أصل القوى لأن بها مواجهة أصل الاعداء النفس الامارة بالسوء والشيطان (اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك)<sup>(٢)</sup> (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء ٥٣) حتى سَمَى النبي (ﷺ) هذه المواجهة بالجهاد الأكبر<sup>(٣)</sup>.

كما إن كل من هذه القوى لها مصاديق تتناسب مع كل زمان فالقوة العسكرية في زمان نزول الآية كان يراد بها السيف والقوس والرمح ونحو ذلك، لذلك وردت عدة روايات تطبق القوة في الآية على رمي السهام وركوب الخيل، واليوم تشمل الطائرات المقاتلة والسفن الحربية والصواريخ العابرة وتأسيس الأكاديميات العسكرية التي تخرج القادة و مراكز تدريب الجنود وغير ذلك. والخطاب واضح في الآية انه يطالب الامة بأن تقوم هي بإعداد القوة وليس بأن تستوردها من الغير و تدّعي إنها تمتلك القوة ، أما إذا لم يعدّوا هذه القوى و لم يجهزوا انفسهم بها ولم يتمتعوا بالاكتفاء الذاتي فأنهم سيبقون تابعين لمن

(١) الكافي: ٤٨١/٦ ح ٤.

(٢) المجلسي - محمد باقر - بحار الأنوار - مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٦٧ ص ٣٦.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. الكافي: وجوب جهاد النفس، وقد وردت بسند اخر عن امير المؤمنين علي (عليه السلام).

يزودهم بها و تمهّد الطريق لاستعبادهم. و ستكون قراراتهم مرتهنة لأولئك الذين يستضعفونهم و يملون عليهم ارادتهم.

واختيار هذه التعابير المطلقة القابلة للانطباق على كل زمان مظهر من مظاهر الاعجاز القرآني و قدرته على مخاطبة كل الأجيال حيث ينسجم مع آليات عصر النزول و يفهمه أهله و بنفس الوقت ينسجم مع معطيات القرن الواحد والعشرين و المستقبل ليكون شاهداً على خلود القرآن و ملائمته لكل زمان و مكان.

ومن الواضح ان هذا الأمر بالإعداد عام بجميع الاتجاهات، فهو عام بلحاظ الافراد لانه موجه لجميع الناس لأن المشكلة التي يراد معالجتها بهذا الأعداد - و هي مواجهة عدو الله و عدوكم - يعاني منها كل الناس، و الثمرات المرجوة منه تكون في مصلحتهم جميعاً، و الأمر عام أيضاً بلحاظ الأزمان و مصاديق القوة فأهل كل زمان مطالبون بإعداد كل ما يستطيعون من أشكال القوة التي تناسب زمانهم و أوضاعهم مما أشرنا إليها لتحقيق العدالة في الأرض و إقامة دولة الانسان التي تحفظ فيها حقوق كل الناس بصفتهم الانسانية وليس حكومة الاهواء و الشهوات و النزوات المليئة بالظلم و الفساد الذي يعمّ كل الناس و هذه كلها اهداف انسانية يسعى كل الناس لتحصيلها، لذا كان الخطاب عاماً للجميع كما ان البدن إذا داهمه عدو استعد بتمامه لمواجهته كما في الحديث الشريف (مَثَلُ المؤمن في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى)<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ١٥٠.



والغرض من إعداد القوة ليس العدوان على الناس ونهب ثرواتهم واستعبادهم كما يفعل الغرب اليوم و سائر القوى الطاغوتية المتفرعة عبر التاريخ ولا للظلم ولا الفساد ولا البغي و الاستعلاء في الأرض وإنما (تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) لإخافة أعداء الله والإنسانية الذين يعتدون على كرامة الانسان ومقدساته ويحرمونه من حقوقه ويمنعون الناس من اعتناق العقيدة الحقبة بحرية، وهذه الاخافة لردعهم عن التفكير بالعدوان على الناس الآمنين وإنتهاك حرمتهم، فهو إعداد دفاعي وإحترازي: لأن كثيراً من الناس المتجبرين والطواغيت لا يردعهم عن ظلمهم وطغيانهم إلا إعداد القوة التي تخيفهم وترعبهم، وبنفس الوقت تشعر هذه القوة الاتباع بالأمن وحرية ممارسة إقامة النظام الإسلامي في حياتهم وشعائهم الدينية، وتفتح الطريق واسعاً لمن يريد أن يتعرف على هذا الدين او يعتنقه من دون أن يمنعه أحد، وبنفس الوقت هو إعداد حركي فهذه القوة تُعدُّ لتحرير الإنسان لأنها ترفع العوائق عن حركة نشر الإسلام وإيصاله الى كل الناس، فهذه كلها من ثمرات قوة ومنعة وعزة المجتمع الإسلامي.

ومن هذا يظهر ما في التعبير (وَأَعِدُّوا لَهُمْ) من لمسة وجدانية عاطفية رقيقة مليئة بالرحمة فهذا الاعداد (لَهُمْ) أي لمصلحة الأعداء وليس (عليهم) كما في الآية (أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران/١٣٣) تقول أعددت لك كذا فهذا فضل وإحسان تقدّمه للآخر، فهذا الاعداد للقوى هو لمصلحة الأعداء لأنه يردعهم عن المضي في تنفيذ النوايا والمشاريع السيئة التي يريدونها فهو يحميهم من أنفسهم الأمانة بالسوء و من كيد الشيطان الرجيم الذي يريد ان يزيدهم ذنوباً الى ذنوبهم

و يغرقهم في دركات الجحيم.

### اعداد القوة في السيرة النبوية المباركة:

ولنأخذ تطبيقات لهذه الآية من سيرة النبي الأكرم (ﷺ) ولو باختصار بحسب ما يناسب الوقت.

فأول إعداد كان لشخصية القائد وصناعته على نحو يفني بمتطلبات أداء الرسالة العظيمة الخالدة وليكون مؤثراً في الاتباع والاعداء على حد سواء والشواهد كثيرة في حياته الشريفة، وهذا الاعداد تولاه الله تبارك وتعالى (ادبني ربي فاحسن تأديبي)<sup>(١)</sup> (إن الله أدب نبيه ثم فوض إليه أمر الخلق)<sup>(٢)</sup> وهو (ﷺ) أولى بخطاب (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه: ٤١) (وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي) (طه: ٣٩)

والاعداد الثاني للمال اللازم للتحرك بالرسالة ورعاية الاتباع وكفالتهم مع عوائلهم بكافة احتياجاتهم ومواجهة مؤامرات الاعداد وحصارهم ومقاطعتهم وهذا ما قامت به أم المؤمنين خديجة (عَلَيْهَا) زوج النبي (ﷺ) فصرفت كل أموالها العظيمة في سبيل الله.

والاعداد الثالث للسند القوي الذي يحميه ويأوي اليه إذا تكالب الأعداء (أَوْ آوِي إِلَيَّ رُكْنٍ شَدِيدٍ) (هود: ٨٠) وتكفل به عمه أبو طالب رضوان الله تعالى عليه.

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

(٢) الكافي: ٢٦٦/١، ح ٤.

و الإعداد الإلهي الآخر كان بإيجاد الذراع القوي الشجاع و الجندي المتفاني في طاعة ربه تعالى و نبيه (ﷺ) و الذبّ عنه و إرعاب الأعداء و منعهم من الوصول اليه و هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، قال الشاعر :

فلولا أبو طالب و ابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما.

فهذا كله كان قبل إعلان الرسالة، ثم ركز بعد إعلانها على إعداد الاتباع عقائدياً بحيث يذوبوا في عقيدة التوحيد و الرسالة النبوية المباركة و يندكوا فيها و استمر هذا الإعداد طيلة عمر الدعوة الإسلامية في مكة التي استمرت ثلاث عشرة سنة و كان غذاء هذا الإعداد القران المكي أي السور و الآيات القرآنية التي نزلت في مكة و سياقاتها شاهدة على ذلك.

ثم تحرك النبي (ﷺ) لإعداد الوطن و الحاضنة لهذه الدعوة الجديدة لان البقاء طويلاً في ضمن المجتمع المعادي يؤدي الى ذوبان العقيدة في النفوس و تشتت الاتباع و استضعافهم خصوصاً بعد رحيل القائد العظيم، و لما يأس من تحقيق ذلك في مكة توجه إلى الطائف أولاً و لم تفلح المحاولة ثم قبض الله تعالى له اهل يثرب فآمنوا به و بايعوه على النصره بالنفس و المال و الولد في العقبة الأولى و الثانية حتى هاجر (ﷺ) اليها و اقام مجتمعه الايماني هناك و أصبحت المدينة المنورة وطن الدعوة الجديدة و عاصمتها و حضنها و منطلق حركتها.

وتلاه اعداد المجتمع لحمل الرسالة و تأسيس امة قوية متحدة فأخى بين المهاجرين أولاً ثم أخى بين المهاجرين و الانصار و قضى على أسباب النزاع التي كانت داخل مجتمع يثرب بين الاوس و الخزرج (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (آل

عمران:١٠٣).

ومن ثم الاعداد السياسي للدولة الجديدة من خلال عقد المعاهدات والاتفاقات التي تكسب بعض الجهات الى جانبه او تحييدهم على الأقل ولو لفترة لتجنب فتح عدة جبهات عليه في آن واحد، وهو في بداية تأسيس دولته المباركة. ورافق ذلك الاعداد العسكري والتعبئة الميدانية (والمعروف ان النبي ﷺ) بلغه ان سلاحاً جديداً مؤثراً صنع في اليمن أيام معركة حنين، فأرسل النبي ﷺ) جماعة الى اليمن لشراؤه فوراً<sup>(١)</sup>.

وكان ذلك كله مقترناً بالتربية الروحية من خلال الآيات القرآنية التي كانت تنزل تباعاً بحسب الحكمة الالهية و استعداد الأمة ليكون أجدى و أقوى تأثيراً (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) الفرقان ٣٢.

ان بعض المبهورين بالغرب والذين يريدون الانفلات واتباع الشهوات يقرنون بين الدين والتخلف او يعدّون الالتزام بالدين سبباً للتأخر ويقولون ان اوربا ما تقدمت الا حين انسلخت عن الدين، وهذا نابع من الجهل فان المسلمين لم ينهزموا و لم يتخلفوا وتستعبدهم الأمم الأخرى الا حينما تركوا اسلامهم وتخلوا عن العمل بتعاليمه ومنها هذه الآية الشريفة ولو عملوا بهذه الآية الكريمة لسادوا العالم كما قدر لهم وكما وعد الله تعالى بذلك وسيتحقق على يد الامام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه).

(١) تفسير الأمثل: ١٠٤/٤.

## لنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتِ رَبِّي (الكهف/١٠٩) (١) معاني القرآن لا تنتهي

قال تعالى (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الكهف/١٠٩) (المداد) هو الحبر الذي يُمَدُّ القلم بقابلية الاستمرار على الكتابة و (النفاذ) هو الفناء والانتهاء، فمعنى الآية أن البحر لو تحول إلى مداد وصنعت أشجار الأرض كلها أقلاماً لكتابة كلمات الرب فأن البحر سيفنى قبل ان تنتهي كلمات الرب حتى لو أمددنا هذا البحر ببحر آخر. والظاهر ان (البحر) و(المثل) هنا أريد به اسم الجنس وليس الوحدة فالمثال شامل لكل البحار والمحيطات بقريئة قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لقمان/٢٧) والسبعة هنا رمز للكثرة وهذا مثال لسعة كلمات الله تعالى إذ ان محبرة صغيرة سعة ٥٠ ميلتر تكفي لكتابة آلاف الكلمات، فكيف لو تحولت كل البحار والمحيطات التي تغطي ثلاثة ارباع سطح الكرة الأرضية وبعمق يصل أحياناً عدة كيلومترات إلى حبر، وأشجار الأرض إلى أقلام، إنه تصوير رهيب لسعة كلمات الله تبارك وتعالى، مع ان العدد ذكر هنا لتصوير الكثرة بحسب فهم البشر وليس للتحديد.

(١) القيت بتاريخ ١٦/جمادي الأولى/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٢/١٤.

ولم تتعرض الآيتان لذكر الكاتب او المكتوب عليه لاطلاق الخيال في تصويره وانه حتى لو كان الكاتب الجن والانس أجمعين وكانت الواح الكتاب كل ما يمكن أن يكون كذلك.

وقد يقال ان الآية الثانية لا تصلح للقرينيه، لأن الاولى ذكرت كلمات الرب والثانية كلمات الله، والربوبية صفة فعل يمكن ان تكون محدودة بمحدودية المربوب وإن كانت لا تحصي بينما صفات الله تعالى اوسع من صفة الربوبية لانها تشمل صفاته الذاتية والفعلية فهذا وجه زيادة الابحر، ونجيب بأن هذا التفريق لا يضر لان صفات الله عين ذاته، ولان عدم النفاذ أمر حق بغض النظر عن القرينة.

وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) تعليل لعدم نفاذ الكلمات، فإنه كما لا يغلب في ذاته كذلك لا يغلب في كلماته وحكيم لا يفوض التدبير الى غيره. ومن لطائف هذه الآية ورود الشجرة بصيغة المفرد والاقلام بصيغة الجمع وفيه إشارة لكثرة الأقلام المتخذة من شجرة واحدة.

والتعبير بالبحر الدال على الجنس ليشمل كل البحار والمحيطات وانه ذكر إمداد البحار بسبعة أخرى لان الجبر يستهلك اثناء الكتابة ولم يذكر امداداً للأشجار في صنع الأقلام لأنها لا تستهلك بالكتابة.

وهنا قد يثار سؤال بأننا لو حسبنا رياضياً عدد الكلمات التي يمكن كتابتها بهذه الابحر والاقلام لوجدناها تفوق عدد احتمالات ما يمكن انتاجه من ترتيب الحروف المعروفة في اللغة حتى لو لم يوضع بإزائها معنى، فكيف نفهم الآية.

ونذكر في الجواب أكثر من وجه:

الأول: ان الكلمة هي كل ما دل على معنى وبيّن مراداً سواء كانت مكتوبة أو موجوداً خارجياً أو حادثة واقعة أو حقيقة علمية فكلمات الله هي كل ما دل على الله تبارك وتعالى، ولذا فهي لا تنتهي، كما قيل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فكلمات الله تعالى هي كل احكامه وقضاياه وسننه وآياته وليس فقط الكلمات المكتوبة، قال تعالى (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) (يونس ٦٤) وقال تعالى (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) (البقرة ١٢٤) وقال تعالى (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) (الأنعام ١١٥) وقال تعالى (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) (التوبة ٤٠) وغيرها بالعشرات.

وإذا كان جانب من آياته لا تُعد ولا تحصى (وهي نعمه) قال تعالى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) (إبراهيم/٣٤) مع انها في نفسها قابلة للعد والاحصاء لأنها محدودة فمن الأولى أن لا تعدّ آيات الله وكلماته، لان نفس اتخاذ الأشجار أقلاماً والبحر مداداً وكتابة الكلمات هي كلمات جديدة وآيات حادثة، فهي سلسلة فوق حد الاحصاء والعد فضلاً عن النفاذ كما في الرواية عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حديث (قُلْتُ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ لَهُ آخِرٌ وَلَا غَايَةٌ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا)<sup>(١)</sup> وإن كان ظاهر قوله تعالى (قَبْلَ أَنْ تَفْجَرَهُ كَلِمَاتُ رَبِّي) انها قابلة للنفاذ.

وقد استعمل لفظ الكلمة بهذا المعنى في الموجودات العظيمة التي لها

(١) تفسير البرهان: ٦/١٨٣ ح ١.

أوضح دلالة على الله تعالى كقوله عز وجل (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ) (النساء/١٧١).

ووردت روايات عن الكافي ومعاني الاخبار وعلل الشرائع وغيرها في تفسير قوله تعالى (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) (البقرة/٣٧) أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) <sup>(١)</sup> فهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) من أتم كلمات الله تعالى الدالة عليه تبارك وتعالى.

الثاني: ان هذه الكلمات بوجودها اللفظي يمكن ان تنتهي، لكن معانيها والعلوم والمعارف المودعة فيها - حيث اللفظ كالوعاء للمعنى - لا تنتهي فتكون الآية تعبيراً عن سعة علم الله تعالى - بتقدير المضاف - وتدل على ان معاني كلمات الله تعالى لا تنتهي، ولعل الحادثة في سبب نزول الآية تدل على هذا المعنى، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره (أن اليهود سألوا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن الروح، فقال (الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) قالوا نحن خاصة قال بل الناس عامة قالوا فكيف يجتمع هذان يا محمد تزعم إنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتيت القرآن وأوتينا التوراة وقد قرأت (ومن يؤت الحكمة) وهي التوراة (فقد أوتي خيراً كثيراً) فأنزل الله تعالى (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) يقول: علم الله أكثر من ذلك، وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله) <sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير البرهان: ١٥٣/١.

(٢) تفسير البرهان: ٢٩٣/٧ ح ٢ الآية ٢٧ من سورة لقمان.



وتماشياً مع هذا الجواب نقول ان الكلمات المكتوبة في القرآن محدودة ومعدودة لكن المعاني المودعة فيها لا تنفذ، فقد أودع الله تعالى هذه المعاني اللامتناهية في كتابه الكريم، ففي أصول الكافي عن الامام الصادق عن ابائه (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث قال عن القرآن (ظاهره انيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصي عجائبه ولا تبلى غرائبه)(١).

تصوروا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) في علمه الذي هو باب (٢) مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وان رسول الله (صلى الله عليه وآله) علمه (٣) ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب من العلم، وانه لو كُشِفَ له الغطاء ما ازداد يقيناً (٤) وغير ذلك قيل له : (هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه)(٥)

وعن إبراهيم بن العباس قال: (ما رأيت الرضا (عليه السلام) سئل عن شيء قط إلا

(١) أصول الكافي: ج ٢ / كتاب فضل القرآن، باب ١ ح ٢.

(٢) اللئالي المصنوعة: ج ١، ص ٣٢٩. ورواه الحاكم في المستدرک (ج ٣، ص ١٢٦) .

(٣) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم وتشعب لي من كل باب ألف باب) تفسير الرازي ٨: ٢١، عند تفسير قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ..) " آل عمران: ٢٣". ورواه ابن عساکر في تاريخه كما في ترجمة الإمام علي منه ٢: ٤٨٥ / ١٠١٢، والجويني في فرائد السمطين ١١ / ٧٠، والمتقي في كنز العمال ١٣: ١١٤ / ٣٦٣٧٢، والحافظ المغربي في (فتح الملك العلي: ٤٨٨).

(٤) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) كشف الغمة: ج ١ ص ١٧٠ في وصف زهده (عليه السلام) في الدنيا..

(٥) تفسير الصافي: ٣٩/١ .

علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول الى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن<sup>(١)</sup>.

أقول: فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأهل البيت (عليهم السلام) غنية بالمعاني وعميقة الفهم، وهي متجددة ومفتوحة لا تنتهي، وكل جيل من العلماء يأتي بين شيئاً يسيراً منها وما يخفى عليه أكثر بكثير، ويأتي الجيل الآخر ويعترف منها شيئاً وهكذا من دون أن تنتهي تلك المعاني.

وقد يستغرب البعض كيف يكون لكلام مؤلف من هذه الحروف الثمانية والعشرين في اللغة العربية التي نتداولها يمكن أن تكون لها هذه السعة من المعاني، وهذا الاستغراب منشأه القصور والتقصير في معرفة معاني القرآن الكريم وعدم الالتفات إلى من أودعها في هذه القوالب اللفظية وقدرته وعظمته وعلمه.

واضرب لكم مثلاً قد يعرفه طلبة الحوزة العلمية أكثر من غيرهم وهي ما يعرف بقاعدة الاستصحاب التي هي من أهم الأبحاث المعمّقة في علم الأصول وكتبت فيها مجلدات ولا زال البحث فيها مستمراً والتفريعات تتكثر، واصلها حديث من ثلاث كلمات للمعصوم (عليه السلام) (لا تنقض اليقين بالشك)، أي إذا كنت على يقين من حالة معينة ككونك على طهارة أو أن زيداً حيّاً، فتبني على هذا اليقين بالطهارة وحياة زيد وترتب آثاره حتى لو حصل لك شك فيها ولا

(١) بحار الانوار: ٩٠/٤٩ ح ٣ عن أمالي الصدوق: ٧٥٨ مجلس ٩٤ ح ١٠٢٣ وعيون اخبار الرضا:

تنقض حالة اليقين إلا ييقين مثله، هذه الكلمات أصبحت محوراً لإبحاث معمّقة تملأ مجلدات ولازال البحث فيها مفتوحاً، فإذا كانت ثلاث كلمات في علم ظاهري تفتح هذه الآفاق الواسعة للبحث، فماذا سينفتح من علوم ومعارف إلهية من كلمات القرآن الكريم واني للبشر استيعابها وبلوغ كنهها؟

لذلك تجد العلماء لا يتوقفون عن التدبر في آيات القرآن الكريم واكتشاف ما يهتدون إليه من معانيها وإيداعها في التفاسير، ومع ذلك لا زالت حقائقه كثيرة خافية على العلماء فضلاً عن غيرهم، وحكي عن السيد الطباطبائي (قده) صاحب تفسير الميزان قوله اننا نحتاج في كل سنتين إلى تفسير، وقد أنهى (قده) تفسيره في عشرين عاماً فهذا يعني أن محاولات التفسير لا بد أن تكون متعدّدة ومتواصلة في الجيل الواحد فضلاً عن الأجيال المتتالية.

إننا نشهد في هذا العصر نهضة قرآنية محمودة ونسأل الله تعالى ان يوسّعها ويزيدها، لكنها غالباً تقتصر على التجويد وتحسين الصوت ومخارج الحروف والنعيمات ونحوها، وهذا شيء جيد في نفسه لأن حلية القرآن الصوت الحسن، ونشجع عليه لانه يحبب القرآن الى النفوس ويحصل انس به لكن الاقتصار عليه والوقوف عنده من دون الانطلاق إلى فهم معاني القرآن الكريم واكتشاف أسراره ومعرفة حدوده يكون خطوة ناقصة نحو الكمال المنشود، بل لا بد أن يدفع الانس بالقرآن والتلذذ باستماعه الى حب التعرف على معارفه واسراره ومكوناته ولتحقيق ذلك ينبغي نشر المؤسسات والمدارس والمراكز القرآنية لتقود هذه النهضة المباركة بأذن الله تعالى.

روى السيد الحكيم (قده) في كتابه حقائق الأصول حادثة تحكي جانباً مما يلفظ به الله تعالى بعض عبادته من سعة الفهم لمعاني القرآن الكريم، قال (قده) تحت عنوان (فائدة) ألحقها ببحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى (حدث بعض الاعاظم دام تأييده - أنه حضر يوماً منزل الآخوند (ملافتح علي<sup>(١)</sup>) (قده) مع جماعة من الاعيان منهم السيد إسماعيل الصدر (قده) والحاج الميرزا حسين نوري صاحب المستدرک (قده) والسيد حسن الصدر (قده) فتلا الآخوند (قده) قوله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) (الحجرات/٧) ثم شرع في تفسير قوله تعالى فيها : حبب اليكم الايمان من الآية وبعد بيان طويل فسرهما بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضحوه أيضا وتعجبوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزلوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوما ذكر لهم معنى الى ما يقرب من ثلاثين يوماً فذكر لهم ما يقرب من ثلاثين معنى وكلما سمعوا منه معنى

(١) الظاهر بملاحظة القرائن انه الشيخ المولى علي محمد النجف آبادي من اعاظم العلماء له ترجمة في كتاب (نقاء البشر: ١٦/١٦٢٢)، لازم المجدد السيد الشيرازي في النجف والسامراء واختص لاحقاً بالمعقول والحكمة الإلهية وصفه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء - وهو من تلاميذه - بانه (اعلى من حضرت عليه في الحكمة والعرفان العارف الإلهي الذي كان من اكابر أساتذة الحكمة والعرفان وكان درسه في الاسفار ولكنه يتفجر بينابيع الحكمة) (عقود حياتي: ٥٩) توفي سنة ١٣٣٢ وصلى عليه السيد أحمد الكربلائي أستاذ السيد علي القاضي (رحمته)

استوضحوه، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس الله روحه (١).  
أقول: هذا غير مستغرب من أمثاله (قَلْبِيَّ) فانه كان من العارفين وأهل  
الصفاء والطهارة وإن من ثمرات سلوك طريق تهذيب النفس وتطهير القلب فهم  
معاني متعددة لآيات القرآن الكريم والروايات الشريفة كما افاد استاذنا الشهيد  
السيد محمد الصدر (قَلْبِيَّ) في احدى رسائله التي نشرتها في كتاب (قناديل  
العارفين).

## (وليستغفب الذين لا يجدون نكاحا) (النور: ٣٣) العفة رأس كل خير<sup>(١)</sup>

(العفة) ملكة وصفة نفسية كسائر الملكات النفسية مثل الشجاعة والكرم والحلم والرحمة: تحصن صاحبها من الإنقياد للشهوة وإتباع الهوى والوقوع في القبيح، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لمحمد ابن أبي بكر لما ولاه مصر (اعلم ان افضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (العفاف يصون النفس وينزهها عن الدنيا)<sup>(٢)</sup>، فالعفة كالتقوى من هذه الناحية ويمكن ان يكون الفرق بينهما ان العفة صفة ذات والتقوى صفة فعل والمتعفف من تحلى بتلك الملكة عن طريق الترويض ومجاهدة النفس، والاستعفاف طلب العفة.

واذا اطلق لفظ (العفة) فان الذهن العرفي ينصرف الى حفظ النفس من السقوط في اتباع الشهوة الجنسية بغير ما أحل الله تعالى ومخالفة احكامه في هذا المجال سواء على مستوى المظهر الخارجي كسفور المرأة او ميوعتها او عدم

(١) كلمة القيت يوم الجمعة ٥/ج ١٤٣٨/١ المصادف ٢٠١٧/٢/٣ بمناسبة ميلاد العقيلة زينب بنت

أمير المؤمنين (عليهما السلام) الذي أعلنه سماحة المرجع يوماً (راجع خبر الإعلان ص ٣٨٩).

(٢) الروايات المذكورة أوردها في ميزان الحكمة: ٧٢/٦ عن مصادرها

غض النظر الى غير ما أحلّ الله تعالى او العلاقات الجنسية غير المشروعة او أي انحراف في توظيف الحاجة الجنسية وإثارتها ونحو ذلك فهذا كله ينافي العفاف، وقد جاء الامر الإلهي صريحاً بتنزيه النفس في هذا المجال قال تعالى (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النور: ٣٣) والخطاب موجّه الى كلا الجنسين فأمروا بالتعفف وحفظ النفس من الحرام بالتزويج إن كانوا قادرين عليه ومؤهلين له، وإن لم تكن عندهم القدرة على التزويج فليتعففوا بالصبر والانشغال بالطاعات والاعمال المفيدة المثمرة والابتعاد عن المثيرات الجنسية وبمساعدة التذكر والالتفات الى ان الإنسان في محضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره وفي رقابة الملائكة (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: ١٨)، ومفتاح هذه الحصانة عملياً يتحقق بغض البصر (قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (النور: ٣٠-٣١).

وهذا الامر الشرعي لغض البصر ليس مختصاً بشريعة الإسلام وإنما هو موجود في الشرائع السماوية الاخرى، ففي أنجيل (متى: ٢٧/٥-٢٩) (قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزنا، واما أنا أقول لكم إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك، لانه خير لك أن يهلك احد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم)<sup>(١)</sup>

وقد بلغ التأديب الشرعي حداً دقيقاً في مجال العفاف لكلا الجنسين كقوله

(١) نقله عنه في تفسير الفرقان: ٢٠/٢٣٨.

تعالى (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) (النور: ٣١) ويكره للرجل ان يقعد في مكان قامت عنه المرأة حتى تذهب حرارة بدنهما عنه، عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (قال رسول الله ﷺ): إذا جلست المرأة مجلساً فقامت عنه، فلا يجلس في مجلسها رجل حتى يبرد<sup>(١)</sup>.

فالآية الكريمة تدعو الرجال والنساء الذين لم يتيسر لهم تلبية شهواتهم الجنسية بالزواج الى التعفف وحفظ النفس من الوقوع في الحرام الى ان يغنيهم الله من فضله ويهيئ لهم أسباب الزواج السعيد المبارك، وروى في صحيح البخاري عن رسول الله (ﷺ) قوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

هذا على صعيد تفسير الآية الكريمة والمعنى المتبادر من العفاف، لكننا ذكرنا في اول الحديث ان العفة جارية في كل انحاء السلوك ولا تقتصر على ما يتعلق بالشهوة الجنسية والعلاقة مع الجنس الاخر، وقد ورد لفظ العفاف بهذا المعنى في القرآن الكريم وبغيره أيضاً، فعلى صعيد التعفف من أي انحراف في توظيف الحاجة الجنسية قال الله تبارك وتعالى (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النور: ٣٣) وقال تعالى (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور: ٦٠) بحفظ نفوسهن عما تشتهي من التبرج والظهور للأجنبي وإبداء الزينة.

(١) الوسائل، ج ٢٠ كتاب النكاح، أبواب مقدمات النكاح، ب ١٤٥ ح ١.



وعلى صعيد عفة اليد من التجاوز على أموال الآخرين بغير حق قال تعالى (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ) (النساء: ٦) وعلى صعيد عفة النفس واستغنائها عن الطلب من الناس قال تعالى (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا) (البقرة: ٢٧٣) وفي عفة اللسان ورد قوله تعالى (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ) (النساء: ١٤٨) وفي عفة البطن ورد قوله تعالى (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس: ٢٤) وقوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) (الأنعام: ١٢١) وجمعت آية أخرى كل معاني العفاف، قال تعالى (إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (الأعراف: ٨٢) أي يتعففون وينزهون أنفسهم عن فعل القبيح في كل شؤون حياتهم.

وهكذا تنوعت الأحاديث الشريفة أيضاً فورد في عفة البطن عن أكل الحرام بسبب حرمة نفس الطعام والشراب كالخمر ولحم الخنزير واللحوم غير المذبوحة بطريقة شرعية او الأطعمة المتنجسة او بسبب حرمة المكسب او حرمة المال، قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إذا أراد الله بعبده خيراً أعتق بطنه وفرجه) وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج).

و ورد في عفة المعاملة مع الناس قولاً وفعلاً قول رسول الله (ﷺ) (من طالب حقاً فليطلبه في عفاف) أي بوسائل مشروعة ولأغراض صحيحة.

ويبلغ العفاف اسمى مراتبه في عفة القلب وطهارته من كل الرذائل الخلقية كالحقد والحسد والانانية والعصبية والرياء والعجب وغيرها ويتسامى اكثر فلا يسكن فيه غير محبة الله تبارك وتعالى (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ

بِقَلْبِ سَلِيمٍ) (الشعراء: ٨٨ - ٨٩) وسلامة القلب تعني طهارته وتعفّفه عن التعلق بما سوى الله تعالى، لما سئل الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عما يسمونه بالعشق بين الجنسين قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (قلوبٌ خلت من ذكر الله فاذاقها الله حب غيره)<sup>(١)</sup>

وعلى هذا يكون من الطبيعي ما ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (العفة رأس كل خير) لان حصول ملكة العفة في النفس تجعل الإنسان صالحاً مؤهلاً لاستقبال اللطاف والتوفيقات الإلهية كما ورد في القرآن الكريم في حق مريم (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (وَأَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ٩١) والفاء هنا للتفريع فعتها واحسانها كان سبباً لنيل هذه الكرامة، وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (اذا أراد الله بعبد خيراً أعفّ بطنه وفرجه).

### وتحصل ملكة العفاف بعلاجين: نظري وعملي:

اما النظري فمن خلال الالتفات الى أهمية العفة في استقامة الانسان وعظيم بركاها في الدنيا والآخرة، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (أفضل العبادة العفاف) وورد عنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في فضل من له القدرة على ارتكاب ما ينافي العفاف سواء في العلاقة مع الجنس الاخر أو أكل الحرام أو الظلم أو النيل من الآخرين بلسانه ونحو ذلك لكنه يمنع نفسه عن ذلك تعففاً قال (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم اجراً ممن قدر فعفّ، لكاد العفيف ان يكون ملكاً من الملائكة) وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (من عفّ خفّ وزره وعظم عند الله قدره) وجعل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حديث

(١) أمالي الصدوق: ٧٦٥ ح ١٠٢٩.

آخر من ثمراتها قلة الاحزان.

ومن العلاج النظري: ان يلتفت الإنسان الى قدر نفسه وعظيم ثمنها  
وحيث لا يرضى لها بغير العفاف والترفع عن اتباع الاهواء والشهوات  
والخوض في الأمور الدنية، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (ينبغي لمن عرف نفسه  
ان يلزم القناعة والعفة) وعنه (عليه السلام) قال: (من عقل عفا).

اما العلاج العملي: فنعني به ترويض النفس ومجاهدتها وتدريبها على  
القناعة بالقليل من الحلال اذا وجد، او الصبر اذا لم يحصل على القليل، ولذا  
يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) من يريد التأسي به بقوله (الا وانكم لا تقدرون على  
ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد) وفي حديث مروي عنه (عليه السلام)  
قال (أصل العفاف القناعة) وعنه (عليه السلام): (من قنعت نفسه اعانتها على النزاهة  
والعفاف).

وهذا واضح من أصل اشتقاق الكلمة لغوياً فقد قيل انها من (العفة) وهي  
بقية اللبن في الضرع فكان الضرع يعف بها عن الخروج ويحفظها فيه او ان هذه  
البقية من اللبن تعف عن ميل اللبن الى الخروج وتسمى (العُفافة) ايضاً فيقال  
عفت فلاناً أي سقيته العُفافة وهو (الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري  
مجري العُفافة، والعُفة: أي البقية من الشيء)<sup>(١)</sup>.

والحياء والعفة توأمان، فالحياء ينتج العفة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال

(١) مفردات القرآن للراغب الاصفهاني، مادة (عفا)

(سبب العفة الحياء) <sup>(١)</sup> وعنه (عليه السلام) قال (على قدر الحياء تكون العفة) وفي رسالة الامام الصادق (عليه السلام) الى شيعته التي امرهم بمدارستها والنظر فيها يومياً (عليكم بالحياء، والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم).

اننا اليوم احوج ما يكون الى إشاعة ثقافة العفة في جميع المجالات حيث تعاني المجتمعات من الانحراف الأخلاقي والاجتماعي والفكري والفساد المالي والإداري والكل يتحدث عن النزاهة والمبادئ العليا والاخلاق الكريمة وحقوق الانسان ولا نجد لها على الواقع بينما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (النزاهة آية العفة).

وتحقيق العفاف مسؤولية اجتماعية تضامنية يشترك فيها الجميع، فالشاب الذي يريد ان يتعفف ويحصن نفسه بالزواج ولا يجد الى ذلك سبيلاً يتحمل مسؤولية تزويجه القادرون على ذلك، وعفة اليد تتطلب مؤسسات فاعلة تثقف المجتمع بحرمة التجاوز على المال العام وتكافح الفساد، وعفة البطن تدعو الى مراقبة السوق وأنواع الكسب الموجودة لمنع الكسب الحرام وهكذا بقية المجالات.

وفي يوم العفاف الذي اختير له ذكرى ميلاد سيدة العفاف العقيلة زينب الكبرى (عليها السلام) نقف إجلالاً ونقدّم اسمى تحيات الاكبار والتعظيم للسيدات العفيفات على مر التاريخ وقدواتهن المباركات السيدة مريم ابنة عمران وآمنة بنت وهب أم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين التي كانت

(١) هذه الاحاديث عن الحياء نقلها عن مصادرها في ميزان الحكمة : ٥٠٩/٢

تُسمى (الطاهرة) في الجاهلية التي عم فيها الفساد، وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) التي كانت عابدة موحدة في الجاهلية الوثنية وفاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وزينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) عقيلة آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللواتي يفتخر الامام المعصوم زين العابدين (عليه السلام) بالانتساب لهن ويقف في مجلس الطاغية يزيد ويقول (أنا ابن نقيات الجيوب، أنا ابن عديمات العيوب)، ومن سار على نهجهن من النساء المؤمنات.

ونستذكر في هذه المناسبة المؤمنات العفيفات اللواتي مضين الى ربهن شهيدات صابرات صامدات في سجون الانظمة الطاغوتية الجائرة قديماً وحديثاً ولم يتنازلن عن شرف المبادئ السامية رغم التعذيب الوحشي فطوبى لهن وحسن مآب، واشكر الاخوة الذين وقفوا لإحياء ذكراهن واستعادة كلماتهن والتذكير بمواقفهن ضمن فعاليات هذا اليوم الشريف.

## وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين (١)

قال الله تبارك وتعالى: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (النور: ٥٥).

يتعرض المؤمنون في حياتهم إلى ضغوط عديدة من قبل أعدائهم وخصومهم في الفكر والعقيدة، وهذه الضغوط قد تكون على نحو الاستهداف بالقتل والتشريد والسجن والإرهاب، وقد تكون على نحو صناعة المشاكل الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية والشبهات العقائدية، وقد تكون على نحو التجويع والحصار الاقتصادي وحرمان الإنسان من حقه في حياة حرة كريمة، وغير ذلك.

ولا يتوقف الخصوم والأعداء عن هذه الممارسات التي تأخذ أشكالاً

---

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي القاه سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على عشرات الآلاف من الزوار المحشدين في ساحة ثورة العشرين لآحياء مراسيم استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) يوم الخميس ٣/٢/١٤٣٨ المصادف ٢/٣/٢٠١٧

متعددة قوية عيفة تارة وناعمة خفية تارة أخرى؛ حتى يهيمنوا على المؤمنين ويتسلطوا عليهم ويجردوهم من عقيدتهم وأخلاقهم ويحبطوا مشروعاتهم الإصلاحية ويدوبوا هويتهم على طريقة العولمة التي يتحدثون اليوم عنها، قال تعالى: [وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا] (البقرة: ٢١٧) وقال تعالى: [وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] (البقرة: ١٢٠) وهم ينطلقون في ذلك من أنانيتهم واستكبارهم وحبهم للدنيا واتباعهم للشهوات وحسداً للمؤمنين على طهارتهم وسموهم عن الرذائل والموبقات، قال تعالى: [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ] (البقرة: ١٠٩).

ويساعد على نجاح خطط هؤلاء الأعداء الخارجيين من داخل المجتمع المسلم حمقى ومناقون وجهلة وطلاب الدنيا وعُباد الشهوات. وفي ظل هذه الضغوط يعيش المؤمنون حالة من الضيق والقلق والخوف واليأس من نجاح مشروع الهداية والإصلاح فيأتي هذا الوعد الإلهي المذكور في الآية ليطمئنهم ويعيد إليهم الثقة بالنفس ويزرع في قلوبهم التفاؤل والأمل حتى يثبتوا على إيمانهم ويستمروا في أداء رسالتهم، ولا شك أن هذا الوعد حق لا يمكن أن يتخلف [ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ] (النساء : ١٢٢) [لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ] (الروم: ٦) [إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ] (آل عمران : ٩) (الرعد: ٢١).

نعم قد تطول المدة حتى يتحقق هذا الوعد الإلهي ولو في بعض مراتبه؛

لأن بناء المجتمع الصالح يحتاج إلى جهود مضيئة وعمل دؤب مع صبر ومصابرة ومرابطة وإلى زمن لتتحقق شروطه وظروفه ومقوماته، فعلى المؤمنين أن يستمروا بعملهم والقيام بمسئولياتهم وليس عليهم توقيت النتائج أو استعجال حصولها.

والوعد الذي تشير إليه هذه الآية التي نزلت في المدينة ذكرته آيات سبق نزولها في مكة<sup>(١)</sup> كالذي تضمنه قوله تعالى: [وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُتِمِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ] (القصص: ٥-٦) وقد كان المسلمون يومئذٍ قلة معدمين تلاحقهم قريش فتعذبهم وتحاصرهم وتصادر أموالهم وتقتلهم [وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (الأنفال: ٢٦)، فوعد الله تعالى المؤمنين بالأمور التي ذكرتها الآية:

١- الاستخلاف في الأرض بأن تكون بأيدي المؤمنين الصالحين العاملين  
الإمكانات المادية والمعنوية التي يستطيعون بها إعمار الأرض وتوفير الحياة  
الكريمة للبشرية جمعاء.

٢- تمكين الدين الذي ارتضاه تعالى لهم وهو الإسلام والانقياد لله تعالى:  
[وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] (المائدة: ٣) ويتحقق تمكين الدين بثباته  
واستقراره في القلوب والنفوس وعندما تكون له القيومية والسيادة على

(١) كقوله تعالى: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] (الأنبياء: ١٠٥) وقوله تعالى: [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ] (الصافات: ١٧١-١٧٣).



الأنظمة والقوانين والدساتير التي وضعها البشر بقصورهم وتقصيرهم.

٣- الحرية في الإيمان بالعقائد الحقّة وممارسة العبادة الخالصة لله تعالى ونبذ الشركاء جميعاً سواء كانوا أصناماً حجريّة أو بشريّة أو طواغيت أو أهواء أو عصبيات أو تقاليد، ويقترن ذلك بالأمن من الخوف وزوال الضغط والإرهاب عنهم وتأثير الشبهات والضلالات عليهم.

هذا في الدنيا أما في الآخرة فينبئك الله بتحقيق وعده [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] (الزمر: ٧٤).

لكن الوعد الإلهي بتحقيق هذه الأمور لا يتم بمجرد ادعاء الإيمان أو الاكتفاء بممارسة العبادات والشعائر الظاهرية من دون أن يتحول إلى حركة فاعلة دائبة تنطلق من منهج متكامل للحياة فيجعل المرجعية للدين الحق في كل شؤون الحياة وتفصيلها وفي كل عوالم الإنسان وسلوكه حتى في مشاعره وعواطفه وميوله فيجعل الله تعالى نصب عينيه ويجعل هدفه الوحيد تحقيق مرضاة الله تعالى وتجنب معصيته وغضبه سبحانه، لذا ذكرت الآية [منكم] أي ليس كلكم وإنما بعضكم الذي توفرت فيه هذه الصفات.

أما من ينتسب إلى الإسلام وربما الانتماء لأهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وربما يقيم الصلوات ويشارك في إحياء الشعائر الدينية لكنه يظلم الناس ويتجاوز على حقوقهم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يطبق أحكام الله تعالى في القضايا والوقائع فإنه ليس مشمولاً بهذا الوعد الإلهي لأن الخطاب موجّه إلى

الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [قَالَتِ الْأَعْرَابُ  
آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ]  
(الحجرات: ٤).

روي عن النبي (ﷺ) أنه كان جالساً مع أصحابه فجاء خبر إلى أحدهم  
بأن امرأته قد ولدت فتغير وجه الرجل فسأله النبي (ﷺ): عما أصابه، فقال:  
خرجتُ والمرأة في حالة مخاض وولادة وأخبرت الآن أنها ولدت أنثى، فسأله  
النبي (ﷺ): كم سنة مضت عليك في الإسلام، قال: سبع عشرة سنة، فقال  
(ﷺ): كل هذه المدة ولم يدخل الإيمان قلبك<sup>(١)</sup>.

فهذا الرجل رغم أنه من السابقين إلى الإسلام والمهاجرين الذين تحملوا  
الأخطار والمشاق، إلا أن هذه المشاعر القلبية منه سلبتة حقيقة الإيمان وإن كان  
مؤمناً بحسب الظاهر.

أيها الأحبة:

إن هذا الاستخلاف والتمكين ليس من الضروري أن يكون مقترناً  
بالوصول إلى السلطة والحكم<sup>(٢)</sup>، وإن كانت السلطة والحكم من العناصر  
المساعدة على الوصول إلى الهدف الأسمى أي تكون وسيلة وليست غاية وهي  
من مصاديق القوة التي أمر الله تعالى بإعدادها [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ

(١) الحادثة مروية في المصادر مثل وسائل الشيعة: ١٥/١٠١ ح ٢ لكن ذيلها لم نعر عليه في حدود  
البحث الذي أجريناه.

(٢) بل قد تكون السلطة وبالأعلى أصحابها عندما ينظرون إليها على أنها غنيمة يحوزونها بجشع

قُوَّةٍ] (الأنفال: ٦٠).

فالملاحظ في تحقق الوعد الإلهي هو حصول النتائج التي ذكرتها الآية الكريمة، فبالرغم من أن السيدة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) والأئمة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كانوا في مظلومية دائمة ومستمرة وإقصاء كامل إلا أنهم كانوا القدر المتيقن من المقصودين بآية الوعد الإلهي، وقد أكد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذه الحقيقة بصراحة ووضوح حينما جمع أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قبيل وفاته وقال لهم: (أنتم المستضعفون بعدي) وهي تعني فيما تعنيه أنتم المقصودون بالوعد الإلهي للمستضعفين بالاستخلاف والتمكين ووراثة الأرض ولو على يد حفيدهم المهدي الموعود (عجل الله فرجه الشريف) وقال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في بعض كلماته: (ونحن على موعود من الله تعالى حيث قال عز اسمه [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ])<sup>(١)</sup>.

لقد كانت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) على ثقة تامة بهذا الوعد الإلهي رغم أنها بحسب الظاهر كانت امرأة مستضعفة ومسلوبة الحقوق وزوجها مكبل وقد فقدت الناصر والمعين وهي تواجه خصماً بيده السلطة مدججاً بالسلاح ومحفوظاً بالأعوان المتأهبين لفعل كل شيء بلا رادع لكنها تخاطبهم بكل شجاعة وثبات وثقة بالنفس واطمئنان بالنتائج بقولها (عَلَيْهَا السَّلَامُ): (وأبشروا بسيف صارم يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم!

(١) نهج البلاغة، من كلمته (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لعمر بن الخطاب لما استشاره في الخروج إلى العراق لقتال

[أَنْزَلْنَاكُمْ مَوَّاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] (هود: ٢٨)<sup>(١)</sup>.

إنها ليست لغة الأسير المستضعف بل لغة الواثق بالنصر والذي يرى هزيمة خصمه عين اليقين، فتحدّرهم من سوء العاقبة والمصير.

وقد ورثت ابتها العقيلة زينب (عليها السلام) هذه الثقة بالوعد الإلهي فقالت مخاطبة يزيد الطاغية المتفرعن المغرور بالنصر الذي توهمه: (فكِد كيدك واسعَ سعيك وناصر جهديك، فوالله لا تمحون ذكرنا، ولا تميت وحيناً، ولا تدرك أمدنا، ولا ترخصُ عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي [ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ] (هود : ١٨)<sup>(٢)</sup>.

### أيها الإخوة والأخوات:

إننا نتلمّس اليوم بوضوح جملة من علامات تحقق هذا الوعد الإلهي بإظهار الدين الذي ارتضاه على كل الأنظمة الوضعية المصطنعة وتمكين المؤمنين الصالحين من أخذ دورهم في إعمار الأرض بما ينفع البشرية كلها ويعبّد لها طريق الهداية والصلاح، ومن تلك العلامات:

١- وصول صوت أهل البيت (عليهم السلام) إلى جميع الشعوب حتى تتعرف على المبادئ الإنسانية السامية التي يريدون إقامتها مما وُلد مقبولة واسعة لهذه المدرسة المباركة لدى الشعوب وإقبالاً متزايداً على الانتماء لها.

٢- تصاعد مستوى الشجاعة والتضحية في سبيل الله وحماية المقدسات

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٠/١.

(٢) راجع مصادر الخطبة في كتاب الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه: ١١٢٥.

وامتلاك المبادرة والإقدام والشعور بالمسؤولية لدى المستضعفين، وقد تجلّى كل ذلك في العمليات التي تخوضها قواتنا المسلّحة بكل صنوفها وأبطال الحشد الشعبي وقوافل الدعم اللوجستي خصوصاً في معارك الموصل الأخيرة حيث اعترف قادة جيش أقوى دولة في العصر الحديث بأن هذه المعركة تصعب على أي جيش في العالم مع ما رافقها من النبل وسمو الأخلاق والنضحية من أجل الإنسان أي إنسان بغضّ النظر عن دينه وطائفته وقوميته.

٣- تنامي حالة الوعي واليقظة لدى الأمة وإدراك تحديات المرحلة ومتطلباتها وهذه الحالة وإن كانت في بداياتها إلا أنها تبشّر بخير بإذن الله تعالى.

٤- ظهور علامات الضعف والضمور والتفكك عند الدول المستكبرة وازدياد مشاكلها التي تعجز عن حلّها فتحاول التخلص منها بتصديرها إلى الخارج.

### أيها المؤمنون:

لكي نساهم في تحقيق هذا الوعد الإلهي واكتماله بظهور منقذ البشرية بقية الله في أرضه وحجته على خلقه إمامنا المهدي الموعود (أرواحنا له الفداء) فعلينا أن نبذل قصارى جهودنا في إدامة وتعزيز هذه العلامات المذكورة، وقد ذكرت آية كريمة أخرى صفات وأعمال الذين يُمكن لهم في الأرض، قال تعالى: [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] (الحج: ٤١).

وعلينا أيضاً أن نتجنب كل ما يعرقل هذه الحركة المباركة نحو التكامل من عصيان وتمزق وتشتت وصراعات وخوض في الباطل واتباع للشهوات

والأهواء وأن نعي مؤامرات الأعداء ونحذر منها وهي كثيرة وخطيرة ومعقدة لكنها لا تخفى على القيادة الرشيدة وأهل البصائر، تبدأ من نشر مظاهر الفسق والفساد وتجريد المسلمين من عناصر هويتهم العقائدية والأخلاقية، وتنتهي بانقلاب القيم والأفكار حتى يستحي المسلم من إعلان هويته والدعوة إلى مشروعه ويتباهى بتبعيته وذوبانه في المشروع المعادي<sup>(١)</sup>.

وهذا مما حذر رسول الله (ﷺ) أمته منه في الحديث المشهور (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ ف قيل له: ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرُّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ ف قيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرُّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)<sup>(٢)</sup>.  
إن هذه التحديات الهائلة تضاعف علينا المسؤولية، فليستمد المؤمنون من

(١) ونقل هنا نموذجاً مما يريدون فعله أنقله من قراءة وترجمة أحد الإخوة - وهو المغترب العراقي المقيم في هولندا عزيز الدفاعي - لكتاب (محو العراق: خطة متكاملة لاقتلاع عراق وزرع آخر) ووصفه الكاتب بأنه تطبيق لكتاب سابق بعنوان (فهم الشر: دروس من البوسنة) من خلال مصطلح (إبادة الشر) جاء فيه (هدم كل قيم التضامن وعلاقات الجوار والأحياء السكنية وبناء نظام الحواجز المادية والنفسية والدينية وسيطرة الارتياب والخوف من الآخر، والأخطر انقلاب المقاييس حيث يصبح المتشاطر ذكياً، والنيل العفيف غيباً لأنه لا يشارك في الوليمة العامة والنهب، ويصبح اللص سوياً والشريف منحرفاً وغيرها من التناقضات التي تقلب منظومة القيم الأخلاقية والسياسية السوية لصالح نقيضها من خلال خطة منسقة لأعمال مختلفة تهدف إلى تدمير الأسس الأساسية للمجتمع).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب

هذا الوعد الإلهي العزيمه والهمة والقدرة غير المحدودة على مواصلة العمل الرسالي حتى تحقيقه بإذن الله [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (محمد:٧) [إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا] (المعارج: ٦-٧).

(١) **(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات)**

(مريم: ٥٩)

قال الله تبارك وتعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) (مريم: ٥٩) أي جاء من بعد (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح) (مريم: ٥٨) أجيال غير صالحين لذا قرأت (خلف) بالسكون اما الذريات الصالحة فتقرأ بالتحريك (خلف) كما عن المشهور.

وذكرت الآية صفتين لهم وعلامتين لانحرافهم عن خط اسلافهم الصالحين بينهما ارتباط وثيق وهما (إضاعة الصلاة) و (اتباع الشهوات) وقد ترجعان الى واحدة أي ان كلاً منهما تؤدي الى الأخرى، فقد يكون الأصل في الانحراف إضاعة الصلاة، اما الثانية وهي اتباع الشهوات فهي نتيجة للاولى لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فاذا اضاعوها فقدوا المناعة التي تحصنهم فوقعوا فريسة تزيين الشيطان واغرائه وسقطوا في اتباع الشهوات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (لا يزال الشيطان يربع من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فاذا ضيعهن تجرأ عليه واوقعه في العظام)<sup>(٢)</sup> وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الصلاة حصن

(١) القيت بتاريخ الجمعة ٢٥/٢/١٤٣٨ الموافق ٢٤/٣/٢١٠٧

(٢) راجع مصادر الاحاديث المذكورة هنا في ميزان الحكمة: ١٠٧/٥ وما بعدها.



من سطوات الشيطان) فذكر تضييع الصلاة دون غيرها من الواجبات لأنها عمود الدين وعنوان صحيفة المؤمن والعاصمة للإنسان من الانجرار نحو التسافل.

لذا ورد في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) قال: (ما بين المسلم وبين الكافر الا ان يترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصلّيها) لانه بترك الصلاة يبقى مكشوفاً للاعداء - وهم شياطين الجن والانس والشهوات واهواء النفس - لا يملك ما يحميه منهم فيبدأ سلوكه بالانحدار ولا يقف السقوط الى حد معين حتى يستقر في قعر جهنم، وهذا مجرب وله أمثلة كثيرة في الواقع لا تخفى عليكم لأشخاص تركوا الصلاة اولاً ثم انحدروا و أوغلوا في الموبقات.

وعلى العكس من الانحدار فان الترقى في درجات الكمال يبدأ من هذه الصلاة وعن طريق هذه الصلاة بحسب مراتب أدائها، ففي الحديث النبوي الشريف قال (ﷺ): (إن الصلاة قربان المؤمن) وفي تعبير اخر (الصلاة معراج المؤمن) وفي آخر (الصلاة قربان كل تقي) و(إضاعة الصلاة) لها مراتب عديدة، اوضحها تركها من اصلها وهي المرتبة التي جعلتها الاحاديث الشريفة المتقدمة قرينة لبعض مراتب الكفر.

وتليها حالة عدم الالتزام بتأديتها في اوقاتها المخصّصة لإدائها أي عدم الاكتراث بفواتها، وفي مجمع البيان عن أبي عبدالله (عليه السلام) في تفسير الآية قال: (اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها اصلاً). وروي عنه (عليه السلام) قوله في الصلاة: (واذا لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله)

وفي الكافي بسنده عن داود بن فرقد قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) (النساء: ١٠٣) قال عليه السلام): (كتاباً ثابتاً وليس أن عجلت قليلاً أو أخرت قليلاً بالذي يضرك ما لم تضيع تلك الاضاعة فان الله عز وجل يقول لقوم (أضاعوا الصلاة وأتبعوا الشهوات فسوف يلقون عقاباً) (مريم: ٥٩).

وتليها حالة اتيانه بالصلاة لكن ليس على وجهها الصحيح من حيث اجزائها وشرائطها واقوالها وافعالها فلا يتم له ركوع أو سجود أو طهور أو قراءة واشباه ذلك من الصلاة التي وصفها النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنها نقر كنقر الغراب، وقال البعض بأن الآية تنطبق على أهل هذه المرتبة اكثر من المرتبتين السابقتين لان معنى ضياع الشيء تلفه وخرابه أو افتقاده بسبب سوء تدبير الذي بيده ذلك الشيء فوضعه في غير موضعه، فالإضاعة لا تصدق الا مع التفريط بالشيء بعد وجوده اما من لا يوجد عنده الشيء اصلاً فقد لا تصدق عليه الاضاعة، فهذا الخلف المضيع للصلاة ورث الصلاة من اسلافه الصالحين الا انه فرط فيها وضيعها ولم يعتن بها وغير فيها واستهان بها فلم يحسنوا الخلافة فيها كما سيأتي ان شاء الله في رواية البخاري، ولا أرى مانعاً من دخول جميع المراتب المتقدمة في عنوان إضاعة الصلاة فان من تركها اصلاً يصدق عليه التضييع لأنه اعطي هذه الصلاة لكنه لم يؤدها.

وتوجد مرتبة أخرى لإضاعة الصلاة تخفى الا عن أهل المعرفة وهي إضاعة حقيقتها وجوهرها وثمرتها وهي المعراجية الى الله تبارك وتعالى والنهي عن الفحشاء والمنكر فهو يؤدي الصلاة في اوقاتها ويدقق في الاتيان بأجزائها

وشرائطها الا انه لا يتكامل بها ولا ترتقي احواله وعلاقاته بربه بها. عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (اعلم ان الصلاة حجة الله في الأرض، فمن أحب أن يعلم ما ادرك من نفع صلاته، فلينظر: فان كانت حجزته عن الفواحش والمنكر فانما ادرك من نفعها بقدر ما احتجز).

وقد يؤدي الإنسان خلال عمره آلاف الصلوات<sup>(١)</sup> من دون ان تحصل له حالة الارتقاء والسمو في درجات المعرفة والكمال، روى الشيخ الصدوق بسنده عن حماد بن عيسى - ويعلم اهل الاختصاص أن حماد من ثقات الرواة عن الصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) - قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يوماً تُحسن أن تصلي يا حماد؟ قال: قلت: يا سيدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة، قال: فقال (عليه السلام) لا عليك قم فصلِّ قال فقممت بين يديه متوجهاً الى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت فقال: يا حماد لا تحسن ان تصلي؟! ما أقبح بالرجل أن تأتي عليه ستون سنة او سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة؟!)<sup>(٢)</sup> ثم قام الامام (عليه السلام) وصى أمامه الصلاة القربانية الخاشعة فالتويخ لم يصدر لترك الصلاة أو عدم الالتزام بها وإنما لعدم الوصول الى حقيقتها، ولعدم تحقق الاستفادة التامة من ثمرتها.

والصفة الثانية للخلف غير الصالح (اتباع الشهوات) وهو له صور عديدة

(١) الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمسة غير المستحبات ففي السنة ١٨٠٠ وفي عشر سنوات

ثمانية عشر الف صلاة

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ح ٩١٥/باب وصف الصلاة

بحسب عمر الانسان وعمله وموقعه الاجتماعي والسياسي والديني وغير ذلك من المؤثرات، فالشباب يغريهم اللهو واللعب والمتعة الجنسية وهوس المودة في الملابس والمظهر الخارجي وتقليد الأجانب ولربما الانخراط في جماعات العنف والقتل والابتزاز والاختطاف.

والسياسيون تسكرهم السلطة والنفوذ والاستيلاء على المال العام وكثرة المؤيدين وتسلط الاعلام. والنساء يستهويهنَّ التجميل وإظهار الزينة حتى لغير من أحلَّ الله تعالى ونصب الفخوخ للرجال. والتجار في السوق يلهثون وراء الأموال بأي طريقة حصلت ولو كانت عن طريق الغش والظلم والبخس والتطيف وغير ذلك كثير من اشكال اتباع الشهوات.

وتذكر الآية الكريمة العاقبة الوخيمة لإضاعة الصلاة واتباع الشهوات (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) والغى مقابل الرشد الذي هو إصابة الحق قال الله تعالى: (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: ٢٥٦) كالضلال في مقابل الهدى الذي يعني الوصول الى الغاية المقصودة ، فهؤلاء سوف يلاقون الغي، وقد اطلق لفظ الغي أي سواء في الحياة الدنيا وحين الموت وما بعده وفي الآخرة، ففي الدنيا يقعون في الجهل والضلال ويفقدون البصيرة والرشد والحكمة وفي الآخرة يلقون جزاء ذلك (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) (الفرقان: ٦٨) لأنهم اوقعوا انفسهم في الغي والضلال فيلاقون جزاءه (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النمل: ٩٠).

لكن لا ينبغي لمن اغراه الشيطان وغلبته اهواؤه وشهواته أن ييأس من روح الله تعالى ورحمته والرجوع اليه لذا جاءت الآية التالية مباشرة لترزع هذا الأمل (إِلَّا

مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (مريم: ٦٠).  
والآية تبين بوضوح ظاهرة اجتماعية وسلوكاً عاماً يحصل عند غياب كل  
القادة العظام من الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) أو قادة الثورات  
الإصلاحية وهو الانقلاب على التعاليم الإلهية ووصايا الأنبياء والرسل والرجوع  
الى حالة الانحطاط من خلال إضاعة حقيقة الصلاة واتباع الشهوات والانخداع  
بالدنيا.

فلم يكن ما حصل بعد رحيل رسول الله (ﷺ) من انقلاب بدعاً من  
السلوك وانما هي نسخة متكررة من الأمم السابقة، تلك الحالة التي يبدي الله تعالى  
أسفه عليها (يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)  
(يس ٣٠) وكان هذه الآية المكية وامثالها تنبه الامة الى هذا الخطر المترقب لئلا  
يقعوا فيه، وليس لهم عذر في ذلك لان النبي (ﷺ) حذرهم منه في مناسبات  
عديدة كقوله (ﷺ): فيما رواه عنه الامام الباقر (ع) في تفسير قوله تعالى  
(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) (الانشقاق: ١٩) قال (ﷺ) (لتركن سنة من كان قبلكم  
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا تخطئون طريقهم قال (ع) قالوا: اليهود  
والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال (ﷺ): فمن أعني؟ لتنقض عرى الإسلام عروة  
عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الامامة و اخره الصلاة<sup>(١)</sup>.

روى البخاري في صحيحه عن النبي (ﷺ) قال: (أنا فرطكم على الحوض  
ليرفعنَّ إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويتُ لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربُّ

(١) تفسير القمي: ٤١٢/٢.

أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)

وفي نفس المصدر بسنده عن الزهري قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضُيِّعت)

ويبدو ان هذه الظاهرة متكررة في جميع الأجيال وعند كل انعطافة تاريخية ومفترق طريق يحصل عند غياب أصحاب الرسالات والمشاريع الإلهية، او عند اقبال الدنيا وتوسع خيراتها كما حصل للمسلمين الأوائل عند نجاح الفتوحات الإسلامية وهزيمة الامبراطوريتين الفارسية والرومية، أو ما حصل لساسة العراق الجدد بعد عام ٢٠٠٣، فكم من القادة العظام يتعبون ويضحون وقد يستشهدون ثم ترثهم وتخلفهم جماعات تدعي الانتساب اليهم وترث الامتيازات عنهم لكنها تضيِّع مشروعهم العظيم، قال تعالى في موضع آخر (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأعراف: ١٦٩)

امام هذه الحقيقة التي يكشف عنها القرآن الكريم ويؤكد تكرارها عبر الأجيال لا يحقّ للمؤمنين الرساليين ان يكتفوا بتحريك الستهم بقول انا لله وانا اليه راجعون أو لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ونحو ذلك بل لابد من العمل بما تقتضيه هذه الكلمات المباركة و التحرك لحث الناس على إقامة الصلاة ووعي حقيقتها والاستفادة من آثارها المباركة في الدنيا والآخرة وتعليمهم احكامها

التفصيلية ومقدماتها وسننها وآدابها وغير ذلك وتحذّر الناس في جميع مستوياتهم وعلى اختلاف مواقعهم من الانخداع بالدنيا والاعتزاز بمظاهرها البراقة الخادعة واتباع الشهوات والتأثر باهل المعاصي.

ولكي تحقق الحركة أفضل النتائج ينبغي ان تقوم بهذه المسؤولية مؤسسة وجماعة تأخذ على عاتقها احداث هذه النهضة المباركة بأذن الله تعالى قال تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (آل عمران ١٠٤) وهذه دعوة صريحة لإقامة مثل هذه المؤسسات و الجماعات لكل باب من أبواب الخير ولكل مورد من موارد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فإقامة الصلاة مؤسسة ولايتاء الزكاة مؤسسة ولتشجيع الزواج وتكثير النسل مؤسسة ولاصلاح ذات البين ورفض الطلاق مؤسسة وللعفاف مؤسسة وللتشجيع على القراءة ونشر الكتاب مؤسسة وللشعائر الدينية مؤسسة وغير ذلك كثير (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل: ١٢٨).

## (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) إنبعث الحياة المعنوية<sup>(١)</sup>

قال الله تبارك وتعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج:٥)

صورة طبيعية محسوسة للإنسان تكرر ذكرها في القرآن الكريم، وهي واحدة من الآيات الإلهية الدالة على قدرة الله تعالى ككثير من الآيات الأخرى التي لا تعد ولا تحصى، ولكن عامة الناس يغفلون عنها ولا تمثل لهم شيئاً ملفتاً للنظر أو ابداعاً يحفزهم على التأمل والتفكير بسبب طول الفتهم معها وتكررها عليهم في حياتهم، والشيء اذا أصبح مألوفاً فقد بريق اعجازه وابهاره لدى عامة الناس الا من اعطاه الله البصيرة والفهم.

وهذه واحدة من تلك الآيات حيث ترى الأرض قاحلة جرداء لا حياة على ظاهرها فينزل الله تعالى عليها الماء فتتحرك فيها الحياة وتنبت انواعاً من الأشجار والنباتات المختلفة في الاشكال والاثمار والفوائد، فمن الذي وهبها الحياة وهياها لهذا العطاء غير الله تعالى.

ومثلها قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ

(١) القيت يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/٥/١٩ بمناسبة النصف من شعبان واستقبال



بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) (السجدة: ٢٧) والجزر:  
الأرض التي لا نبات فيها من الأصل، وغيرها من الآيات التي سنذكر بعضها وهي  
تركز على هذا المشهد لانه محسوس ومدرك بالوجدان ولا يصعب على المتلقي  
فهمه، وينتقل ذهنه بسهولة الى الغرض من التذكير بهذه الآية الإلهية لأخذ  
الدروس والعبر، كما تضرب الأمثال لتوضيح مقصود المتكلم، قال تعالى  
(وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (إبراهيم: ٢٥) وقال تعالى (وَتِلْكَ  
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت: ٤٣) وقال تعالى (وَتِلْكَ  
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: ٢١).

وسيق هذا المشهد الطبيعي مثالا لإيصال أكثر من معنى ظاهري وباطني.

الأول/ معنى ظاهري مصرح به في الآيات القرآنية وهو جواب الكفار  
والملحدين والمنكرين للمعاد الذين يرفضون الايمان ببعث الانسان من قبره  
وتعرضه للحساب على اعماله ويعتبرون ذلك مستحيلاً، وقد حكى القرآن الكريم  
جملة من تشكيكاتهم، قال تعالى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي  
الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)  
(يس: ٧٨-٧٩) وقال تعالى (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا \* أَوْ لِمَا  
يَذُكَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) (مريم: ٦٦-٦٧)

ويصورون للعامة ان ما يذكره الأنبياء أوهام وخرافات فيحرضون الغوغاء  
ضدّهم قال تعالى حاكياً مقاتلهم (أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ  
مُخْرَجُونَ \* هِيَ هَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ \* إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ \* إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ  
(المؤمنون: ٣٥-٣٨) .

بمثل هذا الصخب والتضليل واجهوا دعوات الأنبياء (عليهم السلام) فيأتي الله تعالى بهذا المثال لتقريب الجواب والقاء الحجة عليهم ضمن عدة حجج لاثبات المعاد ولم تقتصر على هذه في حوار عقائدي طويل استغرق آيات كثيرة خصوصاً في القرآن المكي، قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فصلت: ٣٩).

وقال تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْمَاءِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (فاطر: ٩)

وقال تعالى (فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الروم: ٥٠)

وقال تعالى (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف: ٥٧)

وفحوى هذه الحجة: انه اذا جاز احياء الأرض الميتة بإخراج النبات منها بعد سقيها الماء، جاز احياء الأجساد الميتة بقدرة الله تعالى، لان حكم الامثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد فكما الأرض الميتة توضع فيها النواة او البذرة التي فيها حقيقة النبات وشفرته الحياتية، وتسقى بماء انزله الله تعالى من السماء، كذلك الابدان الميتة المتأكلة يرسل اليها حقيقة الحياة المتمثلة بالروح ويسقيها بماء

الرحمة واللطف والعدالة ليعيد اليها الحياة.

وفي كلتا الحالتين فان البدن مادة مضافة لأصل الحقيقة ومهما بليت وتلا شت فإنه يمكن تجميعها وإعادة تشكيلها، كما لو بردت قطعة من الحديد وتحولت الى ذرات متناثرة فانه من السهل تجميعها من جديد بواسطة قطعة مغناطيس فلماذا يستكثرون ذلك على الخالق العظيم، لهذا كان الرد في بعض الآيات بسيطاً وواضحاً ومخجلاً للمنكر كقوله تعالى فيما نقلناه من سورة يس أنفا (وَتَسِيَّ خَلْقَهُ) فهو لم يكن الا كروموسومات في حيمن وبيضة الوالدين واكتسب مادة من غيره ليصبح هذا المخلوق العظيم.

ويلاحظ أن نسبة الحياة الى الأرض مجازاً والا فانها تنسب الى النبات حقيقة كقولنا جرى الميزاب ونعني الماء النازل منه بعلاقة الحال والمحل. على ان احياء الأموات وبعثهم من القبور اقوى ملاكاً واشد حاجة لإقامة العدل ومكافأة المحسن ومعاقبة المسيء وإنصاف المظلوم من الظالم وإعادة الحقوق الى أهلها، اما تزيين الأرض بأنواع النباتات فانه فضل وكرم وإحسان من الله تعالى.

الثاني: معنى خفي يلتفت اليه أهل المعرفة وهو ضرب المثل للنفس الامارة بالسوء التي غلبت عليها الذنوب، وللقلب الذي أماتته الشهوات وران عليه صدأ الغفلة والمعاصي (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين: ١٤) فانها كالإرض الميتة القاحلة الجرداء ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (ومن قل ورعه

مات قلبه<sup>(١)</sup> وفي دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وأما قلبي عظيم جنايتي)، فاذا سقاها الله تعالى بنور المعرفة والبصيرة وامطر عليها ماء الرحمة واللطف انبعثت فيها حياة الايمان وانجذبت الى عالم المعنى واستيقظت من غفلتها (اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ) فتدفقت منها الآثار الصالحة على الجوارح وشملت بركاتهما الآخرين.

ورمزية الأرض للنفس والماء للمعرفة تشبيه معروف لدى أهل المعنى، ولذا حملنا في بعض خطاباتنا<sup>(٢)</sup> مضمون الخبر الشريف عن عصر الظهور بأن (الأرض تخرج كنوزها وانها ليست من الذهب أو الفضة)<sup>(٣)</sup> على هذا المعنى أي ان النفوس تطهر وتركو حتى تبرز معادنها العلوية الأصلية.

وهذه الرمزية لها شواهدا في القرآن الكريم كقوله تعالى (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس: ٢٤) حيث فسرتها الروايات بالعلم والمعرفة ممن يأخذها<sup>(٤)</sup> وهكذا بقية الآيات.

(١) نهج البلاغة: من قصار الكلمات، رقم ٣٤٩.

(٢) خطاب المرحلة: ٢٩٠/٧ بعنوان (كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)).

(٣) بحار الانوار ج ٥٢/ح ٨٣/ص ٣٤٤ (قال الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الارض بركاتهما، ورد كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الاسلام، ويعترفوا بالايمان، أما سمعت الله سبحانه يقول: (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وإليه يرجعون) (آل عمران: ٨٣) وحكم بين الناس بحكم داود، وحكم محمد ﷺ فحينئذ تظهر الارض كنوزها وتبدي بركاتهما، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعا لصدقته ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين).

(٤) راجع الروايات في تفسير البرهان: ١٠٧/١٠.

وهذا المعنى واضح الانطباق على المثل المذكور فعندما تقرأ قصة توبة بشر الحافي على يد الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) تستحضر هذه الصورة القرآنية بوضوح حيث تجد قلب بشر ونفسه كأرض قاحلة خالية من الحياة المعنوية لانها مهملة متروكة فعبثت بها العاديات فانغمس صاحبها في المعاصي والملاهي والفجور، ولكن الغارس الماهر عرف انها أرض صالحة للزراعة وانبعث الحياة فيها، فلما وضع البذرة الطيبة فيها بقوله (لو كان سيدك عبداً لاستحيا من مولاه) وسقاها بالطفاه المعنوية دبّت الحياة في تلك الأرض الهامدة وانقلب بشر اللاهي العابث العاكف على المعاصي المغترّ بالدنيا الميّت معنوياً الى بشر العارف البصير الزاهد في هذه الدنيا الزائفة، الحي اليقظ بالمعارف الإلهية.

وعلى العكس من هذا فان قلب البعض يكون (كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) (البقرة: ٧٤) فلا ينبت فيها زرع، بحيث ان نفس الآيات المباركات تنزل على الأول فيزداد ايماناً وتسليماً وتنزل على الثاني فيزداد عتواً واستكباراً (وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (الإسراء: ٨٢).

وضرب الله تعالى لهذين بنفس مثال الارض فوصف الاول (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْهُ أَكْطُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٦٥) اما الثاني (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٦٤) والصفوان: الحجر الاملس، والوابل: المطر عظيم القطر، والطل: المطر صغير القطر، والجنة: البستان، والرَبْوَة: المكان المرتفع يكون شجره انضر

وثمره اكثر.

هذه الانبعاثة للحياة المعنوية هي وظيفتنا في عصر الانتظار والترقب بأن نجعل أنفسنا ارضاً صالحة للحياة عندما تتلقى النبتة الطيبة وينزل الله تعالى عليها ماء الرحمة، فاذا تحققت فانها الفرج الحقيقي وانفتاح القلب والنفس على الامام المهدي الموعود صلوات الله وسلامه عليه، فكما ان الأرض لها ربيع تهتز فيه وتربو كذلك القلوب، من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب)<sup>(١)</sup> ومن كلام له (عليه السلام) (وانما ذلك - أي الموت والحياة - بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء)<sup>(٢)</sup>.

وبين أيدينا شهر رمضان وهو من أعظم المناسبات لإحياء القلوب وإزالة ما ران عليها بسبب الغفلة والمعاصي وهو الربيع الذي تزدهر فيه الحياة لكل الاعمال الصالحة، وقد منَّ الله تعالى به على عباده ليتعرضوا فيه الى موجبات رحمته ونفحاته القدسية.

وللكلام تفصيل في أسباب موت القلوب وحياتها نسأل الله تعالى التوفيق لبيانها.

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٠

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٣٣

## (يا أيُّها الإنسان ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)<sup>(١)</sup>

قال الله تبارك وتعالى (يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (الانفطار:٦) وهو خطاب موجّه الى الانسان على شكل سؤال واستفهام لكنه ليس لطلب المعرفة لان الله تعالى محيط بكل شيء علما، وإنما هو استنكاري لتوبيخ وعتاب المخاطب وتعجب من عصيان الانسان لربه الكريم وتنبيه العاصي لقبيح فعله، فظاهر السؤال عن العلة وسبب الاغترار وحقيقته عن النتيجة وما حصل بالاغترار أي محاسبته على ما صدر منه من معاصي فيسأله ما الذي غرّر بك ودفعتك وسوّلك حتى عصيت ربك الكريم وتمردت عليه، وهذا فعلٌ مخالفٌ للفطرة الإنسانية التي توجب مقابلة الإحسان بالإحسان، لذا يصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (أحمق الحمق الاغترار)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرت الآية عدة عناصر تجعل الحجة أبلغ والتوبيخ أعنف:

(أولها) توجيه الخطاب اليه بما انه انسان عاقل مدرك للمسؤولية ولقواعد التعامل وقد أنعم الله تعالى عليه بنعم لا تعد ولا تحصى وقد ذكرت الآيات التالية بعضاً منها (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الانفطار:٧) الخ، وليذكره بأنّ انسانيته

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر المبارك يوم الاثنين ١/شوال/١٤٣٨ الموافق ٢٦/٦/٢٠١٧

(٢) غرر الحكم: رقم ٢٩١٥

هي أعظم النعم (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون: ١٤).

(ثانيها) ويقول له: انك بمعصيتك تجاوزت على ربك الذي تولى تربيتك ورعايتك وصناعتك ودبر شؤونك كلها وانت لا تعلم.

(ثالثها) وتعديت على الكريم الذي أغدق عليك النعم من دون مقابل ولا توقع نفع منك فإنه تعالى غني عن العالمين، وقد كان من كرمه أنه حلم عنك ولم يعاجلك بالعقوبة وفتح لك باب التوبة والرجوع ولم يمنعه طول العكوف على المعصية من الاستمرار في إحسانه، ولم يقف كرمه عند العفو عن السيئات بل يبدلها إلى حسنات وغير ذلك من مظاهر الكرم.

والتغيير: الخداع والاستغفال والتجهيل بإراءة ظاهر محبوب تميل إليه النفس لكنه لا حقيقة له واخفاء الباطن والحقيقة حتى يسوقه الى الغرض الذي يريده على غفلة منه فإثارة السؤال فيه تنبيه من الغفلة والقات نظر الانسان إلى ما هو عليه من حالة الاغترار الذي ادى به لهذا التجاوز الكبير وتحذير من الوقوع فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمر)<sup>(١)</sup>.

والمستفاد من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة أن أسباب الاغترار الموجب للوقوع في المعصية عديدة منها:

١- المظاهر الدنيوية الخداعة من مال وجاه ومناصب وانتماءات وعصبيات (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) (الأنعام: ٧٠) (وَمَا الْحَيَاةُ



الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: ١٨٥) اي الخداع والوهم، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (لا تغرّك العاجلة بزور الملاهي، فإن اللهو ينقطع ويلزمك ما اكتسبت من المآثم)<sup>(١)</sup>.

٢- تزيين إبليس وجنوده (فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (لقمان: ٣٣) والغرور صفة مشبهة لكل من تأصل فيه تغيير الآخرين لذا فُسر بالشیطان لانه كذلك (يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) (النساء: ١٢٠).

٣- أمانی النفس واهواؤها وميلها الى اللذات واتباع الشهوات والعجب والاتكال على الذات (وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الحديد: ١٤). من وصية النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لابن مسعود (لا تغترن بصلاحك وعلمك وعملك وبرك وعبادتك)<sup>(٢)</sup> وروي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (جماع الشر في الاغترار بالمهل، والاتكال على العمل) وقوله (غرور الأمل يفسد العمل) وقوله (كفى بالمرء غروراً أن يثق بكل ما تسوّل له نفسه)<sup>(٣)</sup>.

٤- مكر شياطين الانس وطواغيتهم ودجالهم والخداع والتضليل الذي يمارسونه والشبهات التي يلقونها (وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (آل عمران: ٢٤). روي عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (لا تغرّك الناس من نفسك، فإن

(١) غرر الحكم: رقم ١٠٣٦٣

(٢) مكارم الاخلاق: ٣٥٠/٢

(٣) غرر الحكم: رقم ٤٧٧١، ٦٣٩٠، ٧٠٥٣

الأمر يصل اليك دونهم<sup>(١)</sup> أي لا تغرّتك الناس من حولك ويوهمونك بأمر  
تسبب اغترارك، فإنك المسؤول عن افعالك وسوف يتخلّون عنك ولا ينفعونك  
بشيء وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (لا يغرّنك بكاؤهم، فإن التقوى في القلب)<sup>(٢)</sup>.  
ومنشأ الوقوع في هذه الاسباب يرجع الى الجهل روي عن رسول الله  
(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) انه لما تلا الآية عَقَبَ مجيباً على السؤال: (جهله)<sup>(٣)</sup>، هذا الجهل يشمل  
جهل الإنسان برّبه وحقوقه عليه ولزوم طاعته وعليه أن يؤثّر رضا ربّه على رضا  
نفسه أو أي أحد من المخلوقات، وان يتيقن انه بمحضر خالقه وتحت نظره  
سبحانه (عميت عين لا تراك عليها رقيباً)<sup>(٤)</sup>، والجهل بمبدأ الانسان ومعاذه ومآله،  
والجهل بحقيقة الدنيا الزائلة، والجهل بحقيقة الشيطان ومكره وخدعه وعداوته  
لبنّي آدم ونحو ذلك.

اما الانسان الصالح فانه كلما ازداد معرفة بربه الكريم يزداد طاعة  
ومحبة له تبارك وتعالى ويزداد خوفاً من عصيانه وغضبه سبحانه (سبحانك  
وبحمدك من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك)<sup>(٥)</sup>،  
لذا قد يُنسب التغيرير الى أسباب أخرى ليست هي بنفسها موجبة له، لكن  
الانسان لجهله وغفلته عن حقائق الأمور وعواقبها اغترّب بها كحلّم الله تعالى وعدم

(١) بحار الانوار: ٣٢٣/٧٢ ح ٢.

(٢) بحار الانوار: ٢٨٣/٧٠ ح ٤.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ٤٣٩/٨.

(٤) مفاتيح الجنان، دعاء الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوم عرفة.

(٥) مفاتيح الجنان، من دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

اخذه العاصين بالعقوبة عند صدور كل ذنب، واغداقه النعم على الكفار، وستره على قبائح العباد، وهذه كلها من الصفات الحسنی وكرم من الله تعالى ورحمة بالعباد لكن الانسان لجهله يسيء الاستفادة منها قال الله تبارك وتعالى (لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبَنَسَ الْمِهَادِ) (آل عمران: ١٩٦-١٩٧) أي لا تجعل حلم الله تعالى بإمهال الكفار وعدم معالجتهم بالعقوبة سبباً للاغترار والغفلة عن الحساب والعقاب.

وفي دعاء الامام السجاد (عليه السلام) في ليالي شهر رمضان المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي (وَيَحْمِلُنِي وَيُجَرِّئُنِي عَلَى مَعْصِيَتِكَ حِلْمِكَ عَنِّي، وَيَدْعُونِي إِلَى قَلَّةِ الْحَيَاءِ سِتْرِكَ عَلَيَّ، وَيُسْرِعُنِي إِلَى التَّوْبِ عَلَى مَحَارِمِكَ مَعْرِفَتِي بِسِعَةِ رَحْمَتِكَ، وَعَظِيمِ عَفْوِكَ)<sup>(١)</sup> وفيه أيضاً (الهي لَمْ أَعْصِكَ حِينَ عَصَيْتَكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاوِدٌ، وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخْفٌ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لَوْعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَغَلَبَنِي هَوَايَ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي، وَغَرَّنِي سِتْرِكَ الْمُرْحَى عَلَيَّ)<sup>(٢)</sup>.

اذن بهذا التقريب يمكن فهم معنى نسبة الاغترار الى حلم الله تعالى أو كرمه أو رحمته، وهذا دفع بعض المفسرين الى القول: (وانما قال الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه كان لقنه الإجابة حتى يقول غرّني كرم الكريم)<sup>(٣)</sup>. وهذا التلقين بحد ذاته مظهر آخر للكرم الإلهي.

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي: ٣٤٠، ٣٣٥.

(٢) حكاة في مجمع البحرين: مج ٢٦٣/٢ مادة (غرر) عن الشيخ ابي علي وفي مادة (لقن) ايضاً وذكره آخرون.

لكن السيد الطباطبائي (قدس) اعترض على هذا الفهم قائلاً: (ومن هنا يظهر ان لا محل لقول بعضهم: ان توصيف الرب بالكريم من قبيل تلقين الحجة وهو من الكرم ايضاً، كيف؟ والسياق سياق الوعيد، والكلام ينتهي الى مثل قوله (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ \* يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ) (الانفطار: ١٤-١٥)، ولو كفى الانسان العاصي قوله (غرني كرمك) لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصي، ولا عذر بعد البيان)<sup>(١)</sup>.

أقول: لا نجد وجهاً للاعتراض:

١- لان هذا المعنى وارد في كلام المعصومين (عليهم السلام) كما تقدم.

٢- واتضح مما تقدم ان الكرم والرحمة ونحوهما ليست هي السبب المباشر للاغترار الانسان حتى يعترض عليه، وانما السبب سوء استفادة الانسان منها وهي حالة موجودة حتى مع كرام الخلق كما في الرواية عن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام): (انه وجد شاة له قد كُسرت رجلها، فقال لغلام له: من فعل هذا؟ قال الغلام: أنا، قال: لم فعلت ذلك، قال: لأجل لك الهم والغم، فتبسم الإمام (عليه السلام) وقال: لأسرُّك فاعتقه وأجزل له العطاء)<sup>(٢)</sup>. (ان علي بن الحسين (عليه السلام) دعا مملوكه مرتين فلم يجبه فلما أجابه في الثالثة قال له: يا بني اما سمعت صوتي قال: بلى، قال فما بالك لم تجبني، قال: أمنتك، قال (عليه السلام): الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمني)<sup>(٣)</sup>.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٨/٢٠.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة (صلى الله عليهم أجمعين) للشاكري: ٩٠ / ٥.

(٣) بحار الأنوار: ٥٦/٤٦ ح ٦ عن ارشاد المفيد ومناقب ابن شهر آشوب إعلام الوری.

٣- ان هذا الاعتراف لا يفيد العاصي بل يوجب استحقاقه للعقوبة المضاعفة، لانه قابل الكرم والحلم والعتو بالعصيان والتمرد واغتر بالحسنة والنعمة فحولها الى سيئة ونقمة بدل شكرها وأداء حقها وأمن مكر الله تعالى، واذا نفعه هذا الجواب فلما فيه من الاعتراف بسعة كرم الله تعالى حتى طمع في معصيته وهذا الاعتراف أمر يحصل في الآخرة ولا علاقة له بمعاصيه في الدنيا.

٤- ان الكافر لا يستطيع ان يقول هذا الكلام لانه لم يكن يعتقدده ولا يعرفه، وليس كرم الله تعالى الذي غرّه بالمعصية وإنما غرّه هواه وتسويل الشيطان وزخارف الدنيا. كما صرحت الآيات الكثيرة التي اوردناها في أسباب الاغترار.

٥- ان هذا التلقين لا يفهمه الا أهل المعرفة خصوصاً وان الآية لم تذكر بصراحة ووضوح: أيها الكافر او العاصي قل (غرّني كرمك) عندما تسأل: لماذا كفرت وعصيت، وانما اكتفت بوصف الرب بالكريم وفهم أهل المعرفة من ذكر هذا الاسم دون غيره انه إشارة الى هذا المعنى، فهذا التلقين للحجة لا يفهمه الا من يستحقه ومثل هذا لا يغريه كرم الله تعالى بالمعصية وانما بمزيد من الطاعات واجتناب المعاصي والاعتراف بالعجز والتقصير (فاذا كان الفرد مستحقاً لفهمها كان مستحقاً لتطبيقها ويتحمل مسؤوليتها، اما السائرون في المعصية والموغلون في الرذيلة فلا يعرفونها ولا يفهمونها ابداً، وليس لهم التوفيق في الرجوع الى مصادر التفسير)<sup>(١)</sup>.

اقول: ولو قرأوها في التفاسير أو سمعوها من أحد فانهم لا ينتفعون بها لأنهم

(١) مئة المَنان في الدفاع عن القرآن للسيد الشهيد محمد صادق الصدر: ٣٧٩/٤

سيذهلون عنها.

٦- ان هذا السؤال يقع يوم القيامة بحسب الظاهر حيث يكون باب العمل والتكليف مغلقاً، وليس في الدنيا حتى يكون سبباً للتغيير بالعاصي، فقول (غرني كرمك) يكون لاستدرار الرحمة والعفو وليس للتمادي في الذنوب.

٧- ان السيد الطباطبائي يعلم ان هذا المعنى يليق بكرم الله تعالى، وان الله تعالى عند حسن ظن عبده، وانه عز وجل أكرم من ذلك، فقد يجيز كذب العبد اذا ادعاه تطبيقاً لقوله تعالى (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) (يس:٥٧) ففي تفسير القمي بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (إِنْ آخَرَ عَبْدٌ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُمِرَ بِهِ التَّفَتَّ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ جَلِّ جَلَالِهِ: رَدَّوهُ فَيَرُدُّوهُ فَيَقُولُ: لِمَ التَّفَتَّ إِلَيَّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبُّ لِمَ يَكُنْ ظَنِّي بِكَ هَذَا، فَيَقُولُ: وَمَا كَانَ ظَنُّكَ بِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبُّ كَانَ ظَنِّي بِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي وَتَسْكِنَنِي جَنَّتِكَ، قَالَ: فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: يَا مَلَأْتُكَتِي، وَعَزَّيْتُ وَجَلَالِي وَآلَائِي وَعَلَّوِي وَارْتَفَاعَ مَكَانِي، مَا ظَنَّ بِي عَبْدِي هَذَا سَاعَةً مِنْ خَيْرٍ قَطُّ وَلَوْ ظَنَّ بِي سَاعَةً مِنْ خَيْرٍ مَا رَوَّعْتَهُ بِالنَّارِ، أُجِيزُوا لَهُ كَذِبَهُ فَأَدْخَلُوهُ الْجَنَّةَ)<sup>(١)</sup>.

٨- اننا نذكر هذه المعاني والروايات لنزداد معرفة بالله تعالى فنزداد حباً له تعالى وطاعة له سبحانه وتعلقاً به ونزداد فخراً واعتزازاً بأن ربنا ومولانا هو هذا الرب الكريم وليس مثل الكفار والمشركين والملحددين واللادينين الذين لهم

(١) بحار الانوار ٨٧/٧ عن ثواب الاعمال، وحكاه في هامش منة المنان: ٣٨٢/٤ عن تفسير القمي:

آلهة وهمية مزيفة (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربا)

وقد استقرب السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) إفادة الآية لتلقيين الحجة، واحتمل وجهاً لاعتراض السيد الطباطبائي على هذا المعنى قال فيه: (ولعل الذي حدى بالسيد الطباطبائي الى نفي هذا المعنى لكي لا يكون كلام المشهور سبباً للذنوب، فجزاه الله خيراً، فقد سدَّ الباب وبيّن ان هذه الآية لا تعطي ذلك اطلاقاً حتى ان الناس اذا قرأوا القرآن او قرأوا التفاسير لا يكونون مطمئنين لذنوبهم، والا لو لا هذا العنوان الثانوي في الحقيقة - وهو انسداد باب الذنوب - فإن الآية تعطي ذلك حقاً (غرني كرمك) ولذا اوصي المبلغين وقادة المجتمع ان لا يركزوا على الروايات الباعثة على الاطمئنان والشفاعة وغفران الذنوب، لان الناس ليسوا على مستوى التطميع برحمة الله، فيفتح باب الذنوب ويستغل الشيطان هذه الثغرة للمرور إلى نفوس الناس وإغوائهم، وتكون ذممكم مشغولة من هذه الناحية، واذكر اني كنت ذات يوم في مجلس تعزية فصاح أحدهم (من صلي عليّ مرة لم تبقَ من ذنوبه مرة)<sup>(١)</sup> فهذا القول قد يكون صدر من النبي (صلى الله عليه وآله) غير أنه صدر للمستحق لا لمن لا يستحق، اما ان يعلن في مجلس عام فهو مصيبة من المصائب، لانها اذا وصلت الى غير المستحقين يتذرعون بها لاقتراف الذنوب واقتحام المعاصي، وحينها اعترضت على صاحب المجلس (عليه السلام) - وكان من فضلاء الحوزة - ان لا يسمح بمثل ذلك).

(١) بحار الأنوار: ٦٣/٩١، مستدرک الوسائل: ٥/٢٣٤ أبواب الذكر، الباب ٣١ ح ١٣.

أقول: هذه المخاوف في محلها إذ ان هذا الفهم قد اسيء استخدامه لدى العامة فعلاً فتراهم يوغلون في المعاصي والمنكرات ولما انتهى أحدهم يقول (الله كريم) وهذا جهلٌ فطبع بعلاقة العبد بربه، وكأنهم لم يسمعوها الآيات الكثيرة كقوله تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم: ٧) وقوله تعالى (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحجر: ٤٩-٥٠) وفي دعاء الافتتاح في ليالي شهر رمضان (وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة) فلا بد من وضع هذه الإشارات الكريمة في سياقها الإيجابي الذي ذكرناه في النقطة (٨) وليس سياقها السلبي، وهذا المعنى للآية إنما يذكر شاهداً على سعة كرم الله تعالى ليزداد المؤمن محبة وتعلقاً بربه وليس فيه دفع للمعاصي والعياذ بالله بل إن فيه تأكيداً للحجة البالغة على العاصين.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عند تلاوته هذه الآية (أَذْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍّ مَعْدِرَةً لَقَدْ أْبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ أَمْ مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ أَمْ مَا تَرَحَّمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرَحَّمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرَبِّمَا تَرَى الضَّاحِيَّ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَظُلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالْمِ يُمِضُ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبْرَكَ عَلَى دَائِكَ وَجَلْدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّأكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لَأَ يُوقِظَكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوِ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بَعْزِيْمَةٍ وَمِنْ كَرَى الْعُقْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيَقْظَةٍ وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً وَبَذِكْرِهِ



أَنَسًا وَتَمَثَّلَ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَعَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ  
 وَأَنْتَ مُتَوَلِّ عَنَّهُ إِلَى غَيْرِهِ فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا  
 أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ  
 يَمْنَعَكَ فَضْلُهُ وَكَمْ يَهْتِكُ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ  
 يُخَدِّثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطْعَمَهُ وَإِيْمُ  
 اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّينَ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنَ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ  
 حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِيِ الْأَعْمَالِ وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا عَرَّتْكَ  
 وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفْنَاكَ الْعِظَاتِ وَأَذَنْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ  
 نَزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّفْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَعْرَكَ  
 وَكُرْبًا نَاصِحًا لَهَا عِنْدَكَ مَتَّهَمٌ وَصَادِقٌ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَلَكِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ  
 الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكَيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ  
 عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلِنِعْمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوْطِنَهَا مَحَلًّا  
 وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًّا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا  
 الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبْدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ  
 يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقَ بَصَرٌ فِي الْهَوَاءِ وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا  
 بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٌ وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ<sup>(١)</sup>

علماً بأن المؤمن الذي يتأسى بربه ووصف في بعض الأحاديث الشريفة بانه

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٢٣.

لكرمه يغري الآخر بالتجاوز عليه (المؤمن غرّ كريم)<sup>(١)</sup> لانه لا يظن الشر والسوء ولا يحتمله في الآخر ويتغافل عنه كرمًا منه وإحساناً في أخلاقه لا جهلاً ولا لقلّة فطنته ويظن الآخر أنه قد خدعه كالذي يروى عن أحد أسرى بدر حينما توسل لرسول الله (ﷺ) أن يفك أسرّه ويبقيه للصبيّة والعيال فعفا عنه رسول الله (ﷺ) ولما عاد الى مكة قال لقريش قال لهم: (خدعت كريماً فانخدع). ثم أُسِر في المعركة التالية وأعاد نفس الطلب لكن النبي (ﷺ) لم يمنحه فرصة أخرى وعاقبه بما يستحقه.

وبعيداً عن هذا المعنى وإشكالاته فإنه يمكن أن يكون إيراد لفظ الكريم لبيان أن الله تعالى لا يريد من سؤاله هذا نفعاً أو فائدة لأنه كريم لا يريد بعطائه جزاءً ولا شكوراً ولا تضره معاصي العاصين كما لا تنفعه طاعة المطيعين وإنما يراد هداية العباد وصلاحهم قال تعالى (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل: ٤٠).

ويمكن أن نفهم الآية على نحو آخر بحيث لا يكون المخاطب فيها الانسان العاصي، بل المطيع الطامع بمراتب الكمال، فيسأل ما الذي اغراك وطمّعتك حتى صرت تطلب هذه المنازل السامية، فيقول: أطمعني كرمك يا ربّي لانني اراك تعطي الكثير بالقليل وتبتدى بالنعيم من لا يستحق وتعطي من سألك ومن لم يسألك ومن لم يعرفك، فالتعجب في الآية قد يكون من انحطاط الانسان وتسافله وقد يكون من رقيّه وتساميه اذا نظرنا الى الآية بمعزل عن السياق الدال على الأول.

ونذكر الآن رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) تتضمن مثالا للمعتر بما تمنيه نفسه ويملي عليه جهله، ومثالا لاغترار الناس بنماذج ظاهرها التدين والعمل الصالح الا انها في الحقيقة على العكس من ذلك، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال (قوله عز وجل: اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قال (يقول ارشدنا الى الصراط المستقيم ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك، والمبلغ الى دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك) ثم قال (عليه السلام) فان من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه فأحبت لقاءه من حيث لا يعرفني، فرأيته قد أحدق به خلق كثير من غثاء العامة، فما زال يراوغيهم حتى فارقهم ولم يقر، فتبعته فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله وأخذ من عنده رمانتين مسارقه فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: وما حاجته إذا إلى المسارقة؟! ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه - ثم ذكر أنه سأله عن فعله - فقال له: لعلك جعفر بن محمد؟ قلت: بلى، فقال لي: فما ينفحك شرف أصلك مع جهلك؟! فقلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عز وجل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع سيئات وبقي لي ست وثلاثون حسنة، فقلت له: ثكلتك امك، أنت الجاهل

بكتاب الله، أما سمعت الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة :  
 ٢٧] إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت رمانتين كانت أيضا  
 سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنما أضفت أربع  
 سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضيف أربعين حسنة إلى أربع سيئات فجعل  
 يلاحظني فانصرفت وتركته، قال الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : بمثل هذا التأويل القبيح  
 المستكره يضلون ويضلون<sup>(١)</sup>.

(١) وسائل الشيعة: ٤٦٧/٩ كتاب الزكاة ، أبواب الصدقة باب ٤٦، ح ٦.

(١) **ولا تقف ما ليس لك به علم**

**لا تعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلا الا عن علم ويقين**

قال الله تبارك وتعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٦)

ولا تقف: أي لا تتبع، من القفو وهو الاتباع كقولك اقتفيت أثره، والفرق ان

الاتباع يطلق على كل افراده سواء كان اختياريا او باكراه، اما الاقتفاء فيختص

بالاتباع الاختياري، فالآية تؤسس قاعدة رصينة في التلقي والأخذ من قنوات

ومصادر المعلومات الخارجية والداخلية وهي الاذن والعين والتأملات الذهنية

فلا بد أن يكون ذلك مستندا إلى العلم الذي يشمل المعلومات المتينة المأخوذة

عن حس ومشاهدة، أو عن مصادر معتبرة عند العقلاء التي لا يُعبأ باحتمال الخطأ

فيها كإخبار الثقة او التواتر.

وهذه القاعدة القرآنية يجب تفعيلها في كل نواحي الحياة، فلا يرتب أثراً

على ما يسمعه او يجده مكتوباً أو ينقدح في ذهنه الا اذا وجد دليلاً علمياً عليه

سواء كان في الاعتقاد او السلوك او العلاقات مع الآخرين ولا ينشر شيئاً الا بعد ان

يتأكد من مصداقته وجواز نشره، في الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ان

من حقيقة الايمان ان لا يجوز منطقتك علمك<sup>(١)</sup> وفي حديث عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) (ليس لك ان تتكلم بما شئت، لان الله عز وجل يقول (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) وفي الحديث النبوي (ايما رجل اشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برئ كان حقا على الله ان يذيه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال)<sup>(٢)</sup>، فمن لا يأخذ بهذه القاعدة يعرض نفسه للمسؤولية، ويكون اول شاهد عليه حواسه (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا).

مثلاً شخص يدعي عنواناً معيناً كالسفارة عن الامام المهدي (عليه السلام) او الوكالة والنيابة عنه لا يجوز تصديقه لانها دعوى غير مستندة الى العلم، او شخص يتبنى مشروعاً معيناً كإصلاح الأوضاع العامة وتغيير أحوال الناس نحو الاحسن لا يجوز تصديقه واتباعه حتى يتحقق من مصداقيته، او ما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من اتهامات لهذا وذاك بالفساد والصفقات المشبوهة لا يجوز تصديقه وترويجه الا بعد التحقق من صدقه

او ما تتداوله الناس من أخبار عن هذا وذاك أنه فعل كذا وقال كذا لا يجوز تبنيه وترتيب الأثر عليه لان مثل هذه المصادر لا يوثق بها وقد تصل الحالة الى الاقتتال والقتل لمجرد انه قيل له ان هذا الرجل او تلك المرأة فعلا كذا وكذا قبل أن يتبين حقيقة الأمر وقد يكون المخبر مبغضاً او حاسداً او له غرض شخصي فيعمل على القاء الفتنة بهذه الاخبار وقد يكون متوهماً او مشتبهاً كما وقع في

(١) وسائل الشيعة: ١٦، ١٧/١٨.

(٢) الدر المنثور: ١٨٢/٤ اخرجه الحاكم وصححه عن ابي ذر عن رسول الله (ﷺ).

الكثير من الحالات.

والشرع المقدس يرى الصدق في هذه الأمور قبيحاً فكيف بالكذب لان فيها تدميراً للعلاقات الاجتماعية وتخريباً للأسر، في الحديث النبوي الشريف (ثلاث يقبح فيهن الصدق: النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه وتكذيبك الرجل عن الخبر)<sup>(١)</sup> وفي حديث اخر عن الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (من روى على أخيه المؤمن رواية يتبغي بها شينه وهدم مروته اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ثم لا يقبله الشيطان)<sup>(٢)</sup> بغض النظر عن كونه صادقاً او كاذباً فيما روى ، وبالمقابل مدح الله تعالى قوماً فقال تعالى (فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (الزمر: ١٧-١٨) فلا يكتفي احدهم بصدق الخبر حتى يرتب عليه الأثر أو ينقله للغير، لان الصدق قد يكون ضاراً، بل يتثبت من حسن القول مضافاً الى صدقه.

وهذه القاعدة القرآنية مما تدعو له الفطرة السليمة أيضاً فانها تتحرى دائما الوصول الى الواقع والحقيقة فلا تعطي قيمة للمظنون او المشكوك، ويحاول العقلاء أن يصلوا الى الحقيقة وتحصيل العلم بأنفسهم إن أمكن والا فيرجعون الى من له العلم بذلك كمراجعة المريض للطبيب، أو رجوع عامة الناس الى المجتهد العارف بتحصيل الاحكام الشرعية وهكذا، ولا يعذرون من يتبنى عقيدة او قولاً او فعلاً من دون ذلك، وقد لبى الله تعالى حاجة هذه الفطرة لدى الانسان فاعطاه

(١) ميزان الحكمة: ٤٤/٥.

(٢) الكافي ٣٥٨/٢.

السمع والبصر والعقل لتكون له أدوات يصل بها الى الحقيقة، وسيسال الانسان عن كيفية توظيفه واستعماله هذه الأدوات فهل ان ما اصغى له بسمعه كان من مصدره الموثوق، وهل ان ما نسهب الي عينه حينما يقول رأيت كان قد رآه فعلاً و واضحاً لديها فعلاً؟ وهل ان ما فكّر فيه ورتّبّه بذهنه كان مستنداً الى معلومات ومقدمات صحيحة؟ وهذه الحواس ستشهد عليه وتجب بصدق (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (فصلت: ٢٠) فعلى الانسان ان يحذر ويتجنب اتباع ما ليس له به علم والافانه لا يكون معذورا.

والمطلوب دائماً هو التثبت من المعلومة قبل البناء عليها، ومن صدق الدعوى قبل التسليم بها، ولو بنى المجتمع حياته على هذه القاعدة القرآنية لأغلق أبواب الكثير من المفسد والاضرار والخرافات والانحرافات وبهذا المنهج نحافظ على العلاقات الاجتماعية وسمعة الأشخاص وكرامتهم ومنع حصول حالة الإحباط واليأس لدى العاملين بسبب ما يشيعه الحاسدون، وبذلك نستطيع تقويم عقائد وأفكار المجتمع من الانحراف والضلال.

فعلى مستوى الاعتقاد: لم يقدم الملحدون دليلاً علمياً على نفي وجود الخالق تبارك وتعالى وغاية ما يدعون انه لم يثبت عندهم وجوده سبحانه فكيف يريدون بجهلهم هذا نفي الأدلة القاطعة التي يقيمها المؤمنون بالله تعالى.

والذين ينكرون المعاد ليس عندهم دليل وانما هو مجرد استبعاد وقصور اذهانهم عن تصور الحالة بينما المؤمن عنده الحجج الدامغة على هذه الحقيقة، وكذلك الذين ينكرون الوحي والنبوة، قال تعالى (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ



الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (يونس: ٣٦).

وهكذا اذن المطلوب الثبت وتحصيل العلم في كل شؤون الحياة فلا يجوز تصديق خبر بناءً على الاشاعات أو الاقدام على فعل لمجرد ان الناس فعلته مما سمّوه بالسلوك الجمعي وجعلوا له مثلاً يستشهدون به وهو (حشر مع الناس عيد) كزيارة بعض القبور او القيام ببعض الاعمال التي لم يثبت أصلها، او اتباع شخص لمجرد ادعاءات ما لم يتحقق من توفر الشروط المطلوبة.

فهذه كلها مخالفة لهذه القاعدة القرآنية، وقد روي في كتب العامة عن النبي (ﷺ) قوله (بئس مطية الرجل: زعموا)<sup>(١)</sup> وقوله (ﷺ) (اياكم والظن فان الظن اكذب الكذب)<sup>(٢)</sup> وفي حديث آخر (إن افرى الفرى ان يُرى الرجل عينيه ما لم تريا)<sup>(٣)</sup>.

وفي حواراتنا لا بد ان نستند في مواقفنا الى الحجة والبرهان لا الظنون والقياسات ولا في احكامنا على الآخرين بالظن والتهمة والاشتباه والاحتمال، لذا لا يبنى القاضي على كلام المدعي في قضية معينة وإنما يطالبه بالبينة ويسمح للمدعى عليه بالدفاع عن نفسه وهكذا.

وبذلك يكون الإسلام قد سبق الحضارات المعاصرة في تأسيس منهج الثبت العلمي الشامل لكل شيء، حتى العلوم التجريبية والطبيعية حيث لا مكان للافتراضات الوهمية والاحتمالات غير المحصنة والاحكام الساذجة، ويجعل

(١) سنن ابي داوود: ص ٢٥٦.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٨/١٨.

(٣) من صحيح البخاري.

ذلك مسؤولية شرعية وأمانة يُسأل عنها وهذه الرقابة الداخلية مما تميز المنهج الإلهي عن المادي، ويستشعرها المؤمن حتى لو خلى عن أي رقيب حتى على مستوى المشاعر والخلجات القلبية، فلا يقول كلمة بلسانه ولا ينقل حادثة عن أحد، ولا يحكم بعقله حكماً ولا يعقد أمراً إلا وقد استند فيه الى المعلومة الصحيحة.

فلنتعاون جميعاً لنشر هذه الثقافة القرآنية والمنهج القرآني الكفيل بتحقيق السعادة والصلاح ولتجنب التداعيات الاجتماعية الخطيرة، والا فان الثقة ستعدم بالجميع ويختلط الصالح والفساد وتضيع الحقيقة ونفقد كل أمل بالصلاح والإصلاح.

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ

قَرِيبٍ) (النساء: ١٧)

بادر الى التوبة فإنها تصعب بالتأخير<sup>(١)</sup> التورط بأموال الناس

نموذجاً

قال الله تبارك وتعالى (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (النساء: ١٧-١٨) فالآية تبين ان قبول التوبة - اي قبول الله تعالى لعبده بعد ان يعود العبد الى ربه بالندم والاستغفار لان التوبة تعني الرجوع فالحركة متبادلة بين العبد وربه (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) (التوبة: ١١٨). وقال تعالى (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ) (المائدة: ٣٩) - حق فرضه الله تبارك وتعالى على نفسه للذين وقعوا في المعاصي والذنوب رحمةً بهم وشفقةً عليهم ولعلمه تعالى بضعفهم وقصورهم اذا تابوا وندموا من قريب ولم يسوفوا التوبة ويؤجلوها تمادياً في المعصية.

ولم يحدّد سبحانه الوقت القريب لأنه ممتد ما دامت التوبة لها أثر

إيجابي في حياة الانسان لكنها كلما كانت سريعة كانت أجدى في زوال

(١) ورد بعضها في كلمة ألقاها سماحة المرجع الشيخ العنبري (دام ظله) على جمع من طلبة عدة

كليات في جامعة كربلاء يوم الثلاثاء ٩ / شوال / ١٤٣٨ المصادف ٤ / ٧ / ٢٠١٧.

اثر المعصية والعودة الى الاستقامة.

روى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن الامام الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخر خطبة خطبها (من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: ان السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: ان الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه، ثم قال: ان الجمعة لكثيرة، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: ان يوم لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: ان الساعة لكثيرة، ومن تاب وقد بلغت نفسه هذه - وأهوى بيده الى حلقة - تاب الله عليه)<sup>(١)</sup>

ومثل الآية محل البحث آيات عديدة كقوله تعالى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام: ٥٤) ومثلها (النحل/ ١١٩).

وهذا لا يعني غلق الباب على غيرهم فرحمة الله تسع الجميع، ففي أصول الكافي بسند صحيح عن الامام الصادق عليه السلام قال (اذا بلغت النفس ها هنا - وأشار الى حلقة - لم يكن للعالم توبة، ثم قراء (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ)<sup>(٢)</sup> لكن هذه الآية تذكر شرطي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه قبولها وهما التوبة من قريب وان يكون صدور الذنب بجهالة. اما الذين لا يبادرون الى التوبة ويؤجلونها

(١) الفقيه: ١٣٣/١ ح ٣٥١

(٢) الكافي: ٣٧/١ ح ٣

ثم يتوبون قبل ان يدركهم الموت فهؤلاء موكولون لأمر الله تعالى، قال سبحانه (وَأَخْرَوْا مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ١٠٦) فهؤلاء صنف بين من تقبل توبتهم حتماً ومن لا تقبل وهو من لا يتوب حتى ينزل به الموت.

والجهالة هنا - كما في الموارد القرآنية الأخرى - ليست مقابل العلم لان الجاهل بحرمة شيء قد يكون معذوراً ولأنها قد تطلق على العالم أيضاً وقد وصفت حال الأمم قبل الإسلام بالجاهلية مع ان فيهم من بلغ من العلوم والحضارة المادية مرتبة متقدمة، وانما تعني الحماقة والسفاهة والنزق وعدم الحكمة في التصرف وعدم وضع الأمور في موضعها الصحيح والانسحاق وراء الشهوات والنزوات بلا تعقل، روى العياشي في تفسير هذه الآية عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (يعني كل ذنب عمله العبد وان كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، وقد قال فيه تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لاختوته (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) (يوسف: ٨٩). فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله)<sup>(١)</sup> قال تعالى (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (البقرة: ٦٧) وكأنه اعتبر عدم انتفاعه بعلمه كعدم العلم وقد قال الراغب في معاني الجهل (فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً او فاسداً).

وكانه أريد بهذا القيد (بجهالة) إخراج مرتكب الذنوب عناداً وتمرداً

(١) تفسير العياشي: ٢٢٨/١ ح ٦٢.

واستكباراً على رب العزة والجلال وإنكاراً لقدرته تعالى.

وينبغي الالتفات الى ان هذا الوعد الإلهي الكريم لا يصح ان يكون سبباً لاغترار<sup>(١)</sup> الانسان واستخفافه بمقام ربه تعالى، وانما عليه ان يستعصم بالله تعالى ويطلب منه العون على تجنب الذنب اصلاً، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (ترك الذنب اهون من طلب التوبة)<sup>(٢)</sup> ولكن لو حصل الذنب فالمطلوب المبادرة الى التوبة وإصلاح الحال لكي يكون مشمولاً بالآية الكريمة ولان الاستمرار على الخطأ والخطيئة يصعب العودة ويعقد الوضع وتكون النتيجة عدم التوفيق للتوبة. من وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبن مسعود (لا تقدم الذنب ولا تؤخر التوبة، لكن قدم التوبة وأخر الذنب)<sup>(٣)</sup>، ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجى التوبة بطول الامل ... إن عرضت له شهوة أسلف المعصية - أي عجلها - وسوف التوبة)<sup>(٤)</sup> وله (عليه السلام) أيضاً (إن قارفت سيئة فتعجل محوها بالتوبة)<sup>(٥)</sup>

وأذكر لكم رواية تبين صعوبة التوبة بالتأخير وهي تتعلق بأحد الذنوب الكبيرة التي كثر الابتلاء بها وهو الدخول في اعمال الظالمين والفاستدين وسرّاق المال العام طمعاً بالاستفادة من دنياهم، سواء كان هؤلاء الظلمة قادة سياسيين او

(١) راجع خطاباً سابقاً في تفسير قوله تعالى (يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).

(٢) بحار الانوار: ٣٤٦/٧٣ / ح ٩٦.

(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٩، بحار الانوار: ١٠٤/٧٧ ح ١.

(٤) بحار الانوار: ٣٧/٦ ح ٦٠.

(٥) بحار الانوار: ٢٠٨/٧٧ ح ١.

رؤساء عشائر او تجار ورجال اعمال او زعماء جماعات القتل والخطف والابتزاز وقبض الرشاوي ونحو ذلك، وقد وردت الروايات الكثيرة الدالة على الحرمة المغلظة للدخول في أعمالهم، منها عن ابي بصير قال (سألت ابا جعفر الباقر (عليه السلام) عن أعمالهم - أي الولاة الظلمة - فقال لي: يا أبا محمد، لا ولا مدة قلم، ان أحدهم (أحدكم) لا يصيب من دنياهم شيئاً الا اصابوا من دينه مثله)<sup>(١)</sup>.

فالحذر الحذر من الدخول في شيء من ذلك ومن تورط فعلية بالإسراع في الخروج منها والا فان الرجوع الى الحق سيكون صعباً، روى الشيخ الكليني بسنده عن حميد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اني وليت عملاً - أي من اعمال الظالمين وولاياتهم - فهل لي من ذلك مخرج؟ فقال: ما أكثر من طلب المخرج من ذلك ففسر عليه، قلت: فما ترى؟ قال: ارى ان تتقي الله عز وجل ولا تعد)<sup>(٢)</sup>.

ولكي نعرف كيف يصعب الحل ويصبح ثقيلاً جداً على النفس الاستجابة اليه، نقرأ الرواية التالية من الكافي بسنده عن علي بن ابي حمزة قال (كان لي صديق من كتاب بني أمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبد الله (عليه السلام) فاستأذنت له، فأذن له، فلما ان دخل سلم وجلس، ثم قال: جعلت فداك أني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مطالبه - أي لم أدقق في كون مصدره حلالاً أو حراماً - فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لو لا ان بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبي لهم الفياء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا،

(١) الوسائل: ١٧/١٧٩ أبواب ما يكتسب به باب ٤٢ ح ٥.

(٢) الوسائل: ١٧/١٨٩ الباب ٤٥ عسر التوبة ح ٥.

ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً الا ما وقع في أيديهم) وهكذا كل الطغاة والظالمين والفاستدين لولا انهم وجدوا من يمكنهم ويسلطهم بالقوة او بالانتخابات لما وجدوا مجالاً لممارسة الظلم والفساد لانهم لا يملكون القدرات الذاتية التي تمكنهم من فعل شيء كشرذمة بني امية وسائر الطواغيت والظلمة (قال: فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟ قال: ان قلت لك تفعل؟ قال: أفعل، قال له فأخرج من جميع ما كسبت في ديوانهم فمن عرفت منهم) أي من أصحاب الحقوق المالية (رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وانا أضمن لك على الله عز وجل الجنة، فاطرق الفتى طويلاً) لان المطلوب منه صعب عسير وقد تعود على وضع اجتماعي ومالي لا يستطيع الخروج منه الا ذو حظ عظيم وهذا معنى قولنا ان التوبة تصعب بالتأخير (ثم قال له: لقد فعلت جعلت فداك. قال ابن ابي حمزة: فرجع الفتى معنا الى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض الا خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه قال: فقسمت له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا اليه بنفقة، قال: فما اتى عليه الا أشهر قلائل حتى مرض) وربما كان مرضه لثقل الهم والشعور بالمسؤولية امام الله تعالى وضريبة الغفلة التي كان فيها قبل أن يستيقظ (فكنا نعوده، قال: فدخلت يوماً وهو في السوق<sup>(١)</sup> قال: ففتح عينيه ثم قال لي: يا علي وفي لي والله صاحبك، قال: ثم مات فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام)، فلما نظر الي قال لي: يا علي وفينا والله

(١) أي حالة الاحتضار ونزع الروح فكأنها تُساق لتخرج من البدن .



لصاحبك، قال: فقلت صدقت جعلت فداك هكذا والله قال لي عند موته.<sup>(١)</sup> أقول: وهكذا في سائر الامور علينا المبادرة الى اصلاح الخطأ ومعالجة الخلل قبل ان يتسع ويتعذر إصلاحه، مثلاً يحصل خلاف وسوء تفاهم بين شخصين كالزوجين أو الاخوين أو بين جماعتين، فعليهم ان (يعبروا النهر ما دام ضيقاً) كما في المثل العامي اما اذا استمروا في الخلاف وتدخلت عناصر أخرى بالقييل والقال فان المشكلة تستعصي على الحل.

ومما يزيد صعوبة التوبة ايضاً فيما لو تسبب بتوريط الاخرين في الظلم والمعصية والضلالة كدعاة الفسق والفجور والالحاد والعزوف عن الدين وتشويه صورة الصالحين وتسقيطهم او دعوة الناس الى اتباعه بغير استحقاق ونحو ذلك لان من شروط التوبة حينئذ ان يصحح ويعالج كل ما تسبب به ويلاحقه أينما كان. وهذا قد يستحيل تحقيقه وليس له الا لطف الله تعالى وكان عليه ان يتورع من اول الامر ولا يتورط بأمثال هذه المعاصي فيصبح ضالاً ومضلاً.

(١) وسائل الشيعة: ١٧ / ١٩٩ ، أبواب ما يكتسب به، باب ٤٧ ح ١.

(سَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (القلم: ٤٤) (الأعراف: ١٨٢)

### سنة الاستدراج<sup>(١)</sup>

من سنن الله تعالى الجارية في عباده سنة (الاستدراج) وهي من الابتلاءات العظيمة التي يمر بها الفرد والمجتمع، عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال ( ما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له)<sup>(٢)</sup> وقد ذكرها القرآن الكريم صريحاً في موضعين بنفس النص في العنوان، لكن مضمونها ورد في آيات عديدة أخرى كما سيأتي ان شاء الله تعالى.

والاستدراج يعني الايقاع بالكافرين والمنافقين واهل المعاصي تدريجياً درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون فكلما ازدادوا في المعاصي ازدادت عليهم النعم والشواغل والملهيات عن التوبة والرجوع وهكذا حتى تنتهي مهلتهم و يتفاجأوا بالعذاب الذي يستحقونه وقد أحاط بهم وهم في ذروة سكر النعم واقبال الدنيا وورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية قال (هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلّيه تلك النعمة عن الاستغفار عن ذلك الذنب)<sup>(٣)</sup>.

والذي يوقعهم في هذا الاستدراج ما ذكرته الآية التالية في الموضعين

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك لسنة ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٩/٢

(٢) نهج البلاغة: قصار الكلمات: ١١٦

(٣) الكافي: ٤٥٢/٢ ح ٣

(وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أي اغترارهم بالإمهال والاملاء وعدم التعجيل بالعقوبة على الذنوب (وَأْمَلِي لَهُمْ) الذي هو رحمة وشفقة وإعطاء مزيد من الفرص للتوبة وليس عجزاً أو ضعفاً لأن الاستعجال يبدن من يخاف الفوت فيتوهمون أنهم على خير ولم يصدر معهم شيء سيء وإنهم يستحقون من الله تعالى إغداق النعم كقول قارون لما نصحه قومه بالإحسان كما أحسن الله تعالى إليه وعدم البغي والفساد في الأرض (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) (القصص: ٧٨).

فيتملكهم الغرور وتستولي عليهم الغفلة حتى ينتهوا إلى سوء المصير، قال تعالى (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران: ١٧٨).

وسنة الاستدراج تأتي بعد الموعظة والتذكير والانذار والتحذير والتعريض لبعض الابتلاءات لعله يصحو من غفلته وينتبه إلى نفسه فاذا استمر بعصيانه وتمرده تواترت عليه النعم فينسى ربه وينسى نفسه (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) (الحشر: ١٩).

ومن الآيات الكريمة التي اشارت إلى هذه المراتب قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ \* ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (الأعراف: ٩٤-٩٥) وفي كتاب الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ان الله اذا اراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، واذا اراد بعبد

شراً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها وهو قول الله عز وجل (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) بالنعمة عند المعاصي<sup>(١)</sup>.

في الحديث عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (إذا أحدث العبد ذنباً جدد له نعمه فيدع الاستغفار، فهو الاستدراج)<sup>(٢)</sup>.

لذا يجب على الانسان العاقل أن يكون حذراً عندما تقبل النعم عليه قال امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أولى الناس بالحدز اسلمهم عن الغير)<sup>(٣)</sup> أي من لا يتعرض للابتلاءات والصعوبات ويرفل بالنعمة وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إذا رأيت ربك يتابع عليك النعم فاحذره)<sup>(٤)</sup> بأن لا تبطره النعمة ولا يشعر بالعجب والزهو وان يتعاهد نفسه بالمحاسبة دائماً ولا يغفل عن أداء حق الله تعالى عليه في هذه النعم، فنعمة الايمان عليها حقوق ونعمة العقل عليها حقوق، ونعمة الصحة والعافية عليها حقوق، ونعمة المال عليها حقوق، ونعمة الجاه والوالدين والأولاد والعلم وغيرها فيها حقوق لله تعالى (راجع رسالة الحقوق للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لتعرف تفصيلاً عن هذه الحقوق).

روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله في نهج البلاغة (أنه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً)<sup>(٥)</sup>.

(١) نور الثقلين: ٣٩٧/٥ عن كتاب علل الشرائع

(٢) مجمع البيان: ٣٤٠/١٠

(٣) غرر الحكم: رقم ٣٠٩٦

(٤) غرر الحكم: رقم ٤٠٨٢

(٥) نهج البلاغة: قصار الكلمات رقم ٣٥٨، بحار الانوار: ٢٢٠/٥

ومن كلماته (عليه السلام) (كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما أبتلى الله أحداً بمثل الاملاء له) (١).

وعن الامام الحسين (عليه السلام) قال (الاستدراج من الله سبحانه أن يسبغ عليه النعم ويسلبه الشكر) (٢).

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (كم من مغرورٍ بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج يستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه) (٣).

وكان أصحاب الائمة (عليهم السلام) واعين لهذه الحالة وحذرين منها فروي أن أحد أصحاب الامام الصادق (عليه السلام) قال (إني سألت الله تبارك وتعالى أن يرزقني مالاً فرزقني، وإني سألت الله تبارك وتعالى أن يرزقني ولداً فرزقني، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً؟ فقال (عليه السلام): (أما مع الحمد فلا) (٤) والمقصود بالحمد العملي منه وليس فقط القولي، و(أقل ما يلزمك لله تعالى ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه) (٥)

هذا هو المعنى المعروف للاستدراج، ويستشف من القران الكريم معنى آخر له، بأن يكون الاستدراج على شكل تزيين المعصية وتيسيرها بحيث تضعف مقاومة النفس عن تجنبها كما يحكي القرآن عن أصحاب السبت من اليهود،

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١١٦

(٢) بحار الانوار: ١١٧/٧٨ ح ٧

(٣) الكافي: ٤٥٢/٢ ح ٤

(٤) أصول الكافي: ٩٧/٢ ح ١٧

(٥) كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في غرر الحكم: رقم ٣٣٣٠

حيث حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكانت تأتي بكثرة يوم السبت وتكون في متناول أيديهم ولا يجدونها في غير السبت، فعملوا حيلة لحجزها يوم السبت ثم اصطيداها يوم الاحد فقال تعالى (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الأعراف: ١٦٣). فمسخوا قردة وخنزير<sup>(١)</sup>.

ومثل الصيد الذي حرمه الله تعالى على المحرم واذا به يكثر حولهم وهم محرمون ليبتلي صبرهم على الالتزام بالحكم الشرعي للمحرم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشِيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة: ٩٤).

فالمستفاد من الآية عدة دروس:

١- عدم الاغترار بالنعم والأمن من العقوبة لأن ذلك امهالاً وليس اهمالاً وأن العاقبة السيئة قد تحل به في أي لحظة في الدنيا والآخرة، مثلاً الزعماء السياسيون عليهم أن لا تغرهم الرئاسة والقدرة وكثرة الاتباع وضجيجهم وتداول وسائل الاعلام فتتضخم الانا عند احدهم ويتصور أنه قادر على كل شيء وأنه بمتناول يده أن يفعل ما يشاء فيتخلى عن مبادئه وينسى واجباته تجاه شعبه وبلده

(١) في تفسير العسكري: عن الامام علي بن الحسين (عليه السلام) قال: (ان الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله (صلى الله عليه واله) وهتك حريمه، ان الله تعالى وان لم يمسخهم في الدنيا فان المعدل لهم من عذاب الآخرة اضعاف اضعاف هذا المسخ) (تفسير البرهان: ١٢٩/٤)

وينحرف مبتعداً عن جادة الصواب ويصمّ اذنه عن سماع النصيحة ويغفل عن قدرة الله عليه، او أصحاب الأموال يرون أموالهم تتكاثر بسرعة وتأتيهم من حيث لا يحتسبون، فيغتروا بها ويغضوا الطرف عن مصادرها وإخراج الحقوق الشرعية منها ويبقون في هذا الوهم حتى تذهب لذتها وتبقى تبعثها .

٢- أن لا ننساق وراء شهوات النفس واطماعها فنسقط في المعصية مهما بدت لذيذة وسهلة ومغرية وفي تناول اليد كالأموال الطائلة التي يبذلها الفاسدون من أجل تمرير باطلهم أو السكوت عنه، فيغتر بها ضعاف النفوس ويسقطون في فخوخهم أو كالعلاقات الجنسية التي تبذل بيسر للشباب في المجتمعات المختلطة أو على وسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات الحديثة أو أي مجال آخر، فالحذر من كل ذلك لأن القدم اذا زلّت فأن الانحراف يزداد بمرور الوقت وتصبح العودة إلى جادة الصواب.

٣- الثقة بوعد الله تعالى وأنه لا يضيع أجر المحسنين ولا يسكت عن ظلم او جور وأنه ينصر عباده المؤمنين ولكننا لا نستطيع توقيت ذلك وما يفعله الله تعالى هو الخير.

٤- أن نعي هذه السنة الإلهية (الاستدراج ) حتى لا يتحول الاغترار بها إلى ظاهرة خطيرة حينما ينخدع المجتمع ببعض المظاهر الجذابة المبهرة التي يتنعم بها المستدرجون فيتمنى أن يكون مثلهم ولا يعلم العاقبة الوخيمة التي تنتظرهم كما ابتلي الكثير من أبناء المجتمع اليوم بهوس السلطة والصراع على المغانم ونيل الثراء الفاحش بسرعة، قال تعالى (لَا يُغْرَبْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ

قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَهَادُ (آل عمران: ١٩٦-١٩٧)

ويحكي القرآن الكريم حادثة قارون من بني إسرائيل للتحذير من هذه الظاهرة الخطيرة حيث آتاه الله تعالى أموالاً عظيمة (وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) فنصحه قومه فلم يستجب (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) (القصص: ٧٨) أي ان هذه النعم حصلت عليها بقدراتي وامكانياتي الشخصية وهنا ترد الإشارة الى هذه الظاهرة (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٧٦-٨٣)، فلنحذر من السقوط في مقولة (ياليت لنا مثل ما اوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) لان عاقبته الندم الكبير حيث لا ينفع الندم.

ويقدم السيد الطباطبائي رحمته الله تحليلاً لاستدراج هؤلاء ووقوعهم في العذاب الدنيوي قبل الآخرة، قال رحمته الله (ومن وجه آخر لما انقطع هؤلاء عن ذكر ربهم وكذبوا بآياته سلبوا اطمئنان القلوب وأمنها للتشبث بذيل الأسباب التي من دون الله، وعذبوا باضطراب النفوس وقلق القلوب وقصور الأسباب وتراكم النوائب، وهم يظنون انها الحياة ناسين معنى حقيقة الحياة السعيدة فلا يزالون



يستزيدون من مهلكات زخارف الدنيا فيزدادون عذاباً وهم يحسبونه زيادة في  
النعمة حتى يردوا عذاب الآخرة وهو أمر وأدهى، فهم يستدرجون في العذاب من  
لذن تكذيبهم بآيات ربهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون<sup>(١)</sup>.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٥١/٨ تفسير الآية ١٨٢ من سورة الأعراف.

## ليس البر (١) أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر (البقرة: ١٧٧)

### افهم حقائق الأمور جيداً: البر والعلم والعبادة أمثلة<sup>(٢)</sup>

من ثمرات التدبير في القرآن الكريم تصحيح نظرتك للأمر وفهمك للحقائق، وهذه الآية تقوم بهذا الدور وتبين مفردة مهمة في الحياة أعني (البر) الذي يعرف بأنه (الاتساع والزيادة في فعل الخير) ولذا سميت الصحراء بالبرية لاتساعها، وفي الحقيقة فإن الآية شرحت معنى الايمان المتكامل نظرياً وعملياً وإن عبّرت عنه بالبر، وفي كتاب الدر المنثور بسنده عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) أنه سأل رسول الله (ﷺ) عن الايمان فتلا عليه الآية فأعاد السؤال فتلاها ثانية وهكذا الثالثة.

وقد ورد في الروايات أن الآية نزلت للتعريض بفعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا يسخرون من المسلمين عندما أمر الله تعالى نبيه (ﷺ) بتحويل القبلة عند الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة وأصبح للمسلمين

(١) مثبتة بالفتح في المصحف المتداول وهي قراءة حمزة وحفص عن عاصم وحكي في وجهها انه خبر ليس مقدم على إسمها، قال في مجمع البحرين (وهو ضعيف بجعل الاسم جملة) وقرأها الأكثر بالضم على القاعدة مثل نافع وابن كثير وابي عمر و ابن عامر والكسائي وغيرهم وهو المروي عن ابن مسعود وابي (راجع معجم القراءات القرآنية: ١/ ١٣٧).

(٢) الخطبة الثانية لصلاة عيد الأضحى المبارك لسنة ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧م/٢

هوية خاصة بعد أن كان أولئك يفتخرون عليهم وانهم تابعون لهم لأنهم يصلون إلى قبلتهم وكان النبي (ﷺ) يتوق إلى ان تكون الصلاة إلى الكعبة بعد الهجرة إلى المدينة (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (البقرة: ١٤٤) فأفقدتهم تغيير القبلة هذا الادعاء فأخذوا يشككون في صحة فعل المسلمين سابقاً أو لاحقاً، وكانت هذه حلقة من سلسلة طويلة من المواجهة مع أعداء الإسلام، وقد نزلت عدة آيات للرد عليهم، منها قوله (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) (البقرة: ١٤٢) ومنها الآية التي نحن بصدددها.

فالآية تقول: أن البر ليس أمراً شكلياً وحركة جسدية تتمظهر بالتوجه إلى هذه الجهة أو تلك فقط و فقط حتى يركّز عليها الخصوم ويعتبرونها المقياس لمعرفة الحق بينما القلوب خاوية من الايمان الحقيقي، والنفوس مجردة من الورع والتقوى، ولكن البر له حقيقة وراء هذه الشكليات تتكون من منظومة متكاملة من الاعتقادات والأخلاق والأفعال (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧) .

هكذا يجب ان نقيّم عباداتنا وسائر أعمالنا على أساس حقائقها واغراضها

وليس اشكالها وحر كاتها البدنية التي لا تستحق شيئاً يذكر اذا خلت من المضمون، حتى لا يملك العجب أحداً من العاملين أو الشعور بأنه قدّم شيئاً يستحق عليه جزاءً عظيماً ولناخذ أمثلة من الواقع كشخص يحيي الليل بالعبادة وهو لا يعلم بأن الحارس الليلي يجوب الشوارع على قدميه في ظل الظروف الجوية القاسية متحملاً المخاطر والتهديدات والمسؤولية الكبيرة ويتقاضى أجره عن الليلة عشرة الاف دينار أو أكثر بقليل أي عشر دولارات فكم يستحق التعب الجسدي لإحياء الليل بالعبادة، أو نقيس الامر على الاستئجار للعبادات فإن أجره صلاة يوم كامل دولاراً واحداً أو أكثر بقليل وصوم اليوم الواحد عشرة الاف دينار أي ثمانية دولارات ونحن نريد بهذه الاعمال أن يدخلنا الله تعالى جنة عرضها السماوات والأرض، فلا بد أن نعرف حقيقة ما يريد الله تعالى من هذه الاعمال وهي التقوى والورع وان تحب الله تعالى وتؤثر رضا الله تعالى على ما سواه وأن تحب خلق الله تعالى وتحسن اليهم بما ييسر وتتجنب ظلمهم مطلقاً، قال الله تعالى (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) (الحج:٣٧) فالقيمة الحقيقية ليست للأشكال والمظاهر وانما هي مع الروح والمضمون.

والملفت في الآية التي نحن بصددنا أنها انتقلت من وصف البرّ - المصدر - إلى وصف البرّ - بالفتح - أو البارّ وهو المتصف بهذه الصفات لأن النظرية لا تفهم الا من خلال تجسيدها عملياً وابرازها في سلوك الأسوة الحسنة، ولتشير إلى أن من اجتمعت فيه هذه العناصر يُكون البر صفة راسخة فيه حتى يصبح مجسداً للبرّ على ارض الواقع كما نقول (علي عدل) أي ان العدل ملكة راسخة فيه حتى

أصبح مثلاً و مصداقاً للعدل.

والصفات المذكورة واضحة ومحورها العبودية لله تبارك وتعالى وعدم التعلق بشيء سواه، وقد ذكر إنفاق المال مرتين (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) أي على حب المال وعلى حب الله تعالى، (وَأَتَى الزَّكَاةَ) وكأنه للإشارة إلى قيامه بالإنفاقين الواجب والمستحب، والخطاب وإن نزل للتعريض بأهل الكتاب إلا أنه شامل للجميع كما هو ديدن القرآن الكريم.

فهذه هي صفات الأمة المؤمنة حقيقة التي هي خير أمة أخرجت للناس ولها مقام الشهادة على الأمم الأخرى (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (البقرة: ١٤٣) وليس بمجرد إدعاء الانتساب.

وفي الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) قال (أما علامة البار فعشرة: يحب في الله، ويبغض في الله ويصاحب في الله، ويفارق في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويعمل لله، ويطلب إليه ويخشع لله، خائفاً مخوفاً طاهراً مخلصاً مستحياً مراقباً، ويحسن في الله)<sup>(١)</sup>.

ومحل الشاهد هنا أن من الوظائف التي اداها القرآن الكريم وضع المعايير الصحيحة وتصحيح فهم الأمور وسار على ذلك النبي والائمة المعصومون (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، روي عن أبي الحسن موسى (ع) قال (دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة قد أطاقوا برجل فقال: ما هذا؟ ف قيل: علامة فقال: وما العلامة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام

(١) تحف العقول: ٢١

الجاهلية، والأشعار العربية، قال: فقال النبي ﷺ: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي ﷺ: إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل<sup>(١)</sup>.

إذن فالعلم الذي يستحق أن يسمى علماً هو ما كان فيه نفع للناس في دنياهم أو آخرتهم وتقوم به حياتهم بحيث لو تركه الناس يصيبهم ضرر بفواته، أما ما ليس كذلك كأنساب العرب ووقائعهم في الجاهلية فلا يستحق تضييع الوقت الثمين في تعلمه، فلا بد أن نراعي ذلك فيما نطالعه ونتعلمه عبر وسائل التثقيف المتنوعة التي لم تقتصر على الكتب والصحف والمجلات، بل تعدتها إلى شبكة النت ومواقع التواصل الاجتماعي.

ومن ذلك ما رواه معلى بن خنيس قال (سأل أبو عبدالله عليه السلام عن رجل وأنا عنده فقيل: أصابته الحاجة، قال: فما يصنع اليوم؟ قيل: في البيت يعبد ربه، قال: فمن أين قوته؟ قيل: من عند بعض اخوانه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: والله للذي يقوته أشد عبادة منه)<sup>(٢)</sup>.

فالرواية تصحح لنا فهمنا لعنوان مهم آخر وهي (العبادة) التي نظن أنها بكثرة الصلاة والصيام وكلما ازداد منها كان أعبد الناس وإذا بمفهومها أوسع من ذلك، فكل عمل يساهم في إعمار الحياة وإسعاد الناس وإصلاحهم وتوفير الحياة الكريمة لهم هو من أسمى أشكال العبادة.

(١) الكافي: ج ١ / كتاب فضل العلم / باب صفة العلم.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ / ح ٣ / ص ١٤

## القبس القرآني

١٣٨

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) <sup>(١)</sup> (المطففين: ٢٦)

جاءت الآية بعد سلسلة من الآيات التي تصف العاقبة الحسنة للأبرار (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \* تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ \* يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) (المطففين: ٢٢-٢٥). ففي مثل هذا النعيم يجب أن يكون التنافس على السبق والتحصيل، وقد دلت لام الامر على الطلب والدعوة. ولعل في تقديم (وفي ذلك) بدل تأخيرها كما هو مقتضى القاعدة نكتة إفادة الحصر أي ان التنافس لا يكون الا في مثل هذا النعيم، وإن هذا وحده يستحق التنافس دون غيره مهما كان ذلك الغير عظيماً في نظر الناس كالمال أو الجاه أو السلطة ونحو ذلك، وهو معنى يقتضيه لفظ التنافس، الذي هو بذل الجهد وإتعب النفس وسبق الغير لتحصيل النفيس من دون إضرار بذلك الغير ولا كيد له ولا حرمان منه. ولا نفيس الا في ما يرضي الله تبارك وتعالى والفوز في الآخرة اما ما سواها فهي لذة ومتعة آنية فانية ولا قيمة لما في الدنيا الا بمقدار ما يقدم للآخرة، فتكون الآية بمعنى قوله تعالى (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الحديد: ٢١) وقوله (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة: ١٤٨) وقوله (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) (الأنبياء: ٩٠).

(١) كلمة القيت يوم الجمعة ٢٣ / ذوالحجة / ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/٩/١٥ بمناسبة قرب حلول شهر

وعليه فما يرد في الكلام المتداول من تقسيم التنافس إلى شريف وغير شريف هو تعبير غير دقيق لان التنافس لا يكون الا شريفاً، أما التنافس غير الشريف لكون أغراضه كذلك أو ان وسائله كذلك فانه ليس تنافساً أصلاً لأنه ليس مسابقة على أمر نفيس بل على أمر وضع فيخرج من موضوع التنافس، ولعل هذا التقسيم مبني على فهم التنافس بمعنى التغالب بشكل عام فيشمل القسمين، قال السيد الطباطبائي قَدَسَ سِرُّهُ (التنافس: التغالب على الشيء) وقال الشهيد السيد الصدر الثاني قَدَسَ سِرُّهُ (التنافس: التغالب على هدف معين، كل واحد منهم يجب أن يكون أسرع من صاحبه في الوصول إليه)<sup>(١)</sup>.

أقول: تضمين التنافس معنى التغالب مأخوذ من تداول استعمال اللفظ بهذا المعنى وشهرته والا فإنه لا يقتضي ذلك كما قدمنا ولعلمهم أخذوا المعنى من كون المرتكز في ذهن المشهور أن صيغة (تفاعل) تدل على الفعل المتبادل بين اثنين أو أكثر وهو غير لازم لورود الصيغة في معنى الثلاثي نحو (تعالى الله) أي علا وقد يستعمل للوقوع التدريجي نحو (تقاطر المطر) أو للدلالة على خلاف الواقع نحو (تظاهر ومارض) وغير ذلك.

فالتنافس لا يعني المغالبة بل ما ذكرنا من المسارعة والاستباق لتحصيل الامر النفيس من نعيم الآخرة وهو لا حدود له ولا نفاذ ولا اختصاص لاحد دون آخر (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) (ص: ٥٤) أما المغالبة فأنما تحصل في الأمور الدنيوية لمحدودية موجوداتها فيحرص كل واحد أن يغلب الآخر للحصول عليه

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٦٣، مئة المنان: ٤/٢٧١.



دونه، والآخرة ليست كذلك فلا تحتاج إلى المغالبة، قال في مجمع البيان ("التنافس": تمنى كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذي للنفس الأخرى أن يكون له).

ولذا فان التنافس الحقيقي لبلوغ نعيم الآخرة يرتقي ويسمو بجميع المتنافسين إلى اعلى الدرجات، اما التنافس على أمور الدنيا كالسلطة او المال او الأرض وفي غير ذلك، فانه يجعل المتنافسين في صراع قد يحرق الأخضر واليابس كما هو المشاهد عبر التاريخ.

ومما تقدم تلخص لدينا عدة وجوه لحصر الآية استحقاق التنافس في أمر الآخرة فقط، وهي تظهر الفوارق بين التنافس الدنيوي والآخروي:

١- لان نعيم الآخرة دائم وحقيقي (هُم فِيهَا خَالِدُونَ) بينما لذات الدنيا ومغانمها فانية زائلة ومحدودة.

٢- ان التنافس على نعيم الآخرة يؤدي إلى إعمار الحياة بالخير والعدل والإحسان والرحمة بينما التنافس على الدنيا يدع الأرض بلاقع ويهلك الحرث والنسل.

٣- ان المتنافسين على الآخرة يسمون بتنافسهم ويزدادون مودة ومحبة بينما يمتلئ المتنافسون على الدنيا ضغينة وحقداً وحسداً.

٤- ان المتنافسين على الدنيا يقعون في دائرة ضيقة هابطة لان همهم إرضاء انانياتهم واشباع نزواتهم وتلبية شهواتهم بينما يتسع أفق المتنافسين على الآخرة وترنو ابصارهم الى ما وراء هذا الكون العظيم.

والإتيان بهذا المشهد من جنة الأبرار ونعيمهم في سورة المطففين ثم التعقيب بالآية محل البحث يلفت النظر ويفتح الذهن على هذه المقارنة لإدراك ما يستحق المنافسة فالمطففون لا يتورعون ولا يخافون سوء الحساب فيظلمون الناس ويأكلون أموالهم بالباطل ويمضون حياتهم في التكالب على هذه الدنيا الدنية ومتاعها الرخيص ويتباهون بما يحصلون عليه منها ويزيد بذلك الأوزار والتبعات على ظهره فتذكر السورة مصيرهم (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) (المطففين: ١) إلى ان يقول سبحانه (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) (المطففين: ٧) (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) (المطففين: ١٦) إلى آخر الآيات.

والدعوة في الآية الكريمة عامة لكل الناس ولا يضّر بعمومها إنها موجهة للمتنافسين فان هذا ليس من باب التخصيص لان كل الناس داخلون في عنوان المتنافسين بعد ملاحظة ما هو مغروس في فطرة الانسان من حب التنافس والحرص على تحصيل النفيس لكنها توجه هذه النزعة الإنسانية نحو حب الخير والازدياد منه فوجهت تنافسهم إلى الهدف الصحيح الذي ربما كانوا غافلين عنه حتى المتدينون منهم ومن هنا يظهر أحد وجوه أهمية الدين في حياة الانسان بتوجيه تنافسه نحو الخير والعدل والإحسان (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: ٩٠) بينما الماديون يتوجه تنافسهم على المصالح الدنيوية فتحصل الحروب والمنازعات وما يتبعها من دمار وخراب فلينتبه المنادون بإقصاء الدين عن الحياة إلى الكارثة التي يريدون جر المجتمع إليها.

واروع ما في هذه المنافسة أن فاعل الخير والحسن يُعطى أجره وإن لم

يقصد بعمله نيل ما عند الله تعالى، ففي كتاب الكافي: ان من وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأمر المؤمنين (عليه السلام) (يا علي من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم، فقال علي (عليه السلام): لغير الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): نعم والله صيانة لنفسه يشكره الله على ذلك<sup>(١)</sup>.

والآية تدعو الى التنافس و المسابقة والمصارعة الى فعل الخير والطاعة مطلقاً سواء كان على نحو الواجب او المستحب ، وقد استعمل فيها لفظ (في) وليس على ولعله لبيان ان التنافس والتسابق الى الخير هو بنفسه خير ، وهذا واضح لان في الاحاديث: ان من نوى حسنةً او همَّ بها ولم يفعلها كتبت له حسنة<sup>(٢)</sup> .  
 واثار السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره سؤالاً هنا يناسب ذوقه العرفاني قال فيه (ان السياق السابق للآيات هو وصف ثواب الابرار، وهو ليس هدفاً حقيقياً، وإنما حال المقرِّبين هو الهدف الحقيقي<sup>(٣)</sup> فلماذا امر بالتنافس على حال الابرار؟) ثم ذكر عدة وجوه في الجواب قال منها:

١- انه هدف في الجملة جيد جداً لمن يكون دون ذلك.

(١) الكافي: ٤٣٠/٦.

(٢) عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال: (ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان همَّ بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف.

(٣) كما في الترتيب الذي ورد في سورة الواقعة.

٢- انه هو الهدف الغالبي؛ لأن الأعمّ الأغلب من الناس هم دون ذلك لا محالة، فالمنظور هو الغالبية.

٣- ان التنافس يصحّ فقط على هذا الهدف، واما هدف المقربين فلا يصح فيه التنافس، لأنه مما لا يتحمّله الناس ولا يقيمونه، فلا ينبغي ان يؤمروا بالتسبب اليه.

٤- ان التنافس انما يكون في هذا الهدف فقط، اما هدف المقربين فلا يمكن التنافس فيه، لأنه انما هو عطاء محض من قبل الله سبحانه، وليس بيد العبد التسبب إليه، كما قال في الدعاء: (بخدمةٍ توصلني إليك) وقال: (يامن دلّ على ذاته بذاته).

٥- ان التنافس انما يمكن في هذا الهدف فقط دون هدف المقربين؛ لأن المقربين في حالة فناء، فلا يصلحون للتنافس، وانما التنافس يكون في عالم الأسباب والنظر الاستقلالي إلى الأشياء، وهو مناسب مع نظر الابرار لا مع نظر المقربين. والا فهذا التنافس هو عين الشرك بالنسبة إلى المقربين، ومن هنا لزم ان يكون هذا خطاباً للمستويات التي تناسبه، والتي يكون هذا التنافس نافعاً لها ومنتجاً لتأثيره الحسنه فيها.)<sup>(١)</sup>

أقول: بغضّ النظر عن المناقشة في بعض تعبيراته فَلْيَسِّرْ فان هذا السؤال واجوبته تناسب ذقوه ومستواه العرفاني (قدس الله سره)، ويمكن ان نضيف أجوبة أخرى:

(١) مئة المنان: ٢٧١/٤.

١- ان السؤال لا موضوع له اصلاً لأنه مبني على التقسيم المصطلح لدى اهل الفن من تقسيم المقامات كالموجود في سورة الواقعة إلى المقرّبين وأصحاب اليمين، والا فلا مانع من دخول المقرّبين في عنوان الابرار وقد دلّت عليه الروايات الشريفة فقد روى القمي في تفسيره بسنده عن جعفر بن محمد (عليه السلام) في المراد من الابرار قوله (وهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة (عليهم السلام))<sup>(١)</sup>، وهم سادة المقرّبين والخلق جميعاً. ويمكن ان يستظهر ذلك من صريح الآيتين التاليتين (وَمِرْآةٌ مِّن تَسْنِيمٍ \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) (المطففين: ٢٧-٢٨) لكن التدقيق فيهما يؤيد التقسيم الذي ذكره السيد الشهيد لأن الآية تشير إلى ان المقرّبين يشربون من عين تسنيم صافياً اما الابرار فيخرج شرابهم منها.

٢- ان الآية تراعي المرحلية والتدرّج فان المتنافسين اذا بلغوا مرتبة الابرار لم يقفوا عندها لطموحهم المستمر إلى التكامل فيتنافسون للوصول إلى مقام المقرّبين فتكون نظير قوله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن: ١٦) للوصول إلى مقام آية (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) (آل عمران: ١٠٢) ولو طلب منهم مقام الثانية رأساً لعجزوا ويأسوا.

ويوجد هنا اشكال نقله السيد الطباطبائي قدس سره قال فيه: (واستشكل في الآية بأن فيها دخول العاطف على العاطف اذ التقدير: فليتنافس في ذلك الخ)<sup>(٢)</sup>.

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١٢٣/١٠ عن تفسير القمي: ٤١٠/٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ٢٦٤.

أقول: وبيانه : ان حق العبارة ان يؤخرَ الظرف (في ذلك) فتصبح الجملة  
وفليتنافس المتنافسون في ذلك فجئى بعاطفين متتالين وهم الواو والفاء وهو مخلّ  
بالبلاغة ومستهجن وحكى السيد قدس سره جواباً وأضاف جواباً ثانياً وكلاهما بعيدان  
ومبنيان على تقديرات غير عرفية لا نحتاج إلى بيان تفاصيلهما.

والجواب الصحيح ان الاشكال لا موضوع له لانه مبني على افتراض وتقدير  
وليس على واقع الجملة للفصل بين العاطفين بالظرف وقد علمنا في بداية الكلام  
وجه تقديم الظرف بل ان هذه الصياغة ابلغ التعابير فلو حذف أحد العاطفين او  
حصل تقديم وتأخير فانها سوف لا تؤدي الغرض المطلوب.

وخير مثال على المتنافسين في هذا النعيم والمسارعين عليه أصحاب الامام  
الحسين (عليه السلام) وأهل بيته حيث وصفهم الامام بذلك، فقد روى بعض ارباب  
المقاتل والتواريخ انهم تنافسوا فيمن يسبق إلى الموت اولاً ويبرز لمقاتلة الأعداء  
فقال بنو هاشم نحن اولاً لأننا أولى بالتضحية في سبيل رسالة جدنا رسول الله  
(صلى الله عليه وآله) وقال الاصحاب لا يمكن ان تُقتلوا ونحن ننظر إليكم فما عذرنا غداً يوم  
القيامة من جدكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحينئذ اذن الامام الحسين (عليه السلام)  
للأصحاب اولاً حتى استشهدوا جميعاً ثم لحقهم آل الرسول (صلى الله عليه وآله) ووقف  
الامام الحسين (عليه السلام) على أجسادهم الطاهرة يناديهم باسمائهم يؤنبهم ويشني على  
موقعهم ويستنصرهم اذ بقي وحيداً بعدهم وينسب إليه قوله (عليه السلام)

قوم اذا نودوا لدفع ملمة والخيل بين مدعس و مكردس

لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا  
يتهافتون على ذهاب الانفس<sup>(١)</sup>  
أي يتسابقون إلى الموت ويتنافسون على الفوز بالشهادة بين يدي الامام  
الحسين (عليه السلام).

(١) مقتل ابي مخنف : ١٣٣، ناسخ التواريخ : ٣٧٧/٢، معالي السبطين: ١٩/٢.

(إن الدين عند الله الإسلام) <sup>(١)</sup> (آل عمران: ١٩)

الدين كاصطلاح هو منظومة العقائد والقواعد والأفكار التي يلتزم بها الانسان وما يتفرع عنها من سلوك، وكل انسان في هذه الدنيا لابد أن يكون له دين حتى أكثر الشعوب تخلفاً وهمجية، وقد يكون هذا الدين الهياً أو مادياً من صنع البشر وابتداعهم، حتى الذين يسمون باللا دينيين فان لهم ما يعتقدون به من حريات منفلة وإباحية وزواج مثليين وقمع للقيم الدينية السامية.

والآية الكريمة تكشف عن هذه الحالة الطبيعية لدى الانسان وتأخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار فلا تتحدث عن ضرورة ان يكون للإنسان دين، وانما تنتقل إلى السؤال الثاني مباشرة وهو معرفة الدين الذي يجب ان يعتقد الانسان وتوجيه بوصلته إليه وتنظيم حياته على أساسه، لان الله تعالى بفضله وإحسانه وشفقته لا يترك الانسان تائهاً أو يقضي عمره بالتجربة والخطأ ليصل إلى الصواب وإنما قرّر له الحقيقة التي تقوده إلى السعادة والفلاح (إنّ الدين عند الله الإسلام) ولسانها الحصر أي تنفي سلامة وصحة أي دين آخر وإن اتعب الناس أنفسهم في صياغته واحكامه.

والإسلام يعني الانقياد والتسليم لله تبارك وتعالى وهو عنوان عام الا انه اختص بالدين الإسلامي الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) وختم به الديانات والنبوات

(١) القيت يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ١٤٣٩ الموافق ٢٠١٧/١٢/١.



لانه اكملها وادقها في تحقيق معنى الإسلام الذي يغطي كل شؤون الحياة الفردية والاجتماعية ولم يستوعبها دين غير دين الاسلام (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣) وهو يتضمن الايمان بصدق كل الأنبياء السابقين وصحة ما أتوا به (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٦) (آل عمران: ٨٤) الا أن التعبد والتدين لا بد أن يكون وفق هذه الشريعة الخاتمة.

وهذه الحقيقة يدعن بها العقل وتؤمن بها الفطرة من دون الحاجة إلى دليل ولا يشكك فيها الا مكابر (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) (النمل: ١٤) لان الله تعالى خالق هذا الانسان والعارف بخلجات نفسه ومكونات ضميره وكل ما يصلح شأنه فمن الطبيعي التوجه إليه لمعرفة ما ينظم حياته ويكفل له سعادته وصلاحه.

وتضيف آية في نفس السورة سبباً آخر يدعو الانسان إلى اعتناق الإسلام دون أي دين او نظام غيره، قال تعالى (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران: ٨٣) فالكون كله منقاد لمشيئة الله تعالى واراادته ويسير وفق النظام الدقيق الذي وضعه الله تعالى له، والانسان ما هو الا ذرة ضئيلة في هذا الكون وخاضع لنظامه فهو يولد بشكله وتركيبته من دون ارادته ويكبر ويهرم ويموت وتعمل أجهزة جسمه بلا إرادة منه فهذا الإسلام والانقياد التكويني لا بد ان يقترن معه انقياد تشريعي لتسجيم حركته مع الكون كله (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) (النساء: ١٢٥).

والا تعرض لكوارث وصعوبات.

وقد التفت العلم الحديث قريباً إلى هذه الحقيقة، فأذعن بأن الانسان اذا خرج عن السنن الكونية الطبيعية فانه يسبب لنفسه الدمار والهلاك وكذا على صعيد المجتمعات والدول.

فالسؤال هنا (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) فيه استنكار واستهجان وتوبيخ لخروجه من هذا النظام الكوني المتناسق ويأتي الجواب بعد آيتين ليسجل العاقبة الأليمة لهذا الخروج (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥) فمن طلب ديناً غير الإسلام فهو خاسر لانه أضاع هذه الثروة العظيمة التي من الله تبارك وتعالى عليه بها واستبدل بها اوهاماً وضلالات وافنى عمره الثمين في متع زائلة واتبع هواه وانانيته وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شَقْوَتُهُ وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ وَتَعْظُمُ كِبَوْتُهُ وَيَكُنُّ مَأْبَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَعْبَتِهِ) (١) وقوله (ايها الناس: دينكم دينكم تمسكوا به لا يزينكم ولا يردنكم احد عنه فان السيئة فيه خير من الحسنه في غيره لان السيئة فيه تغفر والحسنه في غيره لا تقبل) (٢).

فلنلتفت إلى هذه الحقيقة مادمننا في هذه الدنيا وفرصة العمل مفتوحة امامنا ونتمسك بديننا ونجعله أهم شيء عندنا والا فان هذه الحقيقة ستتكشف للغافلين

(١) نهج البلاغة: ١٦١ ومن خطبة له (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في صفة النبي وأهل بيته و أتباع دينه وفيها يعظ بالتقوى.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٤.

يوم القيامة حيث لا ينفعهم الندم (وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥) وحينئذ يعلم العلمانيون والملحدون واللادينيون من الفائز بالسعادة؟ ولا بد ان نلتفت إلى ان الإسلام ليس مجرد نطق بالشهادتين ولا يكفي فيه أداء العبادات الشخصية الواجبة فان الانقياد والطاعة لا تتحقق بذلك لوحده وإنما بالتطبيق الشامل للشريعة والالتزام بالدين في شؤون الحياة كافة، فهذا هو الإسلام وليس المظاهر والشكليات أو النسخ المحرّفة أو النماذج المنعزلة في الزوايا والكهوف، لان من اهم علامات الصدق في الدين التحرك به ونشره وادخال الناس فيه، وعن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (لا دين لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)<sup>(١)</sup>، ويذمّ أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقاعسين الذين جعلوا دينهم تبعاً لديناهم قال (وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُغَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعٌ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَخْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ)<sup>(٢)</sup> أي ان قلة اهتمامكم بدينكم يوحى وكأنكم أنجزتم ما عليكم تجاه خالقكم واحرزتم رضا الله تبارك وتعالى فلم تعودوا محتاجين إلى عمل والأمر ليس كذلك أكيداً، وعنه (عليه السلام) قال (إن جعلت دينك تبعاً لديناك أهلكت دينك وديناك وكنتم في الآخرة من الخاسرين ، إن جعلت دينك تبعاً لدينك أحرزت دينك وديناك وكنتم في الآخرة من الفائزين)<sup>(٣)</sup>.

وقد اعطى القرآن الكريم القيمة العظمى للدين وقدمه على كل شيء قال تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: ١٩١) (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: ٢١٧)

(١) بحار الانوار: ١٠٠/ ٨٦ ح ٥٩

(٢) نهج البلاغة: الخطبة/ ١١٣

(٣) غرر الحكم: ٣٧٥١، ٣٧٥٠

فإزهاق النفس والتضحية بها يهون في سبيل التمسك بالدين وعدم الفتنة عنه، وروي عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا) (غافر: ٤٥) قوله ( يعني مؤمن آل فرعون، والله لقد قطعوه إربا إربا ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه) <sup>(١)</sup>.

وفي هذا وردت روايات المعصومين (عليهم السلام) فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (وإذا نزلت نازله فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الهالك من هلك دينه والحريب من حُرب دينه) <sup>(٢)</sup>.

وقد ادرك من وفقهم الله تعالى لمرضاته هذه الحقيقة فتمسكوا بدينهم وثبتوا عليه رغم الاغراءات التي عرضت عليهم، والعقوبات الصارمة التي هددوا بها ويحكي القرآن الكريم قصص جملة منهم للتأسي بهم كاصحاب الأخدود الذين حفر لهم خندق واضرمت فيه النار وألقوا فيها ولم يعطوا للظالم ما يريد من تركهم لدينهم (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (البروج: ٨) وكسحرة فرعون الذين هددهم بقطع الايدي والارجل ثم القتل فأجابوه (فَأَفْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا) (طه: ٧٢ - ٧٣) وكامرأة فرعون التي لم ترضخ تحت تعذيب فرعون الوحشي وكان نظرها إلى الله تبارك وتعالى (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) (التحریم: ١١) وكأصحاب الكهف الذين لم تغرهم مكانتهم كامراء في الممالك

(١) بحار الانوار: ١٣ / ١٦٢ ح ٥

(٢) الكافي: ٢ / ٢١٦ ح ٢

الرومانية ولا أخافهم بطش القياصرة الرومان (إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا) (الكهف: ١٤).

وبالمقابل فان الخاسرين الذين أغراهم الشيطان وغررتهم الدنيا كثر أيضاً  
كقاضي قضاة الدولة العباسية - وهو أعلى مرجعية دينية في الدولة - الذي سعى  
لدى المعتصم العباسي بقتل الامام الجواد (عَلَيْهِ السَّلَام) حسداً لانه اخذ بحكم الامام  
(عَلَيْهِ السَّلَام) في قطع يد السارق وهو يعلم ان في ذلك النار.

وكحميد بن قحطبة الوالي والقائد العباسي في الرواية التالية التي تكشف  
عن جانب من وحشية بني العباس وحقدهم على أهل بيت النبوة وإصرار  
الطواغيت وشياطين الانس والجن على سلب الدين وعدم اكتفائهم بما دون ذلك  
ففي كتاب اخبار الرضا للشيخ الصدوق بسنده (عن عبيد الله البزاز النيسابوري -  
وكان مسناً - قال: كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت  
إليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلي ثياب السفر لم  
أغيرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر. فلما دخلت إليه رأته في بيت  
يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست فاتي بطست وإبريق فغسل يديه، ثم أمرني  
فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم وأنا في شهر رمضان، ثم  
ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: مالك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا  
شهر رمضان، ولست بمريض ولا بي علة توجب الافطار، ولعل الأمير له عذر في  
ذلك أو علة توجب الافطار، فقال: ما بي علة توجب الافطار وإني لصحيح البدن،  
ثم دمعت عيناه وبكى. فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال:

أنفذ إلي هارون<sup>(١)</sup> الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفا أخضر مسلولا وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال، فأطرق ثم أذن لي في الانصراف. فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إلي وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رأني استحيا مني فعدت إلي بين يديه فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكا - لان الأمير علم ان ابن قحطبة فهم الرسالة وان المطلوب منه عرض سخى اكبر من هذا - ثم أذن لي في الانصراف. فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إلي فقال: أجب أمير المؤمنين فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامثل ما يأمرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والدوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى

(١) لعله اشتباه والصحيح أنه أبو جعفر المنصور لان ابن قحطبة مات في زمن قريب من موت

بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضا عشرون نفسا من العلوية من ولد علي و فاطمة عليها السلام مقيدون فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسا من ولد علي و فاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضا فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبا لك يا مشوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتلت من أولاده ستين نفسا، قد ولدهم علي و فاطمة عليها السلام، فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضبا وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمى به في تلك البئر، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفسا من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشك أنني مخلص في النار<sup>(١)</sup>.

وتضمنت واقعة كربلاء مشاهد للفريقين فمن الأول الحر الرياحي الذي كان يرتعد وهو يرى جيش ابن زياد عازماً على قتل الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته ولما سأله صاحبه عن السبب قال (إني أخير نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئاً).

ومن الثاني عمر بن سعد بن ابي وقاص وهو قرشي وذو رحم بالحسين

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٨، بحار الانوار: ٤٨/ ١٧٨

(عليه السلام) ويعرفه حق المعرفة ولكن أنانيته وطمعه وولعه بولاية الري وجرجان دفعه إلى الاقدام على هذه الجريمة الشنيعة فخسر الدنيا والآخرة وكان يردد ليلة اتخاذ القرار:

أترك ملك الري والري منيتي      ام أرجع مأثوماً بقتل حسين  
حسين ابن عمي والحوادث جمة      لعمر ك ملك الري قرة عين



## وَدُّوا لَوْ تَدَهَّنُ فَيَدَهِّنُونَ (القلم: ٩) لا مساومة على المبادئ الحقّة<sup>(١)</sup>

تكشف الآية الكريمة لرسول الله (ﷺ) عن خدعة يتخذها الكفار والمشركون والمكذّبون كأسلوب لمواجهة دعوته المباركة وإيقاف انتشارها وذلك من خلال سعيهم بكل رغبة واهتمام إلى أن تداهنهم<sup>(٢)</sup> وتتوصل معهم إلى انصاف حلول - كما يقال - ترضيهم ويرضونك فتتنازل عن بعض مبادئك وتقبل بواقعهم الفاسد والمنحرف مقابل ان يعترفوا بك وبأهلك ورسالتك ويخففوا من ضغظهم عليك أو يتقاسمون معك المنافع والامتيازات.

وقدموا عروضاً في ذلك كقول عتبة بن ربيعة ( يا ابن أخي إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّتهت به احلامهم، وعبت به ألهمهم ودينهم، وكفرت به من مضى من أبائهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله (ﷺ): قل أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع

(١) القيت بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٤٣٩ الموافق ٨ / ١٢ / ٢٠١٧.

(٢) أي تلاطفهم وتلاينهم وتكون مرناً معهم، مأخوذة من الدهن الذي يلين الاجسام الصلبة ويسهل حركتها ويستعمل لفظ المداهنة في الحالة المذمومة.

أمرًا دونك، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا<sup>(١)</sup>.

وفي مرة أخرى جاءه مجموعة من اسياذ قريش وطواغيتهم فقالوا ( يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وانت في امرنا كله، فإن كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظاً، وإن كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظاً)<sup>(٢)</sup>.

وكان الرد الحاسم على مثل هذه المحاولات في الآية السابقة عليها (فَلَا تُطِيعِ الْمُكذِّبِينَ) (القلم:٨) وفي سورة الكافرون (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) (الكافرون:١-٢) وفي آية أخرى (وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (المائدة:٤٩) فقطع عليهم كل طرق المساومة والمداهنة رغم انه (ﷺ) كان في اصعب الظروف واحلكها ويعاني الوان الألم والتضييق والتجويع والتعذيب والقتل.

ويتوجه أهل الباطل إلى هذا الأسلوب بعد أن يعجزوا عن القضاء على الحق وتطويقه ومنع الناس من اتباعه ويصبح امرأ واقعاً لا يستطيعون الغاءه فيلجأون إلى المساومة وعقد الصفقات ويتخذون مختلف الوسائل لدفع أهل الحق للقبول بهذه المساومة فيهددونهم بالقتل والتجويع تارة أو يطمعونهم تارة أخرى أو يشوا عليهم الاشاعات بإعلام قوي فاعل للضغط عليهم نفسياً وعزلهم اجتماعياً أو التأثير على اتباعهم لينفضوا عنهم.

(١) سيرة ابن هشام: ٢٩٣/١

(٢) الدر المنثور: ٦٥٥/٨

وهم بذلك يحصلون على أكثر من هدف:

١- كسب الشرعية لباطلهم من دون ان يخسروا شيئاً لأن ما عندهم أو هام وضلالات ودنيا زائفة لذلك فانهم يريدون منك المداهنه اولاً لانهم مستعدون لكل شيء يحفظ مصالحهم كلها او بعضها.

٢- اسقاط أهل الحق في أعين اتباعهم حين يتنازلون عن بعض مبادئهم وإظهارهم منافقين يتغون الدنيا بالدين.

وفي هذا الادب الإلهي لنيه الكريم (ﷺ) درس لكل الرسالين وأصحاب المبادئ أن يحافظوا على استقامتهم ويتمسكوا بالحق الذي امنوا به وساروا عليه ولا ينساقوا وراء المطامع فيدخلوا في صفقات مع أهل الباطل، وهذا الامتحان جارٍ في كل حقول الحياة ولا يختص بمجال العقيدة فيشمل السياسة والتجارة والعمل الوظيفي وأصحاب المهن فكل هؤلاء وغيرهم يتعرضون لهذه المساومات وطلب المداهنة على حساب المبادئ والاستقامة وحتى الزعامات الدينية أيضاً فانهم معرضون لهذا الابتلاء وحينئذٍ يمتاز أهل المبادئ حقاً الذين لا يساومون عليها عن الذين يتاجرون بها ويضحون بها في اول مغنم يعرض عليهم، فيصبحون العوبة بيد أهل الباطل يسيرونهم وفق اغراضهم، لا يفرق في ذلك بين رجال الدين او غيرهم.

وكثيرةً هي التحالفات التي وقعت بين الحكومات الجائرة والسلطة الدينية فالثاني يوفر للأول الغطاء الشرعي ويمكنه من رقاب الناس ويوفر الأول للثاني الامتيازات والمنافع والجاه والنفوذ ويقف الاثنان معاً متحدين في مواجهة العاملين

الرساليين الذين يريدون ايقاظ الأمة وتوعيتها وتوجيهها نحو الصلاح، والمشكلة جارية حتى على صعيد الافراد فانهم يفضلون الزعامات الدينية التي تؤمن لهم هذه المصالح والامتيازات وتغض الطرف عن انحرافاتهم ومظالمهم مقابل ما يوصلون اليهم من أموال يفضلونهم على القيادات الرسالية التي تنصحهم وتبين لهم عيوبهم ولا تداهنهم ولا تجاملهم، وهذا انحراف كبير في ثقافة الأمة وتدينها لذا كان القرآن الكريم حازماً في رفض هذه الحالة (كَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة:٦٣).

فالدرس الذي أخذناه من النبي (ﷺ) والقرآن الكريم أن لا مساومة على المبادئ الحققة وسار على هذا النهج الائمة المعصومون (عليهم السلام) لذا نجد في صفاتهم التي تسجلها نصوص زياراتهم (ولا لأحداً فيك مطمع).

## القبس القرآني

١٤١

(وإن كثيراً من الخُطاء لِينبغي بعضهم على بعض) (ص: ٢٤)  
 ضع الله تعالى نصب عينيك عندما تكون في خلاف مع الآخر<sup>(١)</sup>  
 قال الله تبارك وتعالى (وإن كثيراً من الخُطاء لِينبغي بعضهم على بعض إلا  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) (ص: ٢٤).  
 تشخص الآية الكريمة ظاهرة اجتماعية خطيرة وحالة لا إنسانية متفشية في  
 المجتمع، وقد وردت الكلمة في سياق قضية الخصمين اللذين احتكما إلى نبي الله  
 تعالى داود (صلوات الله عليه وعلى نبينا) (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) (ص:  
 ٢٢) والخُطاء الأشخاص الذين بينهم نحو من انحاء الاختلاط ولا يختص  
 بالشركة المالية حتى يقال انه لا دلالة في الآية على وجود شراكة بينهما فيمكن  
 أن يكون اختلاطهما بسبب الرعي المشترك أو تجاورهما أو أي سبب آخر،  
 ويمكن أن تكون نفس هذه المنازعة اختلاطاً بينهما.

والقرآن الكريم يشخص هذه الحالة المذمومة التي تحصل بين الخُطاء  
 وهي بغي بعضهم على بعض ومحاولة كل منهما الاستئثار بالكل وانتزاع ما في يد  
 الآخر بشتى الوسائل كالدعوى الباطلة وتزوير الشهادات والوثائق والكلام  
 المعسول وقد يتوسل بالقوة لتحقيق ذلك (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في مكتبته يوم السبت ٣٠ / جمادي الأول /

نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) (ص : ٢٣) أي طلب مني ضم  
نعجتي إلى نعاجه وغلبنني بكلامه و حججه و خدعه.

ولعل تسجيل هذا المورد من الظلم والبغي مع أن مواردهما كثيرة لالفت  
النظر إلى خطورة هذه الظاهرة ولؤم الباغي فيها لان المفروض أن خلطتهما  
وتواصلهما المستمر يكون سبباً لتبادل الثقة والمودة بينهما وأن يكون كل منهما  
أميناً على حق الآخر وحافظاً له وان لا يتوقع كل منهما صدور الظلم والبغي من  
الآخر.

وقد استنتت الآية المؤمنين ذوي السيرة الصالحة لكنهم الاقلون عدداً فانهم  
يصمدون بايمانهم امام اهواء النفس وانانيتها وطمعها وحبها للغلبة والاستعلاء  
وحسدها، وهذا يعني ان ما يعصم من الوقوع في هذا البغي والظلم هو الايمان  
الصادق الذي يتمظهر في العمل الصالح والسيرة الحسنة، ومراعاة حقوق الاخوة  
والمعاشرة، هذه الرقابة الداخلية من الضمير الحي والقلب المفعم بالحب والرحمة  
وتقوى الله تعالى هو ما يجعل صاحبه لا يفكر الا بالخير للآخرين اما أي رقابة  
أخرى كالسلطة والقانون والعقوبات فانها يمكن التخلص منها والتحايل عليها  
والاحتماء منها، وهذا الفرق يظهر لنا أحد مميزات الدين والالتزام به ودور الدين  
في حياة الانسان.

ونذكر هنا حديثين نبويين شريفيين لردع من تسوّل له نفسه التجاوز عل حق  
خليطه ومن له نزاع او اختلاف معه مستخدماً شتى الوسائل والذرائع.

١- روى الشيخ الطوسي في كتابه الآمالي عن عدي قال (اختصم امرؤ

القيس ورجل من حضر موت إلى رسول الله (ﷺ) في أرض، فقال: ألك بينة؟ باعتبار ان القاعدة المعمول بها في حل النزاعات هي بأن يقدم المدعي بينة واضحة على ما يدعيه (قال: لا، قال (ﷺ): فيمينه) لان المدعي اذا لم تكن لديه بينة يحلف المدعى عليه وهو المنكر للدعوى على نفسها فيحكم له بالحق (قال: إذن والله يذهب بأرضي) أي ان المدعي خاف من ان خصمه لا يتورع عن الحلف كذباً فيحكم له بالأرض (قال: إن ذهب بأرضك بيمينه كان ممن لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب اليم، قال: ففزع الرجل وردّها إليه)<sup>(١)</sup>

٢- صحيحة هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (ﷺ): إنما اقضي بينكم بالبينات والايمان وبعضكم ألحن بحجته - أي افطن لها - من بعض، فأیما رجل قطع له من مال أخيه شيئاً، فإنما قطعت له به قطعة من النار<sup>(٢)</sup>

ومن الواضح ان هذه الظاهرة لها مدى واسع في حياة المجتمع فيمكن ان تكون بين زوجين مختلفين فيحاول كل منهما ان يثبت انه على الحق وان الآخر هو المخطئ ويكشف من اسراره وخصوصياته ويسعى لتسقيطه وتشويه صورته، ويبالغ كل منهما في تحميل الآخر مبالغ واستحقاقات كبيرة بالاستفادة من القانون الوضعي الحاكم.

او بين متنازعين في السوق وما أكثر الاختلافات بين المتعاملين، او النزاع

(١) وسائل الشريعة: ٢٧/٢٣٥، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم/ باب ٣/ح ٧

(٢) وسائل الشريعة: ٢٧/٢٣٢، باب ٢/ح ١

بين وريثة او أي شركاء فيعمل كل منهما على كسب الشيء له بلا وازع من دين او ضمير او اخلاق .

وتتوسع الأمثلة الى الشركاء السياسيين او حكومات الدول المختلفة فأنها مبنية على الاستئثار والهيمنة وتجريد الاخر من حقوقه وليس على أساس العدالة والانصاف والمرؤة والحقوق المتبادلة الا من عصم الله تعالى كما ذكرت الآية. فالدرس الذي نستفيده من الآية أنه يجب على الانسان أن يضع الله نصب عينيه حينما يكون في نزاع مع الآخر فلا يكون همه الا إحقاق الحق لا الغلبة على الآخر، وتقرّر الآية أن من يكونون كذلك قليلون.

ولأجل هذا كُرِهت الشركة الا اذا وجدت مُبرراتها وضماناتها، روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قوله ( الشركة في الملك تؤدي الى الاضطراب )<sup>(١)</sup>  
 نعم تستحب الشركة في الرأي أي المشاورة واستمراج الرأي (الشركة في الرأي تؤدي الى الصواب )<sup>(٢)</sup>

(١) ( غرر الحكم: ١٩٤١ )

(٢) ( غرر الحكم: ١٩٤٢ )



## القيس القرآني

١٤٢

(وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) (الحديد: ٤)  
المعية الإلهية... الثمرات والمراتب<sup>(١)</sup>

تبّه الآية الكريمة إلى حقيقة قرآنية عظيمة تزيد الانسان كمالاً ومعرفة برّبّه كلما ازداد ايماناً بها واستحضرها في وجدانه فعلاً.

تلك الحقيقة هي ان الله تعالى معكم في جميع مراحل تكوّنكم في الدنيا والآخرة وفي كل مكان تكونون فيه ومهما اعتقدتم انكم في خلوة وانفراد فانه معكم، وهو تعالى معكم في كل زمان وفي كل حالة من حالاتكم ومطلع عليكم ومحيط بكم (لَا يَغْرِبُ عَنْهُ مُثْقَلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (سبأ: ٣) فالمعية الإلهية متحققة من جميع الجهات، وان لفظ (اين ما) الوارد في الآية لا يحددها بالمعية المكانية، ولعل ذكرها باعتبار ان المعية المكانية هي الاوضح في الازهان للتعبير عن الاقتران وكذا الغيبة المكانية أوضح في التعبير عن الافتراق.

ولذا جاءت الفقرة التالية لها (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) كالنتيجة لهذه الحقيقة لان لازم حضوره معكم وعدم احتجابكم عنه وإحاطة علمه بكم أن يكون بصيراً

(١) الخطاب الذي القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على آلاف المؤمنين والمؤمنات الذين احتشدوا في ساحة ثورة العشرين في النجف الاشرف قبل الانطلاق في موكب

التشييع الرمزي نحو حرم امير المؤمنين (عليه السلام) يوم الثلاثاء ٣/٢/١٤٣٩ الموافق ٢٠/٢/٢٠١٨

بأعمالكم عالماً بنياتكم وأغراضكم أي يعلم ظاهر الاعمال وباطنها.  
وقد تكرر هذا المعنى في آيات كريمة أخرى كقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا  
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ  
يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة:٧) وقال تعالى  
(يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) (النساء:١٠٨).

وقد استلهم النبي (ﷺ) هذه الحقيقة وقدم توجيهاً تربوياً في وصيته لأبي  
ذر (رضوان الله تعالى عليه) بقوله (أعبد الله كأنك تراه فان كنت لا تراه فإنه  
يراك)<sup>(١)</sup> والعبادة تسري في كل شؤون الحياة.

إن الايمان بهذه الحقيقة له عدة آثار في حياة الانسان:

١- سيشعر انه ليس وحيداً في مواجهة الصعوبات والمحن والبلاءات وانما  
يكون معه رب رؤوف رحيم يشفق عليه ويرعاه ويدفع عنه ويحميه ويستجيب  
لدعائه وطلباته و اذا تأخرت الإجابة فلمصلحته لأن ربه يختار له الخير ويكافئه  
على الاحسان ويعفو عن الإساءة وينصره عند الضعف والانتقاع (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ  
رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء:٦٢) (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي  
وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ  
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) (الشعراء:٧٨-٨٢) فهي معية اليجاد والهداية ومعية  
الاطعام والسقي ومعية الشفاء من المرض ومعية البعث والنشور. وبذلك يتحول

(١) مكارم الاخلاق للطبرسي: ٦٢٦

عجز الانسان وضعفه إلى قوة واقتدار ويتبدل خوفه وقلقه بفضل الله تعالى إلى أمن وطمأنينة قال تعالى (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكُنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) (محمد: ٣٥) وقال تعالى (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة: ٤٠).

روى الشيخ الصدوق عن إمامنا العسكري (عليه السلام) (أنه سُئِلَ إمامنا الصادقُ عَنْ اللَّهِ؟ فَقَالَ لِلسَّائِلِ: "يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟" قَالَ: بَلَى. قَالَ: "فَهَلْ كَسِرَبَكَ حَيْثُ لَمْ سَفِينَةً تُنَجِّيكَ، وَلَمْ سَبَاحَةَ تُغْنِيكَ؟" - أي حالة انقطاع أسباب النجاة - قَالَ: بَلَى. قَالَ: "فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ أَنْ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرَطْبِكَ؟" قَالَ: بَلَى. قَالَ الصَّادِقُ: "فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَيَّ الْإِنجَاءَ حِينَ لَا مُنْجِي، وَعَلَى الْإِغَاثَةَ حِينَ لَا مُغِيثَ" <sup>(١)</sup> لاحظوا عظمة النعمة بحضور الله تعالى معنا، وأي وحشة وعجز وضعف يحسّ به المنكر للخالق. وتزداد معية التوفيق والتأييد كلما ازداد العبد قرباً من ربه (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي) (المائدة: ١٢) أي ان بعض مراتب المعية العالية مشروطة بالإيمان والعمل الصالح.

وفي الحديث الشريف (انا عند المنكسرة قلوبهم) <sup>(٢)</sup> أي ان اللطاف الإلهية

(١) التوحيد للصدوق: ٢٣١، معاني الأخبار: ٤ / ح ٢، بحار الانوار: ١٣٧/٦٤

(٢) منية المريد، ص ١٢٣، وفيه: (أنا عند المنكسرة قلوبهم) ودعوات الراوندي: ص ٢٧٦، وفيه: روي أن داود (عليه السلام) قال: إلهي هل يذكر أحد الأموات حين درست قبورهم؟ قال: يا داود إني لم أنسهم أحياء مرزوقين، فكيف أنساهم أمواتاً مرحومين! كلما قطعت لهم إرباً غفرت لهم ذنباً وأغفر لهم بكل شجرة سقطت وبكل عظم بلي وأنا أرحم الراحمين.

الخاصة تحضر عند انكسار القلب لاي سبب كان سواء من خشية الله تعالى او عند التعرض لمظلومية وعدوان وغير ذلك .

٢- وسيشعر أيضاً أنه ليس مطلق السراح في اتباع شهواته ونزواته واهوائه ويفعل ما يشاء من جرائم ومنكرات وظلم للآخرين وإنما هو تحت الرقابة الإلهية التي لا تحيط فقط بظاهر الاعمال بل تنفذ إلى باطن العمل فتعلم النية والغرض، فقد يكون العمل حسناً بحسب الظاهر الا انه في حقيقته سيئ لان نية صاحبه سيئة كما لو قام به رياء او طلباً للسمعة والجاه ونحو ذلك ولم يكن يتغني به وجه الله تعالى لان الناقد بصير وهيئات لن يخدع الله عن جنته كما ورد في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذا الشعور يدفع العباد إلى القيام بالمزيد من الاعمال الصالحة وتخليص النيات من الشوائب وتجنب الاعمال السيئة والظلم والعدوان، فهذه الرقابة الإلهية لمصلحة الإنسان وهي توجه بوصلة حياته نحو الخير وتضبط استقامته وليست شيئاً قسرياً مفروضاً عليه.

وهي رقابة داخلية تستقر في ضمير الانسان وتكون حاضرة اذا غابت عنه رقابة الأجهزة والقوانين الحكومية أو الأعراف الاجتماعية.

ولأهمية هذه الحقيقة فقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (من أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان)<sup>(١)</sup>.

(١) سند أبي داود ح ١٥٨٢، الدر المنثور: ١٧١/٦

## أبيها الاحبة:

لقد أرادت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أن ترسخ هذه الحقيقة في قلوب وعقول الأمة لما رأت غفلة الكثيرين عنها وأن سلوكهم كان لا ينم عن إيمان حقيقي بها وإن اعتقدوا بها ظاهراً فخاطبت جمعهم بقولها (أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه) وقالت (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه)<sup>(١)</sup>.

وتحذّر (سلام الله عليها) من عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة والعمل بها فقالت (لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه - أي عاقبته - وببلا اذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم مالم تكونوا تحتسبون وخسر هناك المبطلون)<sup>(٢)</sup>.

من هذا نعرف الخسارة العظمى التي تحل بالإنسان حينما يغفل عن هذه الحقيقة او ينفىها او يتسافل اكثر فينكر وجود الخالق ونعرف حجم الخسارة التي تحل بالأمة حينما يروج البعض فيها إنكار هذه الحقيقة ويدعو إلى الالحاد ونبذ الدين ونحو ذلك، لا لشيء الا لكي يطلقوا العنان لشهواتهم واتباع اهوائهم ولكي لا يؤنبهم ضميرهم وليغطّوا على الشعور بالذنب والخطيئة (أخْرَجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) (النمل: ٥٦) فيخدعون أنفسهم بإنكار هذه الحقيقة العظمى أعني وجود الخالق فيكون حالهم كالوصف المنقول عن النعامة أنها اذا

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٢٨/١

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١٣٦/١

أحدق بها الخطر دفنت رأسها في التراب لكي لا تراه وتخدع نفسها بالتخلص منه. هذا هو الدافع الحقيقي لمن يقف وراء دعوات الالحاد ونبذ الدين اما التابعون لهم فهم مخدوعون ببعض الشعارات والادعاءات، وإلا فإن دعاوى إنكار الخالق أو الشرك به أو هام باطلة من صنع خيالات فاسدة ولا يساعد عليها عقل ولا منطق عقلائي بل أن العقل السليم يسخر من هذه الأفكار لان أبسط جهاز أو آلة حولنا لا يمكن أن نصدّق انه وُجد بلا صانع عاقل فكيف بالكون المترامي الذي يتحرك بنسق متناهي الدقة ووفق قوانين محكمة أتاحت المجال لعلماء الفلك أن يحسبوا ويستفيدوا منها في الرحلات الفضائية.

فأحذروا أيها الأحبة من كل سبب يؤدي الى الغفلة عن الله تعالى، وحذروا الناس من كل الدعوات التي تريد تغييب الله تعالى عن الحياة وعزله والتحليل من هذا الالتزام معه سبحانه وتعالى، واعملوا على ترسيخ حقيقة أن الله معنا لدى عموم الناس، وادعوا بالحكمة والموعظة الحسنة المتأثرين بما ينشر في مواقع التواصل لتنقذوهم من ضلالهم حتى يستشعروا هذه النعمة العظيمة والمسؤوليات تجاهها، وذلك بعد ان تتسلحوا بالعلم والمعرفة ولو على المستوى الفطري والعقلاني الذي لا يحتاج إلى دراسات معمّقة ومتخصصة.

وقد ورد في رواية<sup>(١)</sup> عن السيدة الزهراء فيمن يقوي الايمان و الدين وينصر المؤمنين ويدحض شبهات المضلّين والمنحرفين ان الله تعالى يضاعف له ما اعدّ له من المنزلة الكريمة المستحقة له في الجنان الف الف ضعف، فعلى

(١) بحار الأنوار: ٨/٢، ح ١٥

الجميع ان لا يتقاعسوا عن نصره الدين وهداية الناس وخدمتهم، وقد حذرت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ان حب الراحة والدعة واللامبالاة والكسل أسباب حقيقية لتضييع الحق وحذرتهم من خذلانه فقالت (عليها السلام) (الا وقد أرى أن قد اخلدتم إلى الخفض - أي الحياة المرفهة - وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة - أي الراحة والسكون -) (١).

وفقنا الله تعالى وإياكم لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله رب العالمين ونشر شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين).

---

(١) الاحتجاج: ١/١٣٣.

(فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ) <sup>(١)</sup> (البقرة: ١٥٢)

تشريف وتكريم من الخالق العظيم لعباده بأن يقرن ذكره بذكرهم ويبادلهم الذكر فيذكرهم اذا ذكروه ومن دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إلهي انت قلت وقولك الحق (فاذكروني اذكركم) فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً واعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين) <sup>(٢)</sup>، بينما لا يطمع الانسان في ان يذكره إنسان ضعيف عاجز مثله وهو يعشقه ويصفق له ويلهج باسمه ويلهث وراءه ويدافع عنه وربما يضحى من اجله والآخر لا يعرفه ولا يقيم له وزناً فشتان بين المعبودين!

والمراد بذكر الله تعالى عبده اذا ذكره منحه العطاء الخاص وترتيب الأثر المناسب والا فان الله تعالى لا يغفل عن عباده ولا يهملهم وهم يتقبلون بنعمه دوماً (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد: ٤) وهذا العطاء الخاص له اشكال عديدة ويتناسب مع نوع الذكر لان ذكره لله تعالى يجعله مؤهلاً لنزول البركات والمنن والعطايا، ففي حديث نبوي شريف في تفسير الآية (اذكروني يا معاشر العباد

(١) الكلمة التي القاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على طلبة جامعة الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في النجف الأشرف بحضور ادارتها وأساتذتها يوم الجمعة ١٢ رجب ١٤٣٩ المصادف ٣٠ / ٣ / ٢٠١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤ / ١٥١ / ح ٢١



بطاعتي اذكركم بمغفرتي)<sup>(١)</sup> والطاعة تشمل الواجب والمستحب، والمغفرة تشمل محو الذنوب المقترفة أو عصمة العبد ووقايته من الوقوع في غيرها. أو يذكره الله تعالى بالرحمة اذا ذكر ربه بالطاعة قال تعالى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (آل عمران:١٣٢).

وفي حديث آخر عن النبي (ﷺ) (اذكروني بالطاعة والعبادة اذكركم بالنعمة والإحسان والراحة والرضوان)<sup>(٢)</sup> أو يذكر ربه بالشكر فيذكره بزيادة النعم (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم:٧) او اذكروني بالدعاء لأذكركم بالإجابة (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر:٦٠) او اذكروني في الدنيا لأذكركم في الآخرة، او اذكروني في عالمكم الصغير لأذكركم في العالم الكبير ونحو ذلك مما ورد في الاحاديث الشريفة، ففي الحديث النبوي الشريف قال الله تعالى (انا عند ظن عبد بي وانا معه اذا ذكرني، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب اليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً)<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث الآخر عن النبي (ﷺ) قال (قال الله عز وجل ذكره: لا يذكرني أحد في نفسه الا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ الا ذكرته في الرفيق الأعلى)<sup>(٤)</sup>.

(١) الدر المنثور: ١ / ١٤٨

(٢) عدة الداعي

(٣) اخرجه في الدر المنثور عن أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان.

(٤) نفس المصدر عن الطبراني.

ولذا يحظى ذكر الله تعالى بأهمية كبيرة ومن الأسباب القوية لبلوغ الكمالات، وفي الحديث الشريف (أحب الاعمال الى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله) أي يكون الانسان في ذكر مستمر حتى اذا فاجأه الموت كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى وفي حديث آخر عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (ليس يتحسّر أهل الجنة الا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها) وروى عنهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) (إن في الجنة قيعاناً، فاذا أخذ الذّاكر في الذّكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذّكر)<sup>(١)</sup>.

وروى في عدة الداعي ان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خرج على أصحابه فقال (ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وما رياض الجنة، قال مجالس الذّكر اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فان الله تعالى ينزل العبد حيث انزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير اعمالكم عند ملكيكم وازكاها وارفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى فإنه أخبر عن نفسه فقال: انا جليس من ذكرني).

وفيه ايضاً عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال (قال سبحانه اذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فاذا كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حلت بينه وبين ان يسهو، اولئك اوليائي حقاً، أولئك الابطال حقاً،

أولئك الذين اذا اردت أن أهلك اهل الأرض عقوبةً ذويتها عنهم من أجل أولئك  
الابطال).

والأصل في الذكر حضور المعنى في القلب وتأثيره في الجوارح وليس  
مجرد تحريك اللسان به وإن كان هذا لا يخلو من ثمرة طيبة، لكن المطلوب  
حصول تلك المراتب روى في كتاب المعاني عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال  
(الا أحدثك بأشد ما فرض الله تعالى على خلقه؟ قلت: بلى، قال: انصاف الناس من  
نفسك ومواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن، اما اني لا أقول: سبحان الله  
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل  
موطن اذا هجمت على طاعته او معصيته). فتتخذ الموقف الذي يرضي الله تعالى  
في كل تلك المواطن.

وفي الحديث النبوي الشريف (من اطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلته  
وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلته وصيامه  
وتلاوته للقرآن)<sup>(١)</sup>. وهذا يبين لنا بوضوح المقياس الذي يعرف به الذكر والذاكر  
وعدم الاكتفاء بالحركات الخارجية، وعلى هذا فالذكر له مصاديق واسعة تشمل  
كل الطاعات، ومنها طلب العلم والحضور في مجالس الوعظ والإرشاد وحلقات  
العلم.

هذا الرصيد الضخم الذي يكتسبه الانسان بالذكر يمكن ان يفرض به ويضعه  
بسبب ارتكابه بعض الحماقات غفلة او انسياقاً وراء اهواء النفس ففي الحديث

الشريف (من قال سبحان الله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال الحمد لله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال لا اله الا الله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال الله اكبر غرس الله له بها شجره في الجنة فقال رجل من قريش يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها و ذلك إن الله عز وجل يقول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (محمد/٣٣) <sup>(١)</sup>. وهذه النيران يمكن أن تكون الغيبة أو الحسد أو الظلم أو انتقاص وإهانة الآخرين أو التقصير في القيام بعمل إنساني كان قادراً عليه.

وعلى الانسان ان يتجنب كل ما يلهيه عن ذكر الله تعالى ويشغله عنه من أمور الدنيا واتباع الشهوات والاهواء قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون:٩) وهو ما يتبعه شياطين الانس والجن (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ) (المائدة:٩١) فيقع الانسان في الغفلة الموجبة للبعد عن الله تعالى والوقوع في المعاصي، روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (ليس في المعاصي أشدُّ من اتباع الشهوة فلا تطيعوها فتشغلنكم عن الله) <sup>(٢)</sup> وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (كل ما الهى عن ذكر الله فهو من ابليس) <sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ٩٣ / ١٦٨ ح ٣.

(٢) غرر الحكم: ٧٥٢٠.

(٣) ميزان الحكمة: ٣ / ٣٥٦ عن تنبيه الخواطر: ١٧٠ / ٢.

وينبغي الالتفات إلى ان هذه الملازمة بين ذكر الله تعالى وذكر العبد قد تكون سلاحاً ذا حدّين فتكون العقوبة على من يعصي الله تعالى وهو ملتفت وذاكر مضاعفة، ففي الدر المنثور عن النبي (ﷺ) قال (فمن ذكرني وهو مطيع فحقّ عليّ أن اذكره بمغفرتي، ومن ذكرني وهو لي عاصٍ فحقّ عليّ أن اذكره بمقت).

وفي نفس المصدر (أوحى الله تعالى داود قل للظلمة لا يذكروني فان حقاً عليّ اذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن العنهم).

## (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) (البقرة: ١٤٣)

الوسطية في الإسلام لا في غيره<sup>(١)</sup>

من المفاهيم التي أختطفت وحُرِّفت عن معناها الحقيقي (الوسطية) والاعتدال حيث أصبحت تعني - وفق الثقافة المستوردة - التخلي عن التعاليم الدينية التي تراها القوى المستكبرة متشددة لأنها تضرّ بمصالحها وتكشف خطتها الخبيثة الماكرة وتوقظ الشعوب، حتى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبرونها تشدداً ومخالفة للحريات الشخصية بحسب زعمهم ونحو ذلك من الاصنام التي صنعوها وفرضوا على الناس عبادتها وتقديسها وقننوا لها القوانين وألبسوها ثياباً جذابة كالديموقراطية والحريات العامة وحقوق الانسان والدولة المدنية ونحو ذلك ليخدعوا بها الناس ويفرغوا محتوهم العقائدي حتى يحوّلهم إلى عبيد خانعين لهم منقادين لسياساتهم، مستفيدين من تطرف بعض الحركات والمجاميع المدعيّة للإسلام والتي وصفت بالإرهاب فحملوا هذه المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية اوزار الصراعات السياسية. وقد انخدع بهذا جملة من الإسلاميين ورجال الدين فاقنعوا بأن الدولة المدنية لا بد أن تكون بعيدة عن الدين، وعلى القيادة الدينية أن لا تتدخل في السياسة ولا تمارس وظيفتها في

(١) كلمة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) التي القاها على الفضلاء والأساتذة

الذين يحضرون بحته الشريف يوم الاثنين ٢٠ شعبان ١٤٣٩ المصادف ٧ / ٥ / ٢٠١٨

ارشاد الأمة وتوجيهها نحو الصلاح.

والوسطية مفهوم قرآني وليس من ابتداعاتهم حتى نأخذ مفهومه وحدوده منهم، قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: ١٤٣) وقال تعالى في نفس المعنى (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (الحج: ٧٨) فاستحقاقها لمقام الشهادة على الناس تفرع على اجتباؤها لتكون الأمة الوسط أي خير الأمم وأفضلها حيث قال اهل اللغة - كصاحب العين - (الوسط من كل شيء افضله واعدله) وفي مجمع البيان (الوسط: العدل، وقيل الخير) ومنه يظهر الوجه في جعلهم شهداء على الناس لأنهم الأفضل من بين الأمم كما ان الأنبياء اصبحوا شهداء لأنهم الأفضل، فتفرع الشهادة عن الأفضلية كما تفرعت عن الاجتباء في آية سورة الحج المتقدمة.

والوسطية يمكن ان يكون لها أكثر من منشأ:

١- الوسطية بمعنى الأفضلية والخيرية ويتفرع عليها الوسطية في المرتبة بين النبي (ﷺ) وعامة الناس فالأمة الوسط لها مقام الشهادة على الناس كافة ويكون الرسول (ﷺ) عليهم شهيدا.

٢- الوسطية بمعنى التوسط في الاعتقاد والسلوك بين الافراط والتفريط فليسوا هم غارقين في الماديات وملذات الجسد كاليهود والمشركين ولا في الرهبانية التي تقفز على الواقع ولا تعترف بحاجات الجسد كالنصارى، والجماعة

التي تلتزم بالمعنى الثاني هي التي تستحق المرتبة المذكورة في المعنى الأولي فلا منافاة بين المعنيين<sup>(١)</sup> وعلى هذا فالأمة الوسط لا تشمل كل من ادعى الإسلام ظاهراً وإنما فئة خاصة من الأمة، وإنما أضيف الوصف إلى كل الأمة لأنها ضمت هذه الفئة وأنها فيهم كتفضيل بني إسرائيل على العالمين بمعنى أن هذه الفضيلة فيهم ولا يلزم منه اتصاف كل واحد منهم بها.

روى العياشي في تفسيره عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (قال الله تعالى) (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: ١٤٣) فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية، كلالم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران: ١١٠) وهم الأمة الوسطى وخير أمة أخرجت للناس<sup>(٢)</sup>.

ويقف على رأس هذه الأمة الشاهدة أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ففي عدة مصادر ومنها الكافي بسنده عن بريد العجلي قال (سألت أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قول الله

(١) ذكر هذا الاشكال السيد الطباطبائي (قَلْبِي) قال (إن كون الأمة وسطاً إنما يصح كونها مرجعاً يرجع إليه الطرفان، وميزاناً يوزن به الجانبان لا كونها شاهدة تشهد على الطرفين فلا تناسب بين الوسطية بذلك المعنى والشهادة وهو ظاهر، إذ لا يترتب شهادة الرسول على الأمة على جعل الأمة وسطاً، كما يترتب الغاية على المغيب والغرض على ذبه) (الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٣١٥)

(٢) تفسير العياشي ١: ١١٤/٦٣



عز وجل (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣) فقال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر (الينا يرجع الغالي وبنا يرجع المقصّر)<sup>(٢)</sup>.

لأن الشهادة على شيء تتطلب حضوراً عنده ومعاينة له فالشهادة على اعمال الناس لا تحصل الا للمعصومين (عليه السلام).

ويمكن أن يتسع مفهوم الأمة الوسط لتشمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والعاملين الرسالين الذين يجسدون تعاليم الإسلام في حياتهم اذا فهمنا الشهادة على الناس بمعنى الحجة وممارسة الرقابة والشهادة على إمكانية ان يكون الانسان مستقيماً ومتوازناً في حياته، وهم يؤدّون هذا الدور، فيقال يوم القيامة لمن عصى وقصر في فعل الطاعة واجتناب المعصية معتذراً بصعوبة ذلك على الانسان المملوء بالشهوات والغرائز، فيقال له ألم يكن فلان صالحاً وهو انسان مثلك فيكونون شهداء على الناس بهذا المعنى.

فالوسطية تعني فيما تعني التسليم لله تعالى والانقياد له والاستقامة على الدين والاعتدال في المسيرة والعدل في الحكم والإحسان الى الناس ونبذ كل انحراف وزيف وضلال (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠).

وبهذا نفهم ورود الآية في سياق الحديث عن تحويل قبلة المسلمين في

(١) الكافي ١: ٢/١٤٦

(٢) تفسير نور الثقلين: ١ / ١٣٤

المدينة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة، ففي الآية التي سبقتها (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: ١٤٢) فكأن الأمر بالصلاة إلى بيت المقدس أولاً كان يستهدف سحق انانية العرب وعصبيتهم الجاهلية وتحقيق معنى الطاعة والعبادة الخالصة لله تعالى وتحقيق معنى الأمة الوسط، فيما يصف الأمم السابقة (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ) (البقرة: ١٤٥).

ان الأمة الوسط هي الأمة المتوازنة، فهم أهل الرأي الوسط الذي يجمع حسنات الآراء الأخرى ويتجنب سلبياتها، وهم أمة وسط لأنهم عادلون منصفون يعطون لكل ذي حق حقه، سواء على مستوى التعامل مع أنفسهم أو الآخرين أو في حقوق الله تعالى أو حقوق الناس، في الدر المنثور بسنده عن جمع من الصحابة عن النبي (ﷺ) أن (وسطاً) تعني (عدلاً).

وهم أهل الاعتدال والتوازن في قوانينهم فلا يحيفون على الفرد لحساب المجتمع - كالنظام الاشتراكي - ولا العكس كالرأسمالي وهم متوازنون في علاقتهم فلا يذوبون في الآخرين ولا ينغلقون على أنفسهم وهكذا.

وشاء الله تعالى أن يجعلها وسطاً في حسابات التاريخ والجغرافية أيضاً، فعلى الأول هي وسط بين عصور الجاهلية والتخلف وعصور الرشد والنضج على كل الأصعدة العلمية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية. وعلى الثاني تحل هذه الأمة وسط الأرض ومنها تمرّ خيرات الأرض وعطاء أهلها المادي والمعنوي من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس.

ومن هنا يتبين ان لا وسطية الا في الإسلام الأصيل وليس في الثقافات المستوردة من المستكبرين فلا وسطية وهم يتبعون شهواتهم واهواءهم وما تمليه عليهم شياطينهم قال تعالى (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) (النساء: ٢٧) والميل خلاف الوسطية فهم أبعد ما يكونون عنها، ولكنهم يريدون أن يبتزونا بهذا التحريف للمصطلحات لتتخلى عن هذه الجوهرية العظيمة أعني الإسلام، بل الآية تؤكد ان المسلمين هم الأمة الوسط أي النموذج الأمثل والأفضل التي يجب ان ترجع إليها الأمم الأخرى وتتبعها وليس العكس فليثقوا بأنفسهم وبما عندهم، على ان لا يتكئوا على امجاد الماضي والتفاخر بما أثر الصالحين من دون عمل صالح يستحقون به هذا المقام.

### استدلال قرآني على وجود الامام المهدي (عج) وحياته (١)

من الآيات القرآنية التي يُستدل بها على وجود الامام المهدي الموعود (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واستمرار حياته قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: ١٤٣) وتوضيح الاستدلال يكون من خلال عدة نقاط:

١- ان الآية الكريمة جعلت للأمة الوسط مقام الشهادة على الناس أي يشهدون على أعمالهم عند الله تعالى.

٢- وان الناس جميعاً من الأولين والآخرين مشمولون بهذه الشهادة ولا

(١) خاطرة تحدث بها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) امام طلبة البحث

الخارج بمناسبة ذكرى ميلاد الامام المهدي (عج) في شعبان ١٤٣٩ المصادف ٢٠١٨ / ٥

يستثنى أحد من الشهادة على اعماله لعدم الفرق بين واحد وآخر وشمول الجميع بقانون الثواب والعقاب، فلا بد أن يكون واحد من الأمة الوسط موجوداً في كل زمان وفي كل جيل ليؤدي الشهادة على الناس، ولا يخلو زمان من شاهد على الاعمال لأنه يعني وجود أمة من الناس لا يُشهد على أعمالهم.

٣- والشهادة تتطلب حضوراً ومعاينة ليشهد عن حس ووجدان وليس عن سماع أو إخبار من الآخرين أو تخمين أو ظن وهو معنى الشهادة، ولا يتيسر القدرة على معاينة كل اعمال الناس والاطلاع عليها الا للمعصومين (سلام الله عليهم) وهو مفاد قوله تعالى (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥) فالأمة الوسط التي تشهد على اعمال الناس يوم القيامة هم الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم).

وقد دلت الروايات على ذلك كالحديث الذي رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن بريد العجلي قال (سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣) فقال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه <sup>(١)</sup>.

فنتيجة هذه المقدمات وجود المعصوم (عليه السلام) في كل زمان ليشهد على أعمال الناس وليس هو في زماننا الا الامام المهدي (عج) لعدم وجود غيره.

## القبس القرآني

١٤٥

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُمْ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: ١١)  
 التغيير يبدأ من داخل الإنسان والمجتمع<sup>(١)</sup>

يُؤَصِّلُ هذا المقطع من الآية الكريمة لقاعدة أساسية في التغيير على صعيد الفرد والمجتمع، بأنه يبدأ من داخل النفس ومن داخل المجتمع ولا يكفي فيه وجود العوامل الخارجية، والتغيير مطلق سواء كان إيجابياً نحو الأفضل أو تغييراً سلبياً نحو الأسوأ، فلا يصلح حال الأمة ويتحسن إلا إذا حافظت على سلامة مسيرتها ونواياها وعالجت نقائصها ونقاط ضعفها وتردّيتها ولا تنتظر التغيير من الخارج فإنه حتى لو حصل فإنه لا يحقق النتائج المرجوة إذا لم يقترن بالتغيير الداخلي<sup>(٢)</sup>.

وهكذا على صعيد الفرد فإنه ما لم يمتلك الإرادة والعزيمة والمقدمات الصالحة فإن ألف واعظ ومرشد ومصلح لا ينفعه في شيء.

هذا في اتجاه التكامل والرقي، وكذا في اتجاه الانحطاط والتسافل فإنه لا يحلّ به الشقاء وتزول عنه النعم التي كان يرفل بها من الصحة والأمان والغنى

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة مدرسة الأبرار للعلوم الدينية في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٢٢ شعبان ١٤٣٩ الموافق ٩ / ٥ / ٢٠١٨ وعرضت على شاشة كبيرة في مؤتمر المبلغين الذي أقامه مكتب سماحته في قم المقدسة في اليوم التالي.

(٢) ومثال ذلك ما حصل في العراق عندما أطاحت جيوش الاحتلال الأمريكي بنظام صدام المقبور عام ٢٠٠٣ والتداعيات الخطيرة التي حصلت بعده.

والسعادة وغير ذلك الا بعد ان يضعف هو من الداخل وتتغير أهدافه ونواياه وافكاره، قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا) (الأعراف:٩٦).

وهناك آية أخرى أشارت إلى جانب التغيير نحو الشقاء والتعاسة وزوال النعم فقط، قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال:٥٣) هذا مع ملاحظة ان الله تعالى (يَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (المائدة:١٥) ولا يؤاخذ الناس بكل ما كسبوا كما هو واضح من ختام الآية المباركة.

في الحديث القدسي الذي يروى عن رسول الله (ﷺ) قال (يقول الله وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهته من معصيتي ثم تحولوا إلى ما أحببت من طاعتي الا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل بيت ولا قرية ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا منها إلى ما كرهت من معصيتي الا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي) (١).

ان الآية تقرّر أيضا مبدئاً إنسانياً مهماً وهو احترام إرادة الانسان وحرية في تقرير مصيره وجعله محور التغيير مهما كانت العوامل الخارجية مؤثرة فاذا اساء الاختيار - كما لو لم يمنح صوته لمن يستحق في الانتخابات - فلا يلوم الا نفسه

لان النتيجة المؤلمة التي وصل اليها كانت مقدماتها بيده وله القدرة على تغيير النتائج والتأثير فيها، ولم يقع شيء اعتباطاً أو مصادفة ونحو ذلك فلا يحاول الفرد أو الأمة ان تبرّر تعاستها وشقاءها بعوامل خارجية وسوء الحظ وتغفل عن دورها فيه.

وحينما ندعوا الله تبارك وتعالى (اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك) <sup>(١)</sup> فلا بد ان نلتفت إلى هذه الحقيقة فان اللطاف الإلهية الخاصة لها أسباب أمر الناس بالسعي لتحصيلها (إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا له) <sup>(٢)</sup>.  
وقد ورد في بعض الاحاديث الشريفة ان ثلاثة لا يستجاب دعائهم لان الله سبحانه وتعالى جعل المخرج بأيديهم فلم يستفيدوا منه، فقد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في الثلاثة الذين يرد دعائهم عليهم قال (رجل رزقه الله عز وجل مالا فأنفقه في وجوهه ثم قال: يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل اولم ارزقك، ورجل دعى على امرأته وهو ظالم لها فيقال له: ألم اجعل امرها بيدك، ورجل جلس في بيته وترك الطلب ثم يقول: يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب للرزق) <sup>(٣)</sup> وقلت في حديث سابق <sup>(٤)</sup> ان الحديث يمكن ان يشمل حالات اخرى كثيرة كمطالبة الشعب بتخليصهم من السياسة

(١) من الادعية اليومية في شهر رمضان المبارك

(٢) كنز العمال: ٢١٣٢٤ ، ٢١٣٢٥.

٤- الخصال للصدوق: ١٢٣، باب الثلاثة، ح ٢٠٨.

(٤) خطاب المرحلة: ج ٥ ص ٣٩١ ، رقم الخطاب ١٩٨ ، بعنوان الشعب غير معذور إذا لم يختار

الجائرة لبعض الحكام وهم من مكنوهم من رقابهم في الانتخابات وكانت عندهم فرصة تغييرهم لو احسنوا الاختيار.

وان اقوى عاملين مؤثرين في إحداث عملية التغيير في الفرد والمجتمع هما القيادات الدينية والسياسية كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله، ومن هما؟ قال (صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): الفقهاء والأمرأء) (١).

وقد شرحنا في مناسبة سابقة كيفية هذا التأثير وتقدم تأثير القيادة الدينية على السياسية (٢)، والواقع والتجربة يثبتان ذلك، وعلينا نحن الحوزة العلمية بكافة تشكيلاتها - علماء وفضلاء وخطباء وأئمة جماعة وجمعات - ان نشكر الله تعالى على التوفيق للكون بهذا الموقع الذي بيده فرص واسعة للدعوة إلى الله تعالى وإصلاح الناس، علينا ان نعي مسؤولياتنا وخطورة دورنا ونسعى للقيام به على أحسنه بإذن الله تعالى.

(١) الخصال: ٣٢، باب الاثني: ح ١٢

(٢) راجع مقدمة كتاب (المعالم المستقبلية للحوزة العلمية)



(وَأَمَّا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)  
(فصلت: ٣٦)

### الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الجن والانس<sup>(١)</sup>

ومثلها قوله تعالى (وَأَمَّا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: ٢٠٠) الا انهما تختلفان في ان الآية عنوان البحث ظاهرة في الحصر بأن الله تعالى وحده هو الذي يسمع استعاذتك واستجارتك وهو العليم الذي يعلم بحاجتك واضطرارك بينما اكتفت آية الأعراف بالوصف دون الحصر، ولذا يستحب<sup>(٢)</sup> ذكر هذين الاسمين من الأسماء الحسنى في الاستعاذة فتقول مثلاً (اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان اللعين الرجيم).

والنزغ يعني الضغط بطرف قضيب او الاصبع بعنف مؤلم واستعمل هنا بمعنى الوسوسة الباعثة على الشر لذا عرفه الراغب وغيره بأنه الدخول في الامر لإفساده قال تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء: ٥٣) وقال تعالى (مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) (يوسف: ١٠٠).

(١) كلمة القيت يوم الاحد ٤ رمضان ١٤٣٩ الموافق ٢٠ / ٥ / ٢٠١٨

(٢) في تفسير العياشي: ٢ / ٢٧٠ ح ٦٧ عن سماعه عن ابي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قول الله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) قلت: كيف أقول: قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (تقول: استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)

فالآية الكريمة ترشد الانسان إلى انه اذا تعرض لتسويل من النفس الامارة بالسوء وتزيين من الشيطان او اغراء من الآخرين او هيجان للشهوة او غريزة الغضب فليستعذ بالله تعالى خاصة دون غيره ويطلب منه بصدق ان يحميه من الزيف والانحراف والاستجابة لدعوة الشيطان، ولا يتهاون بالأمر ويترك الاستعاذة والاحتراز، وأن لا يتكل على قدراته الذاتية في الاعتصام من الذنوب والاطعاء كما يتصور بعض المعتدين بأنفسهم ويجازف احياناً ويصل الى حدود الذنب - كمجالسة الفساق أو الخلوة بالأجنبية - ولا يمتنع من ان يحوم حول حدود المعصية معتمداً على ثقته بانه قادر على أن يملك زمام نفسه والامتناع من الوقوع فيها، ولا يعلم أنه بمفرده عاجز عن مواجهة الشيطان الخبيث الماكر الطامع، فيجب عليه بمقتضى الآية الكريمة اتخاذ اجرائين عندما تسوّل له نفسه امرأً ويزيّنه الشيطان ويتحرك فيه داعي المعصية والباعث نحو الشر: أولهما الاستعاذة (فَاسْتَعِذْ) وثانيهما أن تكون (باللّٰه).

يضرب بعض أهل المعرفة مثلاً ليقربّ الفكرة فيقول لأحد تلاميذه لو أنك كنت في طريق زراعي وكان هناك قطيع من الغنم يرعاه صاحبه ومعه كلب الحراسة فنبح عليك الكلب وأراد مهاجمتك فماذا ستفعل؟ قال: ألتقط حجراً وأرميه به لزجره، قال المعلم فلو لم يرتدع الكلب وعاد الى النباح والمهاجمة قال الطالب أرميه بآخر قال المعلم فأن لم ينفع ذلك ثانيةً وثالثةً ، فسكت الطالب ، وهنا قال المعلم : أما كان الاجدر بك أن تطلب من الراعي ليعيد الكلب عن طريقك فإنه قادر على توجيهه ويأتمر بأمره .

وتقريب الفكرة إننا لا نملك القدرة لوحدنا على مواجهة مكائد الشيطان وخذعه وتسويلاته ووسوسته إلا أن نستعذ بالله تعالى القادر عليه والماسك بزمام أمره.

روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (إذا وسوس الشيطان الي أحدكم فليستعذ بالله وليقل: آمنت بالله مخلصاً له الدين) (١).

وروى الحاكم بسنده عن سليمان بن صرد قال (استبّ رجلان عند النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأشدت غضب احدهما فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل: امجنون (٢) تراني؟ فتلا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) (٣).

ولابد ان نلتفت الى ان الاستعاذة المنتجة والمؤثرة ليست مجرد لقلقة لسان بل هي حالة معنوية لا بد فيها من حضور الذكر في القلب والتقوى في النفس والإخلاص في العمل، اما من كان باطنه ملوثاً فلا ينفعه تحريك اللسان بالاستعاذة، لاحظ قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١) أي ان ذهاب مس الشيطان متوقف على التذكر، فهذه الآية مشابهة لما نحن فيه وعبرت عن النزغ بالمس ومن المقابلة يعرف ان

(١) كتاب الخصال : باب الاربعمائة

(٢) ربما يقصد هل انه فيه مس من الشيطان حتى تعوزه فيه حيث كانوا يعتبرون المجنون مساً من الشيطان او انه يستنكر اعتراض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على غضبه ولا يرى سلوكه المتعصب خارجاً عن تصرف العقلاء.

(٣) روح المعاني: ٢٤ / ١٢٥

الاستعاذة تلزم التذكر بأن تذكروا نعمة الله عليهم واستحقاق الشكر عليها وتذكروا العاقبة الوخيمة لاتباع الشيطان في الدنيا والآخرة وتذكروا تفاهة ما يمنيهم الشيطان به وان بدا مغرياً لذيذا فهذا الذكر والحضور الوجداني لله تعالى وهذه القوة المعنوية الحاصلة له يعصمه الله تعالى من الشيطان والتي تنتجها الاستعاذة لكن ليس مجرد الكلمات الخالية من المعاني.

الا ترى ان من هاجمه حيوان مفترس فانه لا يتخلص منه بان يقف مكانه ويقول بلسانه اعوذ بهذا المكان الحصين من هذا الحيوان بل عليه ان يدخله ويغلق بابه بإحكام لينجوا، وقد وعد تعالى من يستعيذ به بالنجاة من مكائد الشيطان، قال تعالى (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِه مُشْرِكُونَ) (النحل: ٩٩-١٠٠) وقال تعالى (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص: ٨٢-٨٣) وقال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) (الإسراء: ٦٥).

ويظهر من هذه الآيات الكريمة أن أهم شروط الاستعاذة المؤثرة بالإخلاص: وفي الحديث القدسي (لا إله الا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي) <sup>(١)</sup> فالإخلاص في التوحيد ونفي سائر المعبودات غير الله تعالى فلا طاعة للهوى ولا للشهوة ولا لذوي النفوذ والجاه وأصحاب الأموال وانما لله تعالى وحده فهذا هو الحصن الذي يحمي من العذاب ومكائد الشيطان والإخلاص له مراتب فيتخلص من شر الشياطين بنفس مقدار إخلاصه

(١) التوحيد للصدوق: ٢٥، بحار الأنوار: ١٣/٣، ١٩٢/٩٠

ومن شروطها: الايمان والتقوى والتوكل على الله تعالى وحده دون غيره من الأسباب واستشعار معنى العبودية لله تعالى وأداء استحقاقاتها كما نطقت به الآيات المتقدمة وغيرها.

هذا من جانب الأمور القلبية، وهناك إجراءات محصنة على صعيد العملي ففي الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال ابليس: خمسة ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة، واتكل عليه في جميع اموره، ومن كثر تسيحة في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه) (١). وروى الامام الصادق (عليه السلام) عن آباءه (عليهم السلام) قال (قال رسول الله ﷺ): ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه) (٢).

فهذه الشروط والملكات الباطنية التي تبرزها مثل هذه الاعمال الصالحة تجعل الحالة المعنوية قوية وعصية على اختراق الشيطان. لان الوسوس الشيطانية كالجراثيم الضارة لا تخترق الا الابدان الضعيفة ذات المناعة القليلة ولا تقدر على اختراق الابدان القوية ذات المناعة العالية.

(١) الخصال: ٢٨٥ ح ٣٧

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١٧ ح ١٠٢

## أبيها الأجابة:

اننا مطالبون بالاستعاذة من الشيطان على الدوام لأنه توعدّ البشر بالعودة على الصراط (فَبِمَا أَعُوذْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف:١٦) لحرّفهم عن الاستقامة أو ردّهم ومنعهم من السير نحو الكمال كقطع الطرق ولا يدع الانسان حتى يجعله من اتباعه بلا فرق بين شياطين الجن والانس فان دأبهم صد البشر عن التقرب من الله تعالى (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء: ٦٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) (المائدة: ٩١).

وتتأكد الحاجة إلى الاستعاذة اليوم اكثر، لأنّ زماننا اعقد من أي زمان مضى في كثرة ابتلاءاته وتحدياته وصعوباته وتنوع ادواتها واساليبها وقوة تأثيرها الفائقة، وقد توعدّ شياطين الأنس بإيصال آلات الافساد والضلال الى داخل غرف النوم ولا يوجد احد بمنأى منها الا من تحصّن بدرع الله تعالى الحصينة، لذا تركّز الادعية المباركة على طلب العصمة من الذنوب والقدرة على النجاح في تجاوز المحن والصعوبات من الله تعالى وعدم الاتكال على النفس والقدرات الذاتية، كدعاء الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في صحيفته المباركة (اللهم احصُرني - أي امنعني - عَنِ الذُّنُوبِ، وَوَرِّعْنِي عَنِ الْمَحَارِمِ، وَلَا تُجَرِّئْنِي عَلَى الْمَعَاصِي) وفي دعاء اخر قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وَ أَوْهِنِ قُوَّتَنَا عَمَّا يُسَخِّطُكَ عَلَيْنَا وَ لَّا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نَفْسِنَا وَ اخْتِيَارِهَا، فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَفَّقْتَ، أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ) <sup>(١)</sup> تصوّروا

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء التاسع

ان الامام (عليه السلام) الذي يقول في دعاء آخر (لا تؤدبني بعقوبتك) أي اجعل تأديبك اياي من دون بلاء وسلب للنعم كأن يكون بالموعظة والتعليم والتبصر والاستفادة من تجارب الآخرين، لكن لما لم تفلح هذه الأساليب في الردع عن المعصية يطلب الاجتناب عنها ولو بسلب بعض القوى والأدوات التي يعصي بها الانسان ربّه المنعم.

لقد تفتقت الذهنيات الشيطانية عن خطط ماكرة وخبيثة لاستدراج الشخص وإيقاعه في فخ المعاصي والخطايا والذنوب كالاتصال بأجهزة النقال مع نساء لا على التعيين وخداعهن بكلمات الحب والمشاعر العاطفية الجياشة التي تنطلي على المرأة الساذجة حتى تثق بهم وتلتقي بهم او تعطيمهم صوراً شخصية فيهددونها بالفضيحة او ابتزازها في اعمال منكورة او اغراء الشباب بمستقبل زاهر و حياة هنيئة ليكون جزءاً من فسادهم واداة لتحقيق مآربهم.

ان الله تعالى يقدر ضعف الانسان وعجزه عن مواجهة شياطين الجن والانس فجعل له ملائكة يحفظونه ويدافعون عنه<sup>(١)</sup>، وفي بعض الروايات<sup>(٢)</sup> انه لو كشف لكم الغطاء لرأيتم العدد الكبير من الشياطين الذين يحيطون بكم ويتربصون بكم، لكن الله تعالى جعل الملائكة الحافظة لدفعهم.

وجعل بلطفه وكرمه شهر رمضان المبارك الذي تُغَلّ فيه الشياطين ففي

(١) راجع تفسير قوله تعالى (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد : ١١]  
(٢) في الحديث عن الامام الباقر (عليه السلام) (اذا مات المؤمن خُلي على جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر كانوا مشغولين به) (الكافي: ٢ / ٢٥١ ح ١٠) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (إن الشياطين اكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم) (بحار الأنوار: ٨١ / ٢١١ ح ٢٧).

خطبة النبي (ﷺ) في استقبال شهر رمضان (و - إن - الشياطين مغلولة - في هذا الشهر - فسلوا ربكم أن لا يسلطها عليكم) واذا استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فقد فتح لهم باب التوبة ليعودوا إلى الحالة النقية الطاهرة خصوصاً في هذا الشهر الكريم حيث تغفر فيه الذنوب بدرجة لا يحرم منها الا الاشقياء ( فان الشقي من حُرْمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم) <sup>(١)</sup> وفي رواية صحيحة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (من لم يغفر له في شهر رمضان لم يُغفر له إلى قابل الا أن يشهد عرفة) <sup>(٢)</sup> .

(١) مفاتيح الجنان: خطبة النبي (ص) في اخر جمعة من شعبان

(٢) وسائل الشيعة: ١٠ / ٣٠٥ أبواب احكام شهر رمضان، باب ١٨ ح ٦.



## القيس القرآني

١٤٧

**(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل: ٩٨)**

شرحنا سابقاً وجه الحاجة المستمرة إلى الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم في تفسير قوله تعالى (وَإِذَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: ٢٠٠) وشرحنا معنى الاستعاذة وانها ليست مجرد تحريك لسان وإنما هي حالة معنوية يعيشها الانسان.

وكان الأمر بالاستعاذة عاماً لكن الملفت ان الله تعالى خصّ مورداً واحداً بالذكر طلب فيه الاستعاذة وهو عند قراءة القرآن ولا سيما في الصلاة التي هي معراج المؤمن، قال تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) واختيار وصف الرجيم له لزيادة التنفير منه وللتذكير بتمرده وعصيانه على الخالق العظيم مما اوجب رجمه وطرده.

وقوله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ) يشير الى حالة الابتداء بالقراءة وان كان بصيغة الماضي كما لو قلت اذا اردت الذهاب الى كذا فخذ معك كذا، ويمكن ان يراد به بعد الانتهاء من القراءة كما هو ظاهر صيغة الماضي، وكون الامر بالاستعاذة جواب الشرط فتحقيق معنى الاستعاذة مطلوب قبل وبعد اثناء تلاوة القرآن وكان العبارة (لما تقرأ القرآن استعذ بالله من الشيطان الرجيم) اما قبلها فلازلة المعوقات عن التدبر في الآيات والاستفادة منها وخلق البيئة النقية لتلقي المعارف القرآنية وتوجيه كل المشاعر الى الله تعالى ، واما اثناءها فلمنع الشيطان من التشويش

وخلط الأفكار والايحاء بمعاني مخالفة لمراد المنزل العظيم كالذين قال تعالى فيهم (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة : ١٢٥).

واما بعد القراءة فللمحافظة على ما حصل عليه من بركات القران الكريم علما وعملا.

في مصباح الشريعة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (قراء القرآن يحتاج الى ثلاثة أشياء، قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال، فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان).

فشرط الاستفادة من القرآن الكريم وفهم معانيه تنقية نفس الانسان بالتقوى وتطهير القلب، في الحديث الشريف (لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماوات) (١).

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ<sup>(١)</sup>

(محمد: ١١)

المولى بمعنى الولي الذي له ولاية ما خاصة كولاية السيد على العبد او عامة كولاية الله تعالى على خلقه في التصرف والتدبير وله سبحانه ولاية التشريع وهداية العباد إلى ما يصلح شؤونهم، والظاهر انها هنا تشير الى ولاية النصر والتأييد.

والآية تبين واحدة من ثمرات الايمان بالله تعالى وأحد الفروق بين المؤمنين وغيرهم وهو ان للمؤمنين مولى ورباً. يرعاهم ويدبر شؤونهم ويهديهم وينصرهم ويسددهم ويرشدهم ويشفق عليهم ويرحمهم بالرحمة والرعاية الخاصة (أما الولاية العامة فشاملة لجميع المخلوقات) قال تعالى (وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (يونس: ٣٠).

أما غير المؤمنين بالله تعالى سواء كانوا من المنكرين للخالق والملحددين والمشركين الذين يعبدون آلهة أخرى من دون الله تعالى - وهو عنوان يشمل في بعض مراتبه الذين هم مسلمون بحسب العنوان الا أنهم عملياً لا يعبدون الله تعالى وإنما يطيعون شهواتهم ونزواتهم وغرائزهم وما تدعوه إليه انانيتهم ويقدمسون رموزاً ويطيعونها من دون عرض أفعالهم على ما يريد الله تعالى ويرضاه - فهؤلاء

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر السعيد لعام ١٤٣٩ الموافق ١٥ / ٦ / ٢٠١٨

قد يكون لهم مولى وناصر ومعين من سلطنة أو عشيرة أو مال أو جاه أو حزب أو قوى خارجية يسمونها بالعظمى أو غيرها كقول المشركين للمسلمين يوم أحد ( لنا العزى ولا عزى لكم) فاجابهم المسلمون ( الله مولانا ولا مولى لكم ) الا أن الآية الكريمة تعتبر هؤلاء الموالى أوهاماً لا قيمة لها وتنفي وجودهم على نحو الحقيقة (وان الكافرين لا مولى لهم) فكأنهم لاشيء وهم كذلك، قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) (العنكبوت: ٤١) واذا أثبتت آيات أخرى ولاية لهؤلاء فأنما هي ولاية الاغواء والاضلال والافساد (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ٢٧) (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠٢) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٢٥٧).

فمن لم يكن مولاه ومعبوده ومطاعه الله تعالى فان الهه هواه والشيطان شاء ام ابى (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (الفرقان : ٤٣) وان اعطى عناوين محببه لها كأن يسمون اتباع الاهواء الشخصية غير المنضبطة بالحرية وهي في الحقيقة عبودية للهوى. ويذكر القرآن الكريم الفرق بين المنهجين في الطاعة والاتباع كقوله تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة : ٢٦٨]

ولتقريب هذا الفرق بين الولايتين تصوّر وجود أطفال لهم أب يرّبهم ويرشدهم ويصرف عليهم ويرعاهم ويدافع عنهم ويوقّر لهم أسباب الحياة

الكريمة وأطفالاً آخرين أيتاماً ليس لهم من يعيلهم فهم في ضياع واحتياج وحرمان قد سقطوا في حبال عصابة شريرة مفسدة فاستخدمتهم لأغراضها الشيطانية، مع ان حاجتنا إلى رعاية الله تعالى لا تقارن بحاجة الأطفال إلى أبيهم أو أمهم.

وتبين الآية التالية محل البحث النتيجة التي سيؤول إليها أمر الفريقين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) (محمد: ١٢).

ومظاهر هذه الولاية الإلهية في حياة الانسان لا تعد ولا تحصى، نجد في دعاء الافتتاح بياناً لجوانب منها (فَكَمْ يَا إِلَهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا، وَهَمُومٍ قَدْ كَشَفْتَهَا، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقْلْتَهَا، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا، وَحَلْقَةٍ بَلَاقٍ قَدْ فَكَّكْتَهَا) <sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر هذه الولاية الإلهية للناس انه تعالى أنزل لهم شريعة سمحاء تتكفل بسعادتهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة، وهذه الولاية يتمتعون فيها وبها حتى وهم في أشد الظروف قسوة ولعلمهم يجدون في أنفسهم شيئاً لأن الله تعالى لم يستجب لدعائهم (فَإِنْ أَبْطَاءَ عَنِّي عَتَيْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَاءَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ) فإنه تبارك وتعالى لم ولن يتخلى عنهم ولا يخلفهم وعده (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥) ولكن التأخير لمصلحتهم أما في الدنيا أو في الآخرة، بينما يتخبط غير المؤمنين بقوانين وأنظمة تجلب لهم الشقاء والتعاسة.

(١) فقرات من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك

وهذه الولاية الإلهية مستمرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ما بعد الموت، قال تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (إبراهيم: ٢٧) وقال تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر: ٥١) وقال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس: ٦٣-٦٤).

واذكر لكم مثالا على ولاية الله الشفيقة بعباده بعد الموت (روي أن موسى عليه السلام لما دفن أخاه هارون عليه السلام ذكر مفارقتة له وظلمة القبر فأدركته الشفقة فبكى فأوحى الله تعالى إليه (ياموسى لو أذنت لأهل القبور أن يخبروك بلطفي بهم لأخبروك ياموسى لم أنسهم على ظاهر الأرض أحياء مرزوقين أفأساهم في باطن الارض مقبورين؟ ياموسى إذا مات العبد لم أنظر إلى كثرة معاصيه ولكن أنظر إلى قلة حيلته) فقال موسى عليه السلام: يارب من اجل ذلك سُميت أرحم الراحمين؟) <sup>(١)</sup>

وفي المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين عليه السلام (إِلَهِي لَمْ يَزَلْ بَرُّكَ عَلَيَّ أَيَّامَ حَيَاتِي فَلَا تَقْطَعْ بَرُّكَ عَنِّي فِي مَمَاتِي) أما البعيدون عن الله تعالى على اختلاف اشكالهم فأنهم حرموا أنفسهم من هذه الولاية الإلهية الخاصة (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل: ١١٨) ومع ذلك فان الله تعالى لم يتخلى عنهم ولم يمنعهم من رحمته الواسعة (يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه

(١) لم نجد الرواية في مصدر معتبر في حدود ما بحثناه

تحنناً منه ورحمة) وبدلاً من ان يشعروهم هذا بالخجل والحياء من رب العالمين ويدعوهم إلى العودة إليه سريعاً فإنهم يتمادون في غيهم وعصيانهم وابتعادهم عنه تبارك وتعالى (فَلَمْ أَرِ مَوْلَىٰ كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَىٰ عَبْدٍ لَيْسَ مِنْكَ عَلَيَّ يَارَبُّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأَوْلِيَّ عَنكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعَكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي وَالْإِحْسَانَ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلَ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَأَرْحَمَ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ، وَجُدَّ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ) <sup>(١)</sup> فليعتز المؤمنون بهذه النعمة الإلهية العظيمة وليقولوا كما قال الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة مفتخرا برّبه العظيم (ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك) وليجدوا ويجهتدوا في دعوة غيرهم إليها (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى: ١١) ولتكن دعوتهم برفق ولين وحجة وبرهان (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥).

(١) فقرات من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك

### ﴿يا أيُّها المدثر، قم فأندِرْ﴾<sup>(١)</sup> (المدثر: ١-٢)

الْمُدَّثِّرُ أصلها المتدثر والمخاطب هو رسول الله (ﷺ) حتى ورد في الرواية<sup>(٢)</sup> أن من اسمائه ذلك ويعني عرفاً من ألقى عليه كساءً أو غطاءً وتلفّف به لأجل النوم أو وقاية من البرد ونحو ذلك.

وهو في اللغة أوسع من ذلك إذ يعني التدثر (تضاعف شيء وتناضد بعضه على بعض) كما في معجم مقاييس اللغة أي تراكم وتكاثر شيء على شيء ولذا يطلق على المال الكثير: الدثر، فالمعنى الأوسع للمتدثر هو المحاط والمتغطي بما يمنعه من الحركة والفعالية سواء كان مادياً كما يفهم العرف أو معنوياً كالكسل والترف وحب الراحة والخوف والقلق والاضلال الدنيوية التي تعيق الحركة نحو التكامل مثل المال والمكانة الاجتماعية والأهل والولد وغير ذلك.

فآيات الكريمة تأمر النبي (ﷺ) بأن ينهض من دثاره ويقوم بالإنذار وتبليغ الرسالة الإلهية التي كُلف بها، ويشهد سياق الآيات أنها من أوائل ما نزل من القرآن الكريم حتى روى بعضهم أنها أول ما نزل منه ففسّر الدثار بأنه (اعتزاله

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد عام ١٤٣٩.

(٢) روى الكلبي عن ابي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال (قال لي: كم لمحمد اسم في القرآن؟ فقلت به اسمان أو ثلاث فقال (عليه السلام): يا كلبي له عشرة أسماء) ثم ذكر منها ما في آية المدثر (راجع بحار



(ﷺ) وغيبته عن النظر فهو خطاب له بما كان عليه في غار حراء<sup>(١)</sup>، لكن ما ورد في سبب نزولها وتعرف النبي (ﷺ) على الوحي النازل عليه من قبل، مضافاً إلى تضمن الآيات لتكذيب قريش يدل على أنها مسبوقه بآيات البعثة النبوية الشريفة، فربما كانت الآيات الأولى التي أمرت بإعلان الدعوة إلى الإسلام والجهر بها بعد ان كانت سرّية في بدايتها، أو ان المقطع الأول من السورة نزل أولاً قبل التكذيب لإعداد النبي (ﷺ) للمسؤولية القادمة شأنها في ذلك شأن مطلع سورة المزمل من دون ان تدل على ان حالة التدرج أو التزمّل موجودة فعلاً وبذلك يصح القول بأنها أول ما نزل من القرآن بعد العلق أو هي والحمد ونحو ذلك.

ويمكن أن يراد بالدثار مرحلتين زمنيّتين من مراحل الرسالة الإسلامية: الأولى: بعد نزول الوحي مباشرة حيث امتلأ النبي (ﷺ) هيبة من ثقل الرسالة التي كلف بها وحلّت به رعدة وقشعريرة فتدرّج وهنا جاءه الأمر بأن يتجاوز هذه الحالة ويستعد نفسياً وروحياً لحمل الرسالة الإلهية.

روى في الدر المنثور عن البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم بالإسناد عن يحيى بن ابي كثير قال ( سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال : يا أيها المدثر قلت : يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك قلت له مثل ما قلت، قال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال : جاورت بحراء فلما قضيت جوارى

(١) حكاها السيد الطباطبائي (قدس سره) في تفسير الميزان: ٨٧/٢

فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئته منه رعباً فرجعت فقلت : دثروني فدثروني، فنزلت يا أيها المدثر قم فأندِر إلى قوله : والرّجز فاهجر (١)

الثانية: بعد ما لاقاه النبي (ﷺ) من تكذيب قريش واستهزائهم بالرسالة وتحشيد المجتمع ضد الرسول الكريم (ﷺ) فبلغ به الغم والضغط النفسي مبلغاً كبيراً فتدثر بسبب الشعور بالاحباط لالتقاط الأنفاس كما يقال والتخفيف عن نفسه الشريفة فأمره الله تعالى أن يخرج من حالة الانكفاء على الذات وان لا يكثر بجمعهم وحشدهم وقوتهم فأن الله تعالى سيتكفل بدحرهم جميعاً ولنطلق هو (ﷺ) بمشروعه الإلهي.

روى في الدر المنثور بسنده عن ابن عباسٍ «أنّ الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً، فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحرٌ، وقال بعضهم: ليس بساحرٍ، وقال بعضهم: كاهنٌ، وقال بعضهم: ليس بكاهنٍ، وقال بعضهم: شاعرٌ، وقال بعضهم: ليس بشاعرٍ، وقال بعضهم: سحرٌ يؤثر. [وأجمع قولهم على أنه سحرٌ يؤثر] فبلغ ذلك النبيّ - ﷺ - سلّم - فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله - عزّ وجلّ - ﴿يا أيها المدثر (١) قم فأندِر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرّجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر [المدثر: ١ - ٧].

فآليات الكريمة فيها معنى كنائي وتعبير عن الانتقال من مسؤولية العمل على إصلاح الذات وتهذيب النفس - حيث كان النبي (ﷺ) يتعبد لوحده - إلى مسؤولية العمل الاجتماعي وإصلاح الأمة والفرق بينهما واسع بحيث ان الأول كالقعود مقابل القيام والآن انتهى زمن القعود والخلو عن المسؤولية الكبيرة وحن زمن العمل.

وفي ضوء هذه الرواية والتفسير فأن الآيات الكريمة تفيد ان اشعال الحروب والتعامل بقسوة وبطش وخلق العراقيل متوقعة ممن يخافون على مصالحهم من كل أصحاب الدعوات الرسالية وليس دعوة النبي (ﷺ) فقط فلا يصح مواجهتها بالتوقف عن العمل والانحسار والانغلاق على الذات لأن العمر أقصر من ان يضيع بالقعود والتدثر والنفس ميالة إلى الدعة والراحة فلا بد من ملئ الحياة بالقيام والنهوض والحركة والاقدام واقتحام الصعاب وتعبئة كل الطاقات المادية والمعنوية وإبلاغ الرسالة (وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَاتِينَ) (البقرة: ٢٣٨) (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣) ولا بد من هذا القيام لله تعالى وإن كان الشخص صالحاً في نفسه وملتزمًا بالشريعة الا ان هذا لا يكفي بل عليه ممارسة الإنذار والإصلاح للمجتمع ما دام في المجتمع باطل وانحراف وفساد حيث يجب عليه تغييره والنهي عنه وهو المعنى الذي تفيدُه سورة العصر وغيرها.

والسمة الواضحة لهذه الرسالة الإنذار والتخويف من عاقبة الخروج عن أوامر الله تعالى ونواهيه (فَإِنَّمَا يَسِرُّنَّاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) (مريم: ٩٧) (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ) (القصص: ٤٦) وعدم ارسال

النذر اليهم يشعروهم بالطمأنينة والراحة ونسيان الله تعالى (حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ) (الأعراف: ٩٥) فان العامة لا يصلحهم الا الخوف، روي (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: "الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ذَنْبٍ قَدْ مَضَىٰ لَمْ يَدْرِ مَا صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ وَعُمْرٍ قَدْ بَقِيَ لَمْ يَدْرِ مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ فَهُوَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفًا وَلَا يُصَلِّحُهُ إِلَّا الْخَوْفُ" <sup>(١)</sup> ثم تأتي البشارة بعد التخويف و الإنذار.

وفي هذا الإنذار التنبيه إلى الخطر القريب في الدنيا والآخرة رحمة للناس لأن الله تعالى غني عنهم لكن شففته على عباده أوجبت أن يواتر إليهم رسله بالإنذار ليجنبهم المخاطر.

وتذكر الآيات التي تليها الأسس التي يركز عليها العاملون الرساليون الذين يسعون إلى الإصلاح في دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى، نشير إليها باختصار:

١- (وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) (المدثر: ٣) ان تؤمن بان الله تعالى أكبر من ان يوصف ولا يعجزه شيء وكل قوة مهما كانت عظيمة فهي أمامه أوهن من بيت العنكبوت فلا موجب للخوف من أي قوة معارضة تمتلك المال والسلطة والجيش لأن الخوف سيؤدي إلى المداهنة والتخلي عن المبادئ وهذا يعني الهزيمة وعلى المؤمنين العاملين أن يكونوا كما وصفهم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) <sup>(٢)</sup> وعليهم أن يسقطوا من اعتبارهم كل ما دون الله تبارك وتعالى ولا يجعلوه من اهتمامهم.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٧١

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣

٢- (وَيَبَايَكَ فَطَهَّرْ) (المدثر: ٤) ويمكن فهمها عن ظاهرها أي تطهير الثياب وهو صحيح موافق للأحكام الشرعية أو عدم إطالة الثياب فتخط في الأرض كما في بعض الروايات، ولعل المراد بها المعنى الكنائي ويكون المراد من تطهير الثياب الاتصاف بالنزاهة وعفة اللسان واليد والجوارح كلها وطهارة القلب وسمو الاخلاق وحسن السيرة والالتزام بأحكام الشريعة، وجامع هذه الخصال التقوى وقد وصف القرآن الكريم التقوى باللباس قال تعالى ( وَكِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ) (الأعراف: ٢٦) وهذا التعبير متداول في اللغة العربية ففي خطبة الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أنا ابن نقيات الجيوب) وقال الشاعر في مدح أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا  
ويطلق اللباس على الزوجة، قال تعالى (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) (البقرة: ١٨٧) فتكون الآية آمرة باختيار الزوجة الصالحة لأهمية دورها في حياة العاملين الرساليين من عدة جهات.

٣- (وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ) (المدثر: ٥) فيجب تجنب كل أشكال المعاصي والمظالم وعدم الانجرار وراء الفتن ومكائد الشيطان واهواء النفس الأمارة بالسوء وعليهم الثبوت مما يقال وعدم مداينة الظالمين والجائرين.

٤- (وَلَا تَمُنَّ بِتَمَنِّي) (المدثر: ٦) فلا تعتد بنفسك ولا تثق بعملك ولا تمن به على الله تعالى ولا على الناس فان ما عندك هو من فضل الله تعالى ورحمته (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ

لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الحجرات:١٧) فالمن يبطل العمل ويحبطه ويعرّض صاحبه لغضب الله تعالى فيمحوا اسمه من المؤمنين، من وصية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لمالك الأشر (وَأَيُّكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطَلُ الْإِحْسَانَ) <sup>(١)</sup> فاذا تواضع لله تعالى وعرف ان ما عنده توفيق من الله تعالى وواظب على الشكر عليه أغدق الله تعالى عليه المزيد من النعم.

٥- (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر:٧) لأن العمل شائك ويسير العامل في حقول من الألغام المادية والمعنوية حتى وصفت مواجعتها بالجهد الأكبر فلا بد من ان يتمسك بالصبر على الصعاب ليواصل الطريق ويثبت على خط الاستقامة وان يكون صبره في الله والله تعالى.

إذن لتأسى بالنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في هذا الخطاب القرآني وننفض دثار الكسل والتردد وسائر الأمور المحبطة ونطلق في ميدان الدعوة الى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بعد ان نبني أنفسنا بالخصال الكريمة التي ذكرتها الآيات الشريفة.

**(ولا أقسم بالنفس اللوامة) (القيامة: ٢)****محكمة الضمير دليل على وجود محكمة القيامة<sup>(١)</sup>**

قيل ان (لا) زائدة للتأكيد وليست للنفي باعتبار ان الآية ظاهرة في إثبات القسم لا نفيه ولو بمعنى السياق، لذا وقيل هي (نافية) لكنها هنا ليست لنفي القسم وإنما كناية عن عظمة المقسم به أو وضوحه بحيث يستغنى عن القسم لإثباته وما يهمننا هنا دلالة الآية على عظمة المقسم به وجلالة قدره وأهميته وهذا السياق متكرر في القرآن الكريم كقوله تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (الواقعة: ٧٥-٧٦).

ويشير القرآن الكريم إلى ثلاث مراتب من النفس الإنسانية:

١- المطمئنة التي اكتملت فيها العبودية لله تعالى والطاعة والتسليم له تبارك وتعالى عن رضا واطمئنان، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (الفجر: ٢٧-٢٨).

٢- الامارة بالسوء التي دأبت على الاستسلام للشهوات واتباع الاهواء فهي تأمر بالسوء وتدعو إلى الفحشاء والمنكر من دون أي رادع، قال تعالى (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) (يوسف: ٥٣) وقال تعالى (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج

بمناسبة بدء الموسم الدراسي يوم الأحد ١٠ / شوال / ١٤٣٩ المصادف ٢٤ / ٦ / ٢٠١٨

وَاطْمَأْنُوْا بِهَا) (يونس:٧) وقد تتمرد هذه النفس أكثر فتصبح داعية للفساد والانحراف والضلال وساخرة من أهل الطاعة والايمان ومستهزئة بالدين، هذه النفس التي يصفها الامام السجاد (عليه السلام) من خلال الشكوى منها، ويطلب من الله تعالى العون عليها (إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلَّعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْأَلُكَ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الْأَمَلِ، إِنَّ مَسَهَا الشَّرُّ تَجَزَعُ، وَإِنْ مَسَهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مِيَالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوءَةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّقُنِي بِالتَّوْبَةِ) (١).

٣- النفس اللوامة وهي عنوان البحث وهي بين المرتبتين ويمكن ان ترتقي إلى الأولى او تتسافل إلى الثانية فهي نفس ليست بعيدة عن الصلاح ومحبة للطاعة الا انها تضعف احياناً فتقود صاحبها الى الوقوع في المعاصي والذنوب فتحصل عندها حالة اللوم وتأنيب الضمير والندم فتحاسب نفسها باستمرار.

وقد تحصل هذه الحالة من اللوم لأجل التقصير في عمل الخير وعدم الاستثمار الأقصى للنعم الممنوحة له ولفرص الطاعة المتاحة اذ كان يمكنه الاستزادة منها ولم يفعل، وهذا الشعور يصحب الانسان إلى يوم القيامة فيشعر بالندم والغبن على تفريطه ببعض الفرص، لذا كان من اسمائه (يوم التغابن).

وهذه الحالة من تأنيب الضمير والشعور بكرية (٢) في القلب إنما تحصل

(١) الصحيفة السجادية، مناجاة الشاكين

(٢) أشار السيد الشهيد الصدر الثاني (قائلاً) إلى هذا المصطلح مراراً في كتاب (فتاويل العارفين)



بقرار تصدره محكمة الوجدان وهي نعمة من الله تعالى على الانسان ودليل من باطنه ينبهه الى الوقوع في المحذور واقترابه من الخطر ويحذرّه من عاقبته ويدعو الى التصحيح والمعالجة، وهذا يعني ان ضميره لا زال حياً ويمكن الاطمئنان إلى حركته وقراراته ولذا يحيل إليه النبي (ﷺ) عند الحكم في الأمور المشتبهة حيث روي قوله (ﷺ) (استفت قلبك، استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (١).

فعلى الانسان ان يبقي هذا الضمير حياً ليكون له واعظاً من نفسه ولا يميته باتباع الشهوات والانغماس في الرذائل والإصرار على الخطأ والخطيئة والتعصب والانانية. روي عن الامام السجاد (عليه السلام) قوله (ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك) (٢)، وروي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً) (٣).

وهذا يبين احد وجوه البلاغة في الإتيان بهذا القسم مع القسم بيوم القيامة في الآية السابقة (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) فان محكمة الضمير صورة مصغرة للمحكمة الإلهية الكبرى فالحاكم واحد وهو الله تعالى، والشهود نفس الشهود وهم الجوارح والضمير، والقضايا حاضرة لا تحتاج الى تهيئة واعداد وجمع

(١) كنز العمال: ٧٣١٢

(٢) وسائل الشيعة: ٩٦/١٦

(٣) تحف العقول: ٢٩٤

المعلومات، والمجازاة نفسها في الروح بل والجسد حيث يقوم بعض المجرمين أحياناً بإيذاء جسده ندماً ولوماً مضافاً إلى كونها محكمة حق لا جور فيها ولا تحتاج إلى مراجعة واستئناف للحكم (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَأَمْعَبٍ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (الرعد: ٤١).

فهذه المحكمة في باطن الانسان دليل وجداني وفطري على وجود يوم القيامة والحساب والجزاء حيث لم يخلو الانسان من هذه المحكمة وهو ذرة صغيرة فكيف يعقل خلو الوجود الواسع من المحكمة الإلهية.

ويظهر ان هذه الملازمة معروفة حتى لغير المؤمنين لذا فإنهم لكي يتخلصوا من عذاب الضمير وتأنيبه عند انغماسه في الشهوات والظلم والعدوان يخدعون أنفسهم بنفي وجود يوم القيامة والحساب والجزاء، هذا ما أكدته بعض الآيات التالية لهذه (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا أَمَامَهُ) (القيامة: ٥) أي انه يكذب بما هو واقع امامه من البعث والحساب ليستمر على فجوره والتحرر من الالتزام بالشرعية.

ويحسّ الانسان في وجدانه بهذا الجزاء قبل يوم القيامة، إذ إن هذا الضمير ينشر السعادة والانشراح والاطمئنان في باطن الانسان عندما يقوم بعمل صالح وتزداد السعادة كلما ازداد العمل أهمية وقيمة وكأنه يعجل المكافأة لصاحبه، واذا صدر منه فعل سيء فانه سيبادر الى معاقبته بالألم وعذاب في القلب لا يلبث ان ينعكس على شكل اعراض مرضية في البدن وقد يلجأ صاحبه الى تسليم نفسه للعقوبات كالسجن في المحاكم الوضعية ليتخلص من الألم وعذاب الضمير.

ولأهمية هذا الضمير الحي ودوره في تربية الانسان وتقويم سلوكه

وتخليص صاحبه من اثار اعماله فقد استحق القسم به.

إذن علينا أن نمثل امام محكمة الوجدان والضمير يومياً وباستمرار، ونبادر إلى إثبات برائتنا ونقاوتنا أمام هذه المحكمة قبل يوم القيامة لنذهب إلى لقاء ربنا ونحن مبرئون من الذنوب بفضل الله ورحمته، ولنشعر بالسعادة والاطمئنان ولذا ورد التأكيد على محاسبة النفس باستمرار كقول رسول الله (ﷺ) (حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنوها قبل ان توزنوا) <sup>(١)</sup> وقال الامام الكاظم (عليه السلام) (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله تعالى وان عمل سيئة استغفر الله تعالى) <sup>(٢)</sup>.

وتصوروا لو أن الأمة عملت بهذا المنهج وهذه الثقافة فكيف ستكون سعيدة ناجحة لكن مشكلتنا الرئيسية في غياب هذه المبادئ الأخلاقية.

(١) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٩٥

(٢) كتاب الزهد: ٧٦ ﷺ ٢٠٣

## يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً (الأحزاب: ٤١) أهم قضاياها: أن نستحضر الله تعالى في وجداننا<sup>(١)</sup>

من أهم الأهداف التي نسعى إليها والقضايا التي يجب أن نهتم بها ونكرس لها أوقاتنا هي كيف نجعل الله تعالى حاضراً في وجداننا وتنبض به قلوبنا ونصدق فعلاً أنه شاهد علينا ولا نغيب عن نظره سبحانه وهي الحالة التي أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) أبا ذر (رضوان الله تعالى عليه) بالوصول إليها (يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

أما أن نؤمن به تعالى نظرياً وفي عقولنا واذهاننا فهذا وحده لا يكفي، لذلك تجد نبي الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) يطلب هذا الاطمئنان القلبي من الله تعالى رغم إيمانه العقلي التام (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) (البقرة: ٢٦٠).

والشاهد على عدم كفاية الايمان العقلي وحده انك تجد الكثيرين ممن يحملون هذا المستوى من الاعتقاد لكنه لا ينعكس على سلوكهم وتعاملاتهم

(١) الخطبة الموحدة لصلاة الجمعة في عموم المحافظات يوم ٢٩ / شوال / ١٤٣٩ المصادف ١٣ / ٧ / ٢٠١٨ كتبها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة الذكرى العشرين لاستشهاد المرجع الديني السيد محمد صادق الصدر (قده) وتحدث سماحته بمضمونها في لقاءه جمعاً من أساتذة الحوزة العلمية في بيروت يوم الخميس ٢٨ / شوال ومع جمع من المبلغات اللبنانيات يوم الجمعة ٢٢ شوال.

واخلاقهم فهم يتبعون أهوائهم وعصبياتهم وتحزباتهم ويطيعون ساداتهم وكبراءهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ينقل عن أحد مراجع الدين وهو من أهل المعرفة (قدس الله نفسه) أنه سأل الحاضرين لديه: هل حقاً توجد جنة ونار وحساب؟ فقالوا له: مثلك من يسأل هذا السؤال وقد تعلمنا العقائد الحقّة منك؟ فبيّن وجه السؤال وحاصله أنني لا أرى لهذا الاعتقاد أثراً في حياة الناس حتى بدا كأنه وهم وليس حقيقة وهذا وجه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت) <sup>(١)</sup> لأن الجميع متيقنون من ملاقاتة الموت عاجلاً أو آجلاً لكن لا أحد يظهر على عمله الاستعداد لهذا الآتي الا القليل.

ولذا تجد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تركز على الاكثار من ذكر الله تعالى والمواظبة عليه وعدم الغفلة عنه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب: ٤١) وليس المطلوب منه مجرد تحريك اللسان وانما استشعار كوننا بمحضر من الله تبارك وتعالى وانه شاهد علينا وناظر الينا في جميع احوالنا من السر والعلن وأنه وحده تعالى المؤثر في الخلق ولا تعمل الأسباب الاخرى الا بإذنه، وما يترتب على هذا الحضور من آثار المراقبة وإحسان العمل واجتناب المعاصي والذنوب والتوكل عليه وحده والطلب منه وتعلق الآمال به بفضل الله تعالى وكرمه.

إن ذكر الله تعالى يمكن أن يكون من خلال إثارة جوانب عديدة بحسب

اسمائهُ الحسنى فيمكن ان تناوله من جهة عظمة الله تعالى بيان عظمة خلقه أو تناوله من جهة حكمة الله تعالى بيان لطيف صنعه أو تناوله من جهة كرم الله تعالى ورحمته بيان سعتهما أو تناوله من جهة حلمه ومغفرته وعفوه وهكذا، بلحاظ سائر الأسماء الحسنى، وهذا التنوع يكون بلحاظ استحقاق الشخص ومحط اهتمامه والباب الذي تدخل منه إلى قلبه، فقد يكون عالماً مادياً تريد هدايته أو شاباً مذنباً أو جاهلاً ساذجاً، أو مغترأً بالدنيا وغير ذلك من الحالات، فلكل واحد منهم ما يناسبه من الخطاب.

ولعل الاجدى والأكثر تأثيراً في هذا المجال تحبيب الله تعالى إلى القلوب وقد ذكرت الروايات لمن يعمل على ذلك أجراً عظيماً فقد روي عن النبي (ﷺ) قوله (إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يحبون الله ويحببونه إلى خلقه، يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله) (١).

وقد ذكرنا في خطاب سابق (٢) عدة أساليب لتحبيب الله تعالى إلى خلقه منها تذكيرهم بنعمه تبارك وتعالى، روي عن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال (أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) أحببني وحببني إلى خلقي، قال موسى (عليه السلام) يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ منك فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكّرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني الا خيراً) (٣).

(١) مجمع الزوائد للهيثمى: ١٢٦ / ١

(٢) راجع خطاب المرحلة: ١٧٣/٦

(٣) بحار الأنوار: ٣٥١/١٣، ٣٨/١٤

لقد كان المرجع الشهيد السيد محمد الصدر (قدس الله نفسه الزكية) مهتماً بهذه القضية أيما اهتمام وعندما أقام صلاة الجمعة المباركة انتقد صريحاً الطريقة السائدة لدى الخطباء والمتحدثين من الابتداء بسطر واحد فقط يضم الحمد لله تعالى والصلاة على النبي وآله ثم الدخول في سائر المواضيع الدينية، وكان يعتقد بلزوم تخصيص حصة كافية لذلك فكان يتدئ بمقطع من الادعية الشريفة التي تعمق هذا الايمان في قلوبنا ووجداننا.

ومن يتأمل في رسائله المنشورة في كتاب (قناديل العارفين) يجد هذا المعنى حاضراً والتأكيد على الذكر القلبي أكثر من اللساني، وذكر صوراً للذكر القلبي منها (التفكير في شأن الفرد أمام خالقه من القصور والجهل والذنب والتقصير وحسن الظن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه وتعمه سبحانه ونحو ذلك) (١).

أيها الأحبة: إن احياء هذا التفاعل الوجداني والعملية مع الله تبارك وتعالى هو أهم قضية في حياتنا وهو مفتاح السعادة والخير وبه صلاح الأمة ونجاتها مضافاً إلى ما ورد في الرواية السابقة من المنزلة العظيمة فلا تقصروا فيه وهي مسؤولية الجميع خصوصاً الخطباء والمبلغين والكتّاب والمثقفين والمتحدثين، ولا ثمرة في أي عملية إصلاحية مالم تستند على هذا الأساس الوثيق. اعاننا الله تعالى على طاعته ووفقنا لما يحب ويرضى إنه ولي النعم.

## (وكان الإنسان عجولاً) (الإسراء: ١١)

في العجلة الندامة الا في فعل الخير<sup>(١)</sup>

قد يتوصل الانسان إلى معرفة عميقة بأجزاء جسمه ووظائفها والامراض العارضة لها وكيفية علاجها، لكن لا أحد يستطيع أن يصف الانسان في هواجسه وميوله وغرائزه ومكونات ضميره أفضل من خالقه العظيم، وقد كشف القرآن الكريم عن جملة من هذه الاوصاف، قال تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) (المعارج: ١٩) (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب: ٧٢) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم: ٣٤) (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (الكهف: ٥٤) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) (الحج: ٦٦) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) (العاديات: ٦) (وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف: ١٠٣) (وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) (الأعراف: ٧٩) (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (المؤمنون: ٧٠) وغيرها مما تستحق أن يفرد لها بحث مستقل إلى ان تصل ذروة الشكوى من الانسان والدعاء عليه في قوله تعالى (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس: ١٧) وكانت نتيجة ذلك (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (العصر: ٢).

والمقصود ليس الانسان بذاته وحقيقته وأصل خلقته لأنه صُمِّمَ (في أحسن تقويم) (التين: ٤) ليكون خليفة الله في أرضه وأسجد له ملائكته (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك / ١٤٣٩ الموافق ٢٢ / ٨ / ٢٠١٨



آدمَ) (الإسراء: ٧٠) وعنده القابلية لأن يكون أعلى درجة من الملائكة إذا أخلص العبودية لله تعالى، وفي الحديث عن الامام الباقر (عليه السلام) (ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين) (١). وعُـلـل ذلك الامام الصادق (عليه السلام) عندما سأله عبدالله بن سنان: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال (عليه السلام) (قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): إن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم) (٢).

وانما المقصود الانسان بواقعه الخارجي وسلوكه العملي الذي اختاره بنفسه لأنه لم يحافظ على فطرته ولم يلتزم بما خُطِّط له واتبع هواه وغرته الدنيا وزين له الشيطان عمله وفي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و يمجسانه) (٣)، ولو ناله التوفيق الإلهي وحصلت له التربية الصالحة لما انحدر إلى تلك الصفات، ولذا استنتجت الآيات الكريمة ولم تشمل كل انسان (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) (المعارج: ١٩-٢٣) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ).

ومن هذا نعرف أنه لا يوجد تنافي بين هاتين النظرتين القرآنتين ومن تلك

(١) الكافي: ٣٣/٢ ح ٢

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٩/٦٠ ح ٥

(٣) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٢

الغرائز والميول: العجلة وعدم التأني في اتخاذ القرار والموقف فيتخبط ويوقع نفسه في الضرر (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ) (الأنبياء: ٣٧) حتى إنه بسبب استعجاله يدعو ويطلب الشر لنفسه كطلبه الخير حين يندفع لتحقيق مطامعه من دون أن يفرّق بين الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى أهدافه. (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) (الإسراء: ١١) فكونه عجولاً بطبعه علة لدعائه بالشر كما يدعو بالخير والظاهر أن (كان) هنا شأنية أي ان من شأنه ذلك أو (كان) التامة بمعنى وُجِدَ وخلق وفي طبعه العجلة، وتكون (عجولاً) حالاً وليس خبر كان بناءً على كونها ناقصة.

والدعاء هنا بمعنى الطلب وهو أوسع من كونه باللسان أو بالسعي والعمل فدعاؤه بالخير والشر أي طلبه لهما وسعيه اليهما كمن يطلب الرزق تارة بلسانه وأخرى بسعيه وجهده، قال تعالى (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الرحمن: ٢٩) وليس كلهم يسألون باللسان فالإنسان لطلبه العجول يطلب الشر أو يسعى اليه بالعمل كطلبه الخير (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) (الحج: ٤٧) (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) (الرعد: ٦) (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) (النمل: ٤٦).

وقد أورد القرآن الكريم نماذج من هؤلاء كقوله عن أحدهم – قيل إنه النضر بن الحارث – (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (الأنفال: ٣٢) وقد استجاب الله تعالى دعائه وتمكّن منه رسول الله (ﷺ) وقتله ولذا ورد التوجيه من الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (اعرف

طريق نجاتك وهلاكك كي لا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وانت تظن أن فيه نجاتك) (١).

### دوافع العجلة:

وإنما يعجل الانسان لاتباعه هواه فيستعجل تحصيل اللذة والمتعة وما يوافق هواه أو لسداجته وحسن ظنه المفرط أو لجهله بحقائق الأمور وعواقبها فيتوهم الأمور بالعكس فيرى الخير شراً والشر خيراً وتنقلب الموازين في نظره فيصبح عنده المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فيصير ذلك حجاباً عن الحقيقة والمعرفة ومانعاً من التكامل.

### الاستعجال محمود ومذموم:

والاستعجال قد يكون محموداً أو مذموماً فالمحمود ما كان في فعل الخير إذ تستحب المبادرة إليه ، قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣) وقال تعالى (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) (آل عمران: ١١٤) (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة: ١٤٨) وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الآخرة) (٢) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (التؤدة ممدوحة في كل شيء الا في فرص الخير) (٣) وعنه (عليه السلام) قال (إذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض شيء من أمر

(١) نور الثقلين: ٣ / ١٤١ عن مصباح الشريعة

(٢) كنز العمال: ٥٦٧٤

(٣) غرر الحكم: ١٩٣٧

الدنيا فتأته حتى تصيب رشدك فيه)<sup>(١)</sup>، وإنما طلب التعجيل إلى فعل الخير لأن التناقل والتباطؤ فيه يعطي فرصة للشيطان وللنفس الامارة بالسوء لثني الشخص عن المضي فيه كما في الحديث الشريف عن الامام الباقر (عليه السلام) قال (من همَّ بشيء من الخير فليعجله فان كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة)<sup>(٢)</sup> وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (اذا همَّ أحدكم بخيرٍ أو صلةٍ فإن عن يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفاه عن ذلك)<sup>(٣)</sup>.

واما الاستعجال المذموم ففي اقتحام الأمور من دون حساب عواقبها والسير وراء المطامع والشهوات بمجرد خطورها في ذهنه وتراءي مصلحة ما فيها من دون تروّي وملاحظة النتائج والاثار وحينئذٍ يصطدم بالنتيجة وتحلّ به الندامة، اما اذا درس الموضوع بشكل جيد وعرف وجه الصلاح فيه. فحينئذٍ ينفذ ما انعقد عليه عزمه، قال تعالى (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (آل عمران: ١٥٩).

فعلى الانسان ان يصبر ويتأني في نيل مقاصده واغراضه ويتحقق من كونها مشروعة وان الوسائل التي يريد بها تحقيق غرضه مشروعة أيضاً ونقية وعفيفة، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (انما اهلك الناس العجلة ولو ان الناس تثبتوا لم يهلك أحد)<sup>(٤)</sup> وعنه (صلى الله عليه وآله) قال (ان الاناة من الله والعجلة من الشيطان)<sup>(٥)</sup> وعن

(١) الامالي للطوسي: ٧ ح ٨

(٢) أصول الكافي، ج ٢ كتاب الايمان والكفر، باب: تعجيل فعل الخير.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ كتاب الايمان والكفر، باب: تعجيل فعل الخير.

(٤) المحاسن: ١/ ٣٤٠ ح ٦٩٧

(٥) نفس المصدر السابق، ح ٦٩٨، كنز العمال: ٥٦٧٤

الامام الصادق (عليه السلام) قال (مع التثبت تكون السلامة، ومع العجلة تكون الندامة) (١). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (التأني في الفعل يؤمن الخطل، التروي في القول يؤمن الزلل) (٢).

وبذلك يتضح ان الاناة والتثبت من جنود الرحمن والعقل وان العجلة والتسرع من جنود الشيطان والجهل.

روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل المسجد وقال لرجل (امسك علي بغلتي - أي احفظها وما عليها من السرقة والضياع إلى ان ينهي الامام عبادته لكن الرجل المؤمن طمعت نفسه - فخلع لجامها وذهب به فخرج علي (عليه السلام) بعد ما قضى صلاته ويده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له، فوجد البغلة عطلى - أي خالية من السرج فقد سرقه الرجل طمعاً بثمانه - فدفع إلى غلامه الدرهمين ليشتري به لجاماً، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق قد باعه الرجل بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه.

فقال علي (عليه السلام): إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له) (٣). فعجلته لتحصيل المال أدت به إلى هذه النتيجة السيئة ولنا كلمة مستقلة اعطينا فيها امثلة من الواقع على هذه النتيجة.

ومن صور الاستعجال المذموم قيام البعض بالتشهير بالآخرين وذمهم

(١) الخصال: ١٠٠، ح ٥٢

(٢) غرر الحكم: ١٣١٠

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١٠٧٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد :

وتسقيطهم ونشر غسيلهم بمجرد وصول خبر إليه بذلك من دون أن يتحقق من صدق الخبر أو يعطي الفرصة للآخر لكي يبين الحقيقة ويعطي العذر، في الحديث المروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (يا عبد الله لا تعجل في عيب أحدٍ بذنبه، فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيةٍ فلعلك معذب عليه) (١). ومن كتابه (عليه السلام) إلى مالك الاشر لما وُلّاه مصر (لا تعجلن إلى تصديق ساعٍ فان الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين) (٢).

وهذه العجلة المركوزة في طبع الانسان هي التي تعمي بصيرته وتسلب عقله فتدفعه إلى التثبيت بالدنيا والتمسك بها لأنه يجد فيها لذة عاجلة ويعزف عن متطلبات الآخرة لأنها مؤجلة (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) (الإنسان:٢٧).

وقال تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا) (الإسراء:١٨).

ومن اسوأ النماذج على هؤلاء عمر بن سعد فانه عندما كلفه ابن زياد بقيادة الجيش الخارج الى حرب الامام الحسين وبات ليلته يفكر ويتأمل في ما عرض عليه من ولاية الري وجرجان ان قتل الحسين (عليه السلام) وفيها نار جهنم وانشأ آياتاً منها:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٠

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣

أترك ملك الري والري منيتي      ام ارجع مأثوماً بقتل حسين  
وأختار في النهاية الدنيا العاجلة الفانية معللاً ذلك بقوله (وما عاقل باع  
الوجود بدين) لكنه لم يكن عاقلاً في اختياره بل كان أحمقاً ومتوهماً.

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعتقو عن  
كثير) (١) (الشورى: ٣٠)

حقيقة قرآنية تكشف عن واحدة من السنن الإلهية الجارية في العباد، فالمصيبة هي النازلة والنائبة التي تحل بالإنسان وسميت بذلك لأنها تصيب الإنسان المقصود والمستهدف بها وتحقق الغرض المطلوب كما يصيب السهم الهدف بدقة، وسياق الآية ظاهر في كون المراد من (كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) خصوص السيئات والمعاصي وستأتي الإشارة إلى احتمال آخر بإذن الله تعالى، والباء سببية.

فيكون معنى الآية ان المصائب التي تنزل بكم أيها الناس في دينكم أو أنفسكم أو أهليكم أو أموالكم أو امتيازاتكم وسائر ما أنعم الله به عليكم من نعم معنوية ومادية هي بسبب بعض ما صدر منكم من الذنوب وليس كلها، لأن الله تعالى (يَعْفُو عَن كَثِيرٍ) ابتداءً بالفضل أو جزاءً على عمل صالح، قال تعالى (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) (النساء: ٣١).

وكون المصائب بسبب أفعالكم لا يلغي كونها من عند الله وبإذن الله لأنه تعالى مسبب الأسباب ومدبر الأمور فالأسباب طولية، فالمصائب تقع بسبب أفعال العباد المباشرة وغير المباشرة لكن بإذن الله تعالى وبفعل القوانين التي جعلها الله تعالى للموجودات ولو شاء سبحانه لدفع عنهم (وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) لكن الله تعالى



يتركهم أحياناً أهدافاً للسهم التي اعدّوها هم لأنفسهم لتصيبهم بفعل القوانين الطبيعية التي جعلها الله تعالى، كمن يسقط من شاهق بفعل الجاذبية الأرضية فتتكسر عظامه فان ما أصيب به نتيجة فعله ولو شاء الله تعالى لعطل قانون الجاذبية كما عطل قانون الاحراق للنار التي اوقدت للنبي إبراهيم (عليه السلام) لكن حكمة الله تعالى اقتضت جريان قانون الجاذبية لتستقر الحياة وتنتظم، قال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (التغابن: ١١).

ومن هنا يتضح الفرق بين السيئة التي فيها رفع يد وعدم دفع من الله تعالى وبين الحسنة التي هي بتوفيق وتمكين مباشر من الله ومن عند الله قال تعالى (وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَهْؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا \* مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (النساء: ٧٨-٧٩).

وقد أضاف الله تعالى مزيداً من فضله بأن جعل هذه البلاءات التي تمرّ على الانسان بسبب أفعاله أو أفعال المجتمع كفارة لذنوبه وعلواً في درجاته، لذا دلّت بعض الروايات على ان هذه الآية من أكثر الآيات الكريمة التي تعيد الأمل والرجاء إلى العاصين لما تضمّنته من البشارة بسقوط الكثير من الذنوب بالمصائب والبلاءات أو العفو والمغفرة ابتداءً بإذن الله تعالى ففي مجمع البيان والدر المشور عن علي (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير آية في كتاب الله هذه الآية: يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب، وما عفا الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب في الدنيا فهو أعدل من ان يشني على عبده)، وروي

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (إني أحدثكم بحديث ينبغي لكل مسلم أن يعيه: ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا الا كان أحلم وأجود وأمجد من أن يعود في عتابه يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

فالآية فيها تطمين بكرم الله تعالى ورحمته اذ إن ما يحل بهم من مصائب هو بعين الله تعالى وفيه تخفيف للذنوب والاوزار التي تثقل الظهر، والله تعالى شفيق رؤوف بعباده فيختار لهم الحال الذي يناسب صلاحهم، ففي مجمع البيان: روى أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله جل ذكره (إن من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صححته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وذلك أني ادبر عبادي لعلمي بقلوبهم).

وفيها تحذير أيضاً من اقتراف المعاصي لأنها ستكون سبباً لتعرضهم لمزيد من البلاء في الدنيا فاذا أرادوا دفع هذا البلاء أو تقليله فليتجنبوا أسبابه وهي الذنوب، فهذا التحذير رحمة أخرى بالإنسان وشفقة عليه، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (توقوا الذنوب، فما من نكبة ولا نقص رزق الا بذنب حتى الخدش والكبوة والمصيبة، قال الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم، فما زالت نعمة ولا نضارة عيش الا بذنوب اجترحوها ان الله ليس بظلام للعبيد، ولو أنهم استقبلوا ذلك بالدعاء والإنابة لما نزلت، ولو أنهم إذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فزعوا إلى الله عز وجل

بصدق من نياتهم ولم ينهوا ولم يسرفوا لأصلح لهم كل فاسد ولرد عليهم كل صالح.<sup>(١)</sup> وعن الامام الصادق (عليه السلام) (إن العبد اذا كثرت ذنوبه، ولم يكن عنده من العمل ما يكفّرهما، ابتلاه بالحزن ليكفّرهما)<sup>(٢)</sup> وعلى هذا فالآية عامة للمؤمنين والكافرين.

وهنا تثار عدة أسئلة حول مضمون الآية:

الأول: كيف نطبّق الآية على ما يصيب الأنبياء والائمة (عليهم السلام) من البلاءات وهم معصومون من الزلل والذنب؟ أو الأطفال الذين هم دون سن التكليف مثلاً؟ والجواب يمكن أن يكون بوجوه:

١. ان يقال ان المعصومين (عليهم السلام) خارجون من موضوع الآية وهم الناس الذين يكونون عرضة للمعاصي بعد ان علمنا ان المقصود بها المصائب التي تحصل بسبب الذنوب فالمخاطب بها من يجوز صدور المعصية منه، والائمة (عليهم السلام) معصومون منها فهم خارجون من الخطاب أصلاً أي تخصيصاً لا تخصيصاً. وان بلاءاتهم تكون لرفع مقاماتهم عند الله تبارك وتعالى ففي الكافي بإسناده عن علي بن رثاب قال (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أَرَأَيْتَ مَا أَصَابَ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ (عليهم السلام) من بعده أهو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يتوب إلى الله ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة من

(١) نور الثقلين: ٤/ ٥٨٢ ح ١٠١ عن كتاب الخصال في باب الاربعمائة.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، كتاب الايمان والكفر، باب تعجيل عقوبة الذنب، ح ٢

غير ذنب، إن الله يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها) وفي قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لسبطه الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إن لك عند الله مقامات لن تنالها الا بالشهادة)<sup>(١)</sup>.

فبلاءاتهم (سلام الله عليهم) مشمولة بخطاباتها المناسبة فقد ورد عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (إن البلاء للظالم أدب وللمؤمن امتحان وللأنبياء درجة وللأولياء كرامة)<sup>(٢)</sup> وهذا مستفاد من الحوار الذي جرى بين الامام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والملعون يزيد، حينما أدخل أهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على يزيد فقال للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) متشفياً شامتاً: يا علي: ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم) فأجاب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (كلا، ما نزلت هذه فينا، إنما نزل فينا (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لَكِنَّا تَأْسَوْنَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُونَ بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد: ٢٢- ٢٣) فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا)<sup>(٣)</sup>. فيمكن ان يكون البلاء للترهيد في الدنيا وزيادة التبصرة في حقيقتها.

٢. ان يقال ان الخطاب في الآية ليس موجهاً لأفراد الناس بما هم افراد أي لكل فرد على حدة بل بما هم مجموع فالعموم هنا مجموعي وليس استغراقياً، أي أن ما أصابكم كمجتمع من بلاءات خاصة أو عامة كالمجاعة والزلازل والفتن الداخلية والعدوان الخارجي ونحو ذلك هي بسبب ما صدر من بعضكم من

(١) ينابيع المودة لذوي القربى، للقندوزي، ج٣، ص٤٦.

(٢) بحار الانوار: ٨١ / ١٩٨

(٣) نور الثقلين: ٤ / ٥٨٠ عن تفسير علي بن إبراهيم.

معاصي وسكوت أو رضا بعض آخر فأصاب البلاء الجميع بلا استثناء حتى من لم يكن من هذين القسمين ويكون البلاء رحمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين، وحينئذ يكون ضمير (كم) في (أصابكم) أعم من (كم) في (أيديكم) لان الأول يشير إلى الكل والثاني إلى البعض، وتكون حينئذ الآية بمعنى قوله تعالى (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: ٢٥) وقوله تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم: ٤١). وفي الحديث الشريف عن محمد بن عرفة قال (سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم).<sup>(١)</sup>

٣. أن نقول كأطروحة ان (مَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) تشمل الحسنات أيضاً فتكون المصائب التي تقع على الصالحين هي بما كسبت أيديهم ولكن من الحسنات لأنها تثير حسد الأعداء وتوغر صدورهم ويزين لهم الشيطان الانتقام من الصالحين بألوان الظلم والعدوان قال تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النساء: ٥٤) فتكون اصابتهم في سبيل الله على يد أعداء الله ويكون للآية حينئذ دور في تخفيف الآم ومعاناة الصالحين والعاملين الرساليين بأن ما يصيبهم نتيجة نجاحهم وتألقهم.

الثاني: ان المعروف ان الدنيا دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا

عمل فكيف حصل الجزاء في الدنيا؟ والجواب يكون بأكثر من وجه أيضاً:

١. ان هذا المعنى المعروف صحيح في الجملة وعلى القاعدة الا أنه ليس بشكل مطلق ولا يمنع من حصول جزاء في الدنيا تخفيفاً على العبد واشفاقاً عليه حتى لا يتعذب بها في الآخرة كما أسلفنا والأول لا يقارن بالثاني كما في دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل (وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا..) (فكَيْفَ احْتِمَالِي لِبَلَاءِ الآخِرَةِ وَجَلِيلِ وَقُوعِ المَكَارِهِ فِيهَا، وَهُوَ بِلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ..)، أو تحذيراً للعبد حتى يراقب نفسه أكثر ويجتنب المعاصي.

كما أن الانتقال إلى الآخرة لا يمنع من استمرار العمل ووصول الأجر على العمل ففي الحديث الشريف (إذا مات المؤمن انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)<sup>(١)</sup> وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء)<sup>(٢)</sup>.

٢. ان هذه المصائب ليست جزاءً للأعمال وإنما هي آثار طبيعية لها اقتضتها العلاقات الوثيقة والسنن الكونية الرابطة بين المخلوقات والقوانين اذ تؤكد الآيات الشريفة ان الناس كلما وافقوا النظام الكوني وانسجمت طاعتهم للقوانين التشريعية مع انقيادهم للقوانين الكونية فانهم سينالون بركات كثيرة وان خالفوها أصابتهم الكوارث قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف: ٩٦).

(١) البحار: ج ٢ ص ٢٢، جامع الأخبار: ص ١٠٥

(٢) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١٤ - ص ٢٧

ويظهر هذا الارتباط الوثيق من قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: ١١) فإن حالهم في جميع نواحي الحياة المادية والمعنوية يتغير من الصلاح إلى الفساد وبالعكس بحسب سلوكهم هم في هذا الاتجاه او ذاك.

هذا بغض النظر عما تقتضيه بعض الاستثناءات أحياناً كالابتلاء لرفع الدرجات أو اغداق النعم للاستدراج (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (الأعراف: ٩٥).

الثالث: ان مقتضى الآية حينئذٍ عدم بقاء ذنوب على الناس لأنها بين مكفرة بالمصائب أو مُعفى عنها فلا يؤاخذون على ذنب في برزخ او قيامة وهو خلاف ما دلّ على وجود العذاب والمؤاخذه في القبر وفي القيامة، قال تعالى (وَإِنَّمَا تُوقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران: ١٨٥) وقال تعالى (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (النحل: ٦١) فكل مظلمة وذنوب يؤاخذ بها في البرزخ أو القيامة الا ما غفرت بالتوبة أو تذهب بحسنة أو بشفاعة في الآخرة ونحو ذلك، ويزداد الاشكال في الكافرين باعتبار شمول الآية للمؤمنين والكافرين.

والجواب:

١. لا مانع من الالتزام بعدم بقاء ذنوب على من محصهم البلاء وطهرهم في الدنيا ولو لخصوص المؤمنين بفضل الله تعالى وكرمه وقد ورد هذا المعنى في

بعض الروايات كقول النبي (ﷺ) (لا يزال البلاء في المؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة)<sup>(١)</sup>.

٢. ان الآية لا تفيد هذا المعنى لأنها بصدد بيان الترابط بين الذنوب وآثارها الوضعية في الدنيا بإصابته بأنواع البلاء وليست بصدد بيان المجازاة على الأفعال مع ملاحظة العفو عن كثير بلطف الله تعالى وكرمه حيث جعل اسباباً لتكفير الذنوب والعفو عنها كالصدقة والدعاء والاستغفار وفعل الحسنات ونحو ذلك.

وفي الختام ينبغي الانتباه إلى ان هذه المعنى للآية لا يبرر الاستسلام للمصاعب والمشاكل وعدم السعي لمعالجتها وإزالتها بإذن الله تعالى على أساس أن الله تعالى أرادها أن تكون كذلك فهذا فهم غير مستقيم، وإنما على المؤمن التوسل بالأسباب لدفع الضرر والاذى والسوء، فاذا لم ينجح في دفعها لاحظ المعنى المذكور في الآية وحينئذٍ تحصل له حالة الندم على فعل المعصية فيستغفر منها ويعقد العزم على عدم العودة إليها.

فتكون الآية وسيلة تربوية ناجحة لعودة الانسان إلى رشده وإعادة الأمل إليه، وتكشف عن مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية.

(١) بحار الأنوار: ٦٧ / ٢٣٦ ح ٥٤ وأحاديث أخرى في ميزان الحكمة: ٣٨٥/٣



## لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة: ٢٥٦) الرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف<sup>(١)</sup>

(لا) النافية للجنس والجملة يمكن ان تكون خبرية فيخبر الله تعالى ان ارادته لن تتعلق باكراه الناس على اعتقاد الحق قال تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس : ٩٩) وتنفي الآية وجود أي حكم اكراهي في الدين يُجبر عليه الانسان من غير رضاه، فاذا تعرّض الإنسان لحكم اكراهي فليعلم انه ليس من الدين، كحديث (لا ضرر ولا ضرار) الذي ينفي وجود حكم ضرري في الشريعة.

ويمكن ان تكون العبارة انشائية فتدعوا الآية الى عدم اعتماد أسلوب الاكراه لجلب الاخرين الى الدين وتنهى عنه:

(أولاً) لأنه قد تبين الرشد والطريق الموصل الى الهداية والايمان وأصبح متميزاً عن الغي وطريق الضلال ويبقى الامر متروكاً لاختيار الانسان وارادته في سلوك اي منهما ولتحمّل مسؤولية قراره ثواباً وعقاباً.

(وثانياً) لان العقيدة امر عقلي وقلبي فلا يمكن فرضه بالقوة على الانسان وانما يأتي عن قناعة به، والذي يتعرض للإكراه ويظهر ما يريده المُكْرَه فانه يرجع

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد العقوبي (دام ظله) على طلبة بحثه يوم الأحد ١٧ / ربيع الأول / ١٤٤٠ المصادف ٢٥ / ١١ / ٢٠١٨ بمناسبة المولد النبوي الشريف.

عنه مباشرة بعد زوال الاكراه، وانما يتصور الاكراه في الأفعال والاعمال الخارجية وقد يلجا اليه العقلاء لإقرار النظام الاجتماعي ولحماية الانسان من الضرر ونحو ذلك مما سيأتي.

والحقيقة ان المعنى الثاني مستند الى الأول لان حاصلهما: النهي عن اجبار شخص على الاعتقاد بالحق، لعدم إمكانية تحقيق هذه النتيجة بالإكراه وانما بالإقناع ونستفيد من الآية عدة أمور:

١- ان الإسلام يحترم كرامة الانسان وحرية وحقه في اعتناق العقيدة التي يقتنع بها ويعتمد أسلوب الحجة والبرهان والبيان لتحصيل القناعة التامة لدى الآخر فحرية الاعتقاد أوضح علامة على انسانية الانسان فمن يسلب هذه الحرية انما يجرّد الانسان من انسانيته.

ولأجل احترام هذه الحرية ومبدأ الاختيار نفى ونهى عن الاكراه في الدين، والاختيار سنة الهية جارية في خلقه ويتحمل الانسان مسؤولية اختياره (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال : ٤٢).

٢- وقد كفل الإسلام مضافاً إلى ذلك حرية ممارسة الشعائر الدينية، وفي بعض الروايات (أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله ﷺ) وكان سيدهم الاهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلواتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم، فلما فرغوا دنوا من رسول الله فقالوا: إلى ما تدعوا؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ﷺ، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث قالوا:

فمن أبوه؟) وكأنهم أرادوا أن يخرجه ﷺ بهذا السؤال ليشبوا أنه ابن الله (فنزل الوحي على رسول الله ﷺ، فقال: قل لهم: ما يقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي ﷺ فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه؟ فبقوا ساكتين، فأنزل الله: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم)<sup>(١)</sup>.

وكان أصحاب الديانات والملل المختلفة يعيشون في ظل دولة الإسلام ويمارسون شعائرهم بكل حرية، ومن أرقى مظاهر الإنسانية تعاطف أمير المؤمنين (عليه السلام) مع بعض غير المسلمين الذين تعرضوا للسلب في إحدى غارات معاوية على غرب العراق بحيث يشرف (عليه السلام) على الموت ألماً وأسفاً قال (ولقد بلغني أن الرجل منهم، كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة.. فينتزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعاثها - القلب هو السوار والرعاث القرط - ما تمتع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كلم ولا اريق لهم دم.. فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا آسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان له عندي جديراً)<sup>(٢)</sup>.

٣- ان الاكراه المنفي ليس فقط على مستوى استعمال القوة العنيفة بل ترفع الإسلام أيضاً عن كل الأساليب غير الشفافة والاكراه بالقوى الناعمة كممارسة الخداع والتضليل والتمويه والتجهيل والادعاءات الباطلة، واستخدام الوسائل والظواهر الخادعة والخارقة للعادة ظاهراً التي تقود المسحور بها الى التسليم، فهذه

(١) - [بحار الانوار: ٢١ / ٣٤٠

(٢) نهج البلاغة: ٦٧ الخطبة ٢٧

كلها أساليب مرفوضة لأنها تصادر العقل والادراك والوعي والتدبر، فان قلت أن هذا ليس إكراهاً لغة وعرقاً قلنا يمكن أن يكون المعنى القرآني أوسع منهما أو نقول ان مناط الاكراه موجود فيها وهو مصادرة الوعي والبصيرة والتدبر.

٤- وتفرعاً على هذه النقطة فان الآية الكريمة تدعو الناس الى ترك التقليد في العقائد واتباع طريق الحجة والبرهان، لان التقليد من غير تدبر وادراك ووعي هو شكل من اشكال الاكراه والمورد لا يقبله.

٥- ان الآية خير رد على من يتهم الإسلام بالتوسع بالقوة العسكرية واجبار الآخرين على اعتناقه، فان من يترفع عما ذكرناه في النقطة الثالثة يكون من باب أولى رافضاً لأساليب القهر والتهديد بالقوة، وانما جاز القتال في بعض الموارد للدفاع عن النفس او لحماية المجتمع من الفتنة والضلال او لإزالة قبضة الطواغيت الذين يمنعون الناس من الاستماع الى الحق واتباعه ويصادرون حريتهم في الاعتقاد والممارسة ونحو ذلك من الدوافع التي ذكرناها في اكثر من موضع.

٦- مما تقدم يظهر ان موضوع هذه الآية مختلف عن موضوع آيات القتال لذا فما قيل من ان هذه الآية منسوخة بتلك الآيات غير صحيح وإن علة الحكم بعدم الاكراه في الدين وهو تبين الرشد من الغي موجودة ومستمرة ولا تتأثر بآية القتال.

٧- إن هذا المبدأ دليل على عظمة الإسلام وثقته بنفسه وقدرته على اقناع البشرية ولذا فهو لا يحتاج الى القوة وهكذا كل أصحاب المشاريع الناجحة الرصينة وانما يتوسل بالقوة الفاشلون من اصحاب الأيدولوجيات البشرية، غير

القادرين على اقناع الناس بمشروعهم أو أنهم لا يمتلكون مشروعاً حضارياً أصلاً، والمفارقة الغريبة ان الله تعالى خالق البشر ومدبرهم وولي أمورهم ينهى عن الاكراه في العقيدة لكن الطواغيت والمستكبرين وهم مخلوقون عاجزون فاشلون يعطون لأنفسهم الحق في اجبار الناس على متابعتهم وتنفيذ ما يريدون.

٨-والآية لا تنافي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الغرض من هذه الفريضة هو إلزام المعتقد للحق بالعمل بما أعتقده صحيحاً وليس اجبار غير المعتقد للحق على اعتقاده، مضافاً الى ان هذه الفريضة انما شرعت لحفظ النظام الاجتماعي العام من المفسدين والمنحرفين والمضلين ولضمان تطبيق القوانين التي يدين بها الناس ومن واجب العقلاء فعل ذلك، وإلزام الناس بالنظام العام وعدم التجاوز على حقوق الآخرين.

٩- يفهم البعض من الآية فهماً مغلوطاً فيتصور ان الآية تدل على ان الإسلام لا يتدخل في عقيدة الانسان وسواءً عنده ان يؤمن او لا يؤمن، ويجيز لكل انسان ان يعتقد ما يشاء حتى عبادة الاصنام من دون أي يلحق به أي مسؤولية، وان الإسلام يقف على مسافة واحدة من الجميع.

وهذا الفهم يناقض أساس الإسلام المبني على التوحيد ونبذ الشرك والكفر قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩] وقال ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] وهذا الفهم يشبه من يضع القوانين لحفظ مصالح العباد والبلاد ثم يقول لهم انتم احرار في الالتزام وعدم الالتزام بها.

فالصحيح ان الله لا يأذن بعقيدة غير التوحيد وان معنى الآية إعطاء الانسان

حرية اختيار العقيدة على أن يتحمل مسؤولية قراره بعد اتضاح الحق والطريق  
الموصل اليه.

(إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ)  
(الجمعة: ٦)

### الاستعداد للموت: علامة صدق الإيمان<sup>(١)</sup>

قال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (الجمعة: ٦-٧).

الهُود بمعنى الرجوع والميل والذين هادوا هم اليهود ومن وجهة نظرهم فإن منشأ التسمية لأنهم رجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة الله تعالى، ولكن القرآن الكريم يرى فيهم أنهم مالوا عن الله تعالى وعن الحق. ومن الشواهد على ذلك هذا التحدي الذي ذكرته الآية الكريمة، وهو ليس خاصاً باليهود وإنما يتوجه إلى كل من يدعي القرب من الله تعالى والمنزلة الرفيعة في الآخرة وقد ورد هذا المعنى في آية أخرى بهذا العموم قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة: ٩٤-٩٥).

فالآية الكريمة تتحدى اليهود الذين زعموا أنهم أولياء الله وشعبه المختار وإن الجنة خالصة لهم وانهم أبناء الله وأحباؤه (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ

(١) القيت يوم الجمعة ١٣ / ربيع الآخر / ١٤٤٠ الموافق ٢١ / ١٢ / ٢٠١٨

اللَّهُ وَأَحِبَّاءُهُ) (المائدة: ١٨) وتبيّن لهم ان علامة صدق الايمان ومحبة الله تعالى الشوق للقاءه وتمني الموت والخروج من هذه الدنيا وعلائقها المادية حتى تزول موانع اللقاء مع الحبيب والفوز بالنعيم فليتمنوه إن كانوا صادقين في دعاواهم، ومطمئنين لنتيجتهم، وعليهم أن لا يخافوا من تعرضهم لأسبابه كالجهاد الموجب للقتل، ولكنهم يعلمون أنهم محبون للدنيا وليس لله تعالى في قلوبهم وعقولهم أي نصيب خصوصاً أحبارهم الذين بنوا قداستهم المزيّفة على مثل هذه الأوهام والادعاءات، لذا فهم حريصون على البقاء فيها، ويكرهون الموت لأنه يحرمهم من وصال ما أحبّوه من الدنيا الدنيّة (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ٩٦).

ويكرهون الموت أيضاً ولا يتمنونه لأنهم اوغلوا في الظلم وفعل الموبقات واقتراف السيئات فهم لا يريدون الموت لأنه ينقلهم إلى دار الجزاء وهم يخافون مما سيواجهونه من العقاب (وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة: ٩٥) والآية تفيد التأيد فهم لم ولن يتمنوا الموت والواقع يشهد بصدق هذه الحقيقة.

لكن الآية الكريمة التالية تصدمهم بقوة وتذكرهم بحقيقة حتمية لا يمكن التغافل عنها حاصلها ان الموت الذي تفرّون منه سينزل بكم يوماً (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجمعة: ٨) وعندما يأتيكم الموت فأنكم ستجدون أنفسكم بين



يدي الله تعالى ليخبركم بما قدمتم من اعمال، فاذا كنتم تريدون الفرار من الموت ففروا إلى الله تعالى فإنه لا ملجأ منه الا إليه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أيها الناس كل امرئ لاق في فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس اليه، والهرب منه موافاته) (١).

فإذن أنتم ستلاقون هذا الآتي مهما هربتم من أسبابه، بل انكم (ملاقوه) فعلاً الآن ومستمرون على ملاقاته بعد الآن بحسب دلالة اسم الفاعل (ملاقي) على الاستمرارية.

ولهذه الملاقاة الآنية للموت مع أنهم أحياء ظاهراً في هذه الدنيا أكثر من

تفسير:

١- أنهم موتى روحياً ومعنوياً وضمائرهم ميتة وجوارحهم لا ينتفعون بها (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَكُلُّهُمْ أَعْتِنُ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف: ١٧٩) فليس لديهم ما يدل على حياتهم المعنوية إلى ان يحين موعد قبض الروح بواسطة ملك الموت فيتحقق الموت الجسدي أيضاً.

٢- ويمكن أن يكون استمرار الملاقاة ناشئاً من كون أعمارهم في كل يوم يمر عليهم في نقصان واقتراب من الأجل فكأنهم داخلون في مقدمات الموت، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عجبت لمن يرى أنه يُنقص كل يوم في نفسه

وعمره وهو لا يتأهب للموت<sup>(١)</sup> .

وقد تسأل: ان اليهود الذين كانوا في عهد نزول الخطاب لماذا لم يتحدوا الآية الكريمة فلم يدعوا تمنى الموت ولو بألستهم لإثبات صدقهم والجواب: ان هذا الخطاب كان دعوة على نحو المباهلة بين النبي (ﷺ) واليهود لأنهم كانوا يدعون أنهم على الحق وان دعوة النبي (ﷺ) لا تشملهم وانها موجهة إلى الأميين - أو الأميين - بحسب تقسيمهم (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (آل عمران: ٧٥) فدعوا إلى المباهلة ولازمها نزول العذاب على الكاذب منهما وهم يعلمون أنهم كاذبون فخافوا من نزول العذاب ورفضوا التحدي والمباهلة، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله (ﷺ) لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً)<sup>(٢)</sup> .

ولابد أن نلتفت إلى معنى مناسب لتمنى الموت تدعو إليه الآية الكريمة لأن تمنى الموت أمر غير مرغوب في الشريعة المقدسة كما اشارت إليه الأحاديث الشريفة كالحديث النبوي الشريف (لا يتمنى أحدكم الموت)<sup>(٣)</sup> وعنه (ﷺ) قال (لا تمنوا الموت فإنه يقطع العمل ولا يُردُّ الرجل فيستعقب)<sup>(٤)</sup> وعنه

(١) غرر الحكم: ٦٢٥٣

(٢) رواه البخاري والترمذي والنسائي

(٣) كنز العمال: ٤٢١٥٢.

(٤) كنز العمال ٤٢١٥٥، ٤٢١٤٧.

قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (لا يتمنين أحدكم الموت فإنه لا يدري ما قدم لنفسه) <sup>(١)</sup> وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) انه قال لرجل يتمنى الموت (تمنّ الحياة لتطيع لا تعصي، فلأن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع) <sup>(٢)</sup>.

فحينئذٍ نفهم لتمني الموت في الآية معنى آخر وهو عدم كراهيته وعدم المفاجأة به والرضا بقضاء الله وقدره اذا اختاره الله تعالى أو يراد به لازمه وهو الاستعداد للموت، روي عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قوله (إن النور إذا دخل الصدر انفسح، قيل: هل لذلك من علم يعرف به؟ قال: نعم، التّجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله) <sup>(٣)</sup>.

ان اغلب الناس يخافون من الموت ويكرهونه ويحبّون الدنيا ولعل ذلك يرجع إلى أكثر من سبب:

١- إنكار وجود حياة ما بعد الموت ويعتبرونه فناءً وعدمًا فلا يريدون الانتقال من الوجود إلى العدم وهذه قضية غريزية كخوف الانسان من الظلمة التي هي عدم النور وهؤلاء يجب اعادتهم إلى العقيدة الحقّة بالبعث والنشور يوم القيامة واقناعهم بالحجة والبرهان وإزالة شكوكهم بذكر امثلة واقعية على طريقة القرآن الكريم.

٢- عدم الاستعداد للموت وعدم اعداد الزاد للرحلة الأبدية كالتائب الذي يكره حلول وقت الامتحان اذا لم يكن مستعداً له بينما يستعجله ويحبّ تحقق وقته

(١) كنز العمال ٤٢١٤٩، ٤٢١٥٣، ٤٢١٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦ / ١٢٨، ميزان الحكمة: ٢٢٨/٨

(٣) ميزان الحكمة: ج ٨ / ٢٢٣ ح ١٩٢٥٣

إذا كان مستعداً له، فهؤلاء الذين يكرهون الموت لم يلتزموا بما نبههم الله تعالى إليه (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة: ١٩٧) وإنما شغلهم الدنيا وافنوا أعمالهم في اللعب واللهو وتضييع الأوقات فيما لا ينفعهم، روي ان رجلاً سأل الامام الحسن (عليه السلام) (ما بالناس نكره الموت ولا نحبه، فقال (عليه السلام) لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم وانتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب) (١).

روي ان رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (يا رسول الله مالي لا احبُّ الموت؟ قال (صلى الله عليه وآله): هل لك مال؟ فقدّم مالك بين يديك، فان المرء مع ماله، إن قدمه أحبّ أن يلحقه، وإن خلفه أحبّ أن يتخلف معه) (٢).

لذا وردت الاحاديث الكثيرة في الحث على الاستعداد للموت، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (من ارتقب الموت سارع في الخيرات) (٣). وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (استعدوا للموت فقد أظلكم، وكونوا قوماً صحيح بهم فانتبهوا، وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا... وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به... نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غايةً، ولا تحلُّ به بعد الموت ندامةً ولا كآبة) (٤).

(١) معاني الاخبار: ٣٩٠ ح ٢٩

(٢) كنز العمال: ح ٤٢١٣٩

(٣) بحار الأنوار: ١٧١/٧٧ ح ٧

(٤) ميزان الحكمة: ج ٨ / ٢٢٣ ح ١٩٢٥٥، عن نهج البلاغة: الخطبة ٦٤

٣- عدم معرفة حقيقة الموت وتفسيره وانه انتقاله من عالم ضيق منغص إلى عالم فسيح أتيق كانتقال الجنين من رحم أمه الضيق إلى الدنيا الفسيحة بالولادة واحتضان والديه له وحنوهما عليه واغداق أنواع النعم التي لم يكن يتصورها في بطن أمه وهو كان خائفاً متوجساً قبل الخروج إلى الدنيا لأنه لم يكن يعرف عنها شيئاً، فالموت كذلك نقلة إلى حالة أفضل وأكثر سعادة وانطلاقاً نحو النعيم وفيها خلاص من الظلم والشر ولثام الناس، فلو عرف الانسان ذلك لما كره الموت بل فرح به من دعاء الامام السجاد (عليه السلام) يوم الثلاثاء (وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي فَإِنَّهَا دَارُ مَقَرِّي، وَإِلَيْهَا مِنْ مُجَاوِرَةِ اللَّثَامِ مَقَرِّي) <sup>(١)</sup>. وفي الحديث الشريف (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) <sup>(٢)</sup> روي عن الامام السجاد (عليه السلام) قال (كان الحسين (عليه السلام) وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت: فقال لهم الحسين (عليه السلام): صبراً بني الكرام: فما الموت الا قنطرة تعبرُ بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأَيْكُمْ يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر) <sup>(٣)</sup>.

وروي عن الامام الهادي (عليه السلام) قوله (قيل لمحمد بن علي ابن موسى (عليه السلام): ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبّوه، ولعلموا أن الآخرة خيرٌ لهم من الدنيا، ثم قال (عليه السلام): يا أبا عبد الله، ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء

(١) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (عليه السلام) / ص ٥٤٨ / ٢٤١

(٢) البحار: ١ / ٦٠٣

(٣) معاني الاخبار: ٢٨٨ ح ٣

المُنقي لبدنه والنّافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء. قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدّواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة (١).

وروي عن الامام العسكري (عليه السلام) قوله (دخل علي ابن محمد (عليه السلام) على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله، تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القدر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يُزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله. قال: فذاك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا انت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كلّ غمّ وهمّ وأذى، ووصلت إلى كلّ سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمّض عين نفسه ومضى لسبيله (٢).

وفي عيون أخبار الرضا: سئل الامام الصادق (عليه السلام) عن الموت فقال (للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّهُ عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدّ! قيل: فإن قوماً يقولون: إنه أشدّ من نشرٍ بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قُطب الأرحية على

(١) معاني الاخبار: ٢٩٠ ح ٨

(٢) معاني الاخبار: ٢٩٠ ح ٩

الأحداق! قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين...<sup>(١)</sup> .

وخير نموذج لمن فهم حقيقة الموت وسعادة من لاقاه في سبيل الله تعالى أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته حيث كانوا يتسابقون إلى ساحة المعركة لنيل الشهادة بين يدي الامام الحسين (عليه السلام)

قومٌ إذا نُودُوا لِدَفْعِ مُلْمَمةٍ والخيلُ بين مُدْعَسٍ ومُكْرَدَسٍ  
كَبَسُوا القُلُوبَ على الدروعِ وأقبلوا يَتَهافتون على ذَهَابِ الأنفُسِ  
ومن كلام علي الأكبر مع أبيه الحسين (عليه السلام) لما نعى نفسه واسترجع في طريقه إلى كربلاء (يا أبتِ لا اراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبتِ إذن لا نبالي نموت محقين. فقال (عليه السلام) له: جزاك الله من ولدٍ خير ما جرى ولداً عن والده)<sup>(٢)</sup> .

وكان أصحاب الامام (عليه السلام) فرحين مستبشرين تعلقو وجوههم بالبتسامة ويتمازحون بينهم قبل نزولهم إلى الميدان فقال أحدهم لبرير (دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل! فقال له برير: والله، لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لاقون، والله أن بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم)<sup>(٣)</sup> .

(١) عيون أخبار الرضا: ٩/٢٧٤/١

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠٧ / ٥، الكامل: ٥٥٥/٢، مقاتل الطالبين: ١١٢، الارشاد: ٨٢/٢، سير اعلام النبلاء:

٢٩٨/٣ وغيرها.

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١١٥.

(ادفع بالتي هي أحسن السيئة)<sup>(١)</sup>

## (المؤمنون: ٩٦)

من أخلاق الإسلام التي حثت عليها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة العفو والصفح عمّن اساء اليك وظلمك وجرح مشاعرك وأن تقابل هذه السيئة بالحسنة، وقد بلغت الآيات بالعشرات والأحاديث بالمئات، ومنها قوله تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: ٣٤-٣٥) وقال تعالى (وَيَذَرُونَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) (الرعد: ٢٢) وقال تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) (المؤمنون: ٩٦).

وتصرح الآية الأولى أن من ثمرات هذا الخلق الكريم راحة النفس وشفاء البال وانتشار المودة والمحبة بين الناس بحيث نستطيع تحويل العدو إلى صديق حميم بهذه الاخلاق.

وقد جعلته الآية الثانية علامة مميزة لأولي الالباب الذين لهم مقام محمود عند الله تعالى.

ولما ابتعد المجتمع الإسلامي عن هذه الاخلاق رجع امره الى التشتت

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع وفد ملتقى العلم والدين ووفد مؤسسة فيض الزهراء (عليها السلام) يوم السبت ٢٠١٨/١٢/٢٢ الموافق ١٤/ ربيع الثاني / ١٤٤٠.



والتنازع والفرقة والاختلاف إلى حد الاقتتال وازهاق الأرواح، فإن هذه النزاعات كان يمكن نزع فتيلها والقضاء عليها من أول الأمر بالعفو عن الإساءة ومقابلة السيئة بالحسنة.

إن هذه الاخلاق الإسلامية هي أساس ما يعرف اليوم بعلم التنمية البشرية وعلم الانثروبولوجي وفن العلاقات الإنسانية.

وفي الحقيقة فإن عنوان مقابلة السيئة بالحسنة له مظاهر عديدة في العلاقات الاجتماعية، ويتحلل إلى اشكال عديدة من السلوك الإنساني، ففي كتاب الكافي بسند صحيح عن الامام الصادق (عليه السلام) (قال رسول الله ﷺ) في خطبته الا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة، العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والإحسان إلى من اساء اليك وإعطاء من حرمك<sup>(١)</sup>.

فهذه الأنماط الأربعة من السلوك كلها داخلة تحت هذا العنوان، وفي الكافي أيضاً بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال (سمعتة يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي منادٍ أين أهل الفضل قال فيقوم عنق - أي جماعة - من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كُنّا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة)<sup>(٢)</sup>.

تصوروا أي منزلة رفيعة يحظى بها أهل هذا الخلق الكريم حيث ينادون من

(١) أصول الكافي: ١٠٧/٢ باب العفو ح ١

(٢) أصول الكافي: ١٠٧/٢ باب العفو ح ٢

بين مليارات البشر من الأولين والآخرين ثم يكرمون امام الملاء العام الواسع بما يسرهم وفي ذلك اعلان عن أهمية هذا الخلق.

قد تقول ان الآخر لا يفهم هذه الاخلاق ولا يتجاوب معها مما يدفعني إلى مقاطعته، لكن الامام الباقر (عليه السلام) يحمل المظلوم مسؤولية القطيعة كما يحملها الظالم في تأكيد عجيب على هذه الاخلاق، روي عن الامام الباقر (عليه السلام) (ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث - أي ثلاثة أيام - الا وبرئت منهما في الثالثة فيقل له: يا بن رسول الله، هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: انا الظالم حتى يصطلحا)<sup>(١)</sup>.

إن حمل النفس على هذه الاخلاق يتطلب شجاعة ومجاهدة للنفس عظيمة وهذا مما لا ريب فيه لذا سُمي (الجهاد الأكبر) ولكنه مع العزم والتوكل على الله تعالى والوعي بعواقب الأمور ييسر الأمر، ومن الأمور التي تستحضرها لتقوي عزيمتك ما رواه الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (قال عيسى بن مريم ليحيى بن زكريا (عليه السلام) اذا قيل فيك ما فيك فاعلم أنه ذنب ذكرته فاستغفر الله منه وإن قيل فيك ما ليس فيك فاعلم انه حسنة كتبت لك لم تتعب فيها)<sup>(٢)</sup>. لأن الأمر لا يخلو من إحدى الحالتين وفي كليهما يكون الخير لك.

وان كان المفروض بنا كمسلمين أن نسلم لما يريد الله تعالى فوراً بلا كلام

(١) بحار الأنوار: ١٨٨/٧٥ ح ١٠

(٢) أمالي الصدوق: ٤١٤، المجلسي ٧٧ ح ٨

وعدم الاحتياج إلى مزيد من الكلام لتحصيل القناعة بما يريد الله تعالى.  
ويتأكد هذا الخلق بين الأقرباء والأرحام، عن عبد الله بن سنان قال (قلت لأبي عبد الله عليه السلام): إن لي ابن عم أصله فيقطعني، حتى هممت لقطيعته إياي أن اقطعه قال: إنك إذا وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً وإن قطعته وقطعك قطعك الله جميعاً<sup>(١)</sup>).

وعن الإمام الصادق عليه السلام وقد جاءه رجل يشكو إقاربه فقال عليه السلام (اكظم غيظك وافعل، فقال: انهم يفعلون ويفعلون، فقال: أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله اليك)<sup>(٢)</sup>.

وتبين الرواية التالية النكال والعقوبة القاسية التي تحل بمن يقابل الحسنة بالسيئة من ذوي الأرحام فقد روى الكشي في رجاله بسنده عن علي بن جعفر بن محمد أن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام شاء أن يستأذن عمه أبا الحسن موسى عليه السلام في الخروج إلى العراق قال: فأذن له، فقام محمد بن إسماعيل فقال: يا عم أحب أن توصيني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي - أي لا تنقل إلى هارون العباسي كلاماً عني يؤدي إلى قتلي - فقال: لعن الله من يسعى في دمك، ثم قال: يا عم أوصني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، قال: ثم ناوله أبو الحسن عليه السلام صرة فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مئة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه أخرى فيها مئة وخمسون ديناراً

(١) الوسائل: ١٥ / ٢٤٧ عن أصول الكافي.

(٢) الوسائل ٨ / ٣٩٣ عن أصول الكافي/٤٦٩

فقبضها، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده؛ فقلت له في ذلك: ولاستكثرته، فقال: هذا ليكون أوكد لحجتي عليه إذا قطعني ووصلته، ثم ذكر انه سعى بعمه الى الرشيد وانه يدعي الخلافة ويجيء له الخراج، فامر له بمئة الف درهم ومات في تلك الليلة.

فاذا أردنا صفاء البال وراحة النفس والسعادة وبناء المجتمع المتماسك المتحد المتحابب في الدنيا وضمان الفوز بالدرجات الرفيعة في الاخرة فلنتزم بهذه الاخلاق الكريمة.

(وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا  
تَنْصَرُونَ) (الزمر: ٥٤)

السيدة الزهراء (عليها السلام) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى والانقياد له<sup>(١)</sup>

هذه وصية من ربكم أوصلها إليكم من خلال رسالته العظيمة إلى الناس، أعني القرآن الكريم وهو مليء بالموعظة لأنه كتاب هداية وصلاح وحياة للقلوب والموعظة أهم ادواتها، ومنها هذه الآيات الكريمة في سورة الزمر الحافلة بهذه المواعظ وهي تحذّر من عاقبة الأفعال السيئة. وتتضمن الوصية حركتين:

الأولى: قوله تعالى (وَأَنْبِئُوا) أي ارجعوا عن ذنوبكم واخطائكم وغيروا طريقة حياتكم البعيدة عن الله تعالى ولا تغرّركم الحياة الدنيا بشهواتها واطماعها وزخارفها فأنها كلها أوهام زائلة، وعودوا (إِلَىٰ رَبِّكُمْ) واختيار هذا الوصف للتذكير بصفة الربوبية والرعاية والتربية والتنشئة من عالم إلى عالم ومن حال إلى حال.

وباب التوبة هذه والرجوع إلى الله تعالى مفتوحة لكل أحد مهما عظم ذنبه وقد أطلقت الآية السابقة هذه الحقيقة لتفتح الباب على مصراعيه امام الجميع (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف قبل انطلاق التشيع الرمزي في ذكرى شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم السبت ٣/٢/١٤٤٠ المصادف ٢٠١٩/٢/٩.

جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣) فهذه الانابة والتوبة هي الخطوة الأولى وهي ممهدة للتالية.

الثانية: (وَأَسْلِمُوا لَهُ) أي اطيعوا ربكم وانقادوا لأحكامه ولا تجعلوا لغيره نصيباً في قلوبكم ولا تأثير لغيره في افعالكم سواء كان هذا الغير الذي تطيعونه وتتبعونه هي انانيتكم وأهواءكم واطماعكم أو اعرافكم الاجتماعية أو العشائرية أو الرموز التي تتبعونها أو الجماعات والأحزاب التي تنتمون اليها وغير ذلك.

هاتان الخطوتان تضمنان لكم السعادة والفوز والنجاة من عذاب معصية الله تعالى والتمرد على طاعته والابتعاد عن دينه فبادورا اليهما الآن وفي هذه اللحظة لأن المستقبل غير مضمون والموت يأتي بغتة وبشكل مفاجئ ولا يعلم وقته الا الله تعالى.

(من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ) لأن الانسان اذا لم يتدارك أمره ويعود إلى ربه فانه قد حكم على نفسه بالشقاء والتعاسة وعندما يموت يغلق عليه باب العمل، ويحرم من الفرص الكثيرة التي اتاحها الله تعالى له.

(ثُمَّ لَأَنْتَصِرُونَ) لا ينصركم شيء مما كرستم له حياتكم من مال أو أولاد أو منصب أو جاه أو اتباع أو غير ذلك (وَنَقَطْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (البقرة: ١٦٦).

ولا ينفع الندم وتمني العودة والرجوع (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) (الفرقان: ٢٧) من وصية النبي (ﷺ) لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) (يا أبا ذر اغتتم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل

موتك<sup>(١)</sup> ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) في المبادرة إلى التوبة والعمل الصالح (أيها الناس! الآن الآن ما دام الوثاق مطلقاً - أي الحياة وفرصة العمل موجودة - والسراج منيراً، وباب التوبة مفتوحاً، من قبل أن يجفّ القلم وتطوى الصحف، فلا رزق ينزل، ولا عمل يصعد، المضممار اليوم والسباق غداً وانكم لا تدرّون إلى جنة أو إلى نار!!! وأستغفر الله لي ولكم)<sup>(٢)</sup>.

ثم تبين الآية التالية ما أجملته الآية السابقة (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) (الزمر: ٥٥) وهو هذا القرآن العظيم الذي فيه تبيان كل شيء فعليكم العمل به وتدبر معانيه واتخاذها هادياً ومرشداً وقائداً ولكن عقولنا تقصر عن الإحاطة بتفاصيله فيأتي دور كلام المعصومين (عليهم السلام) في بيانه.

وتتكرر المطالبة بالمبادرة والمسارة واغتنام الفرصة قبل فواتها (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الزمر: ٥٥) فإن باب التوبة قد يغلق (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) (غافر: ٨٥).

وحينئذ لا ينفع الندم ولا الحسرة ولا التأسف لأن هذه الحقيقة قد بينها الله تعالى للناس وحذرهم منها فلا عذر لهم (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) (الزمر: ٥٦) في كل ما يرتبط بالله تعالى من دين وأئمة وقادة هداة، وسيندم على استخفافه واستهزائه بهذا كله (وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَنِ السَّخِرِينَ) (الزمر: ٥٦) فقد كان يسخر ممن يدعو إلى الله تعالى ويسخف كلامه ويتهم دعوته بأنواع

(١) مكارم الاخلاق للطبرسي: ٦٢٦

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٨٦

الأوصاف المنفرة، فإذا طلبت منهم، إقامة شريعة الله تعالى والالتزام بقوانينها عارضوك ووصفوها بأنها رجعية وتخلف أو أن الوقت غير مناسب لتطبيقها، لاحظوا معي هذا المشهد لهم يوم القيامة (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنعام: ٢٧).

فكل إعراض عن الشريعة وصدُّ عنها وعن العمل بها هو تفريط في جنب الله تعالى، وكل نكران لنبوة النبي (ﷺ) وإمامة آله الكرام هو تفريط في جنب الله ففي الكافي بسنده عن موسى بن جعفر (عليه السلام) (جنب الله أمير المؤمنين) (١)، وفي بصائر الدرجات عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول (أنا عين الله، وأنا جنب الله، وأنا يد الله، وأنا باب الله) (٢) وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال (انا شجرة من جنب الله فمن وصلنا وصله الله) (٣) وفي المناقب بسنده عن ابي ذر في خبر عن النبي (ﷺ) (يا ابي ذر يؤتى بجاحد علي يوم القيامة أعمى أبكم يتككب في ظلمات يوم القيامة ينادي (يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) وفي عنقه طوق من نار) (٤).

فالله تعالى يدعوننا دائماً إلى تذكّر هذه الحقائق ونحن في هذه الدنيا لنستطيع معالجة الخلل وتدارك التقصير قبل فوات الأوان، ورد في الحديث عن النبي (ﷺ) (أكثروا من ذكر هادم اللذات، فأنكم إن كنتم في ضيق وسعه

(١) الكافي: ج ١ ص ١٤٥

(٢) بصائر الدرجات: ١٩

(٣) بصائر الدرجات: ١٩

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٦٤



عليكم فرضيتم به فأثبتتم، وإن كنتم في غنى بغضه اليكم فجدتم به - أي أنفقتم منه - فأجرتهم، ألا إن المنايا قاطعات الآمال، والليالي مدنيات الآجال، وإن المرء عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما قدّم وقلة غنى ما خلف، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه<sup>(١)</sup>.

إن هذه الآيات الكريمة فيها قانون عظيم لإصلاح المجتمع بفتحته باب العودة إلى الصواب والاندماج في المجتمع من جديد مهما كان خطؤه عظيماً، لأن كثيراً ممن يرتكبون مثل هذه الأخطاء يفقدون الأمل ويظنون أن باب التوبة اغلق في وجوههم فيقدمون على الانتحار للتخلص من آلام تأنيب الضمير أو يندفعون نحو الجريمة أكثر لإسكات صوت الضمير وإماتته، وما يريد الله تعالى من الإنسان اعترافه بخطئه ورجوعه عنه إلى طاعة الله تعالى، وسيقبله ويمحو ما سبق منه.

أيها المؤمنون الموالون للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ)

لقد ارادت السيدة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بقيامها المبارك أن تعيد الأمة إلى رشدها وأن تعمل بهذه الوصية من ربها لأنهم ارتكبوا اثماً عظيماً بانقلابهم على اعقابهم ومخالفتهم لنبئهم وعصيانهم لإمامهم وأسسوا خطأ باطلاً منحرفاً ويزيد ابتعاده عن الحق كلما مرّ عليه الزمن، تأملوا في قولها سلام الله عليها (و كيف بكم واني تؤفكون وكتاب الله بين اظهركم، اموره ظاهرة واحكامه زاهرة واعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة، وقد خلقتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه

تريدون؟ ام بغيره تحكمون؟ بس للظالمين بدلا (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥) (أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟) <sup>(١)</sup>.

وتذكر الأمة بأن الانابة إلى الله تعالى والإسلام له يتحققان بطاعة ولي الأمر الذي فرض الله طاعته، قالت (عَلَيْهَا) (أما والله لو تركوا الحق على أهله، واتبعوا عتره نبيّه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف، حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين (عَلَيْهَا).. ولكن قدموا من آخره الله، وأخروا من قدمه الله، حتى إذا أُلحدوا المبعوث — أي دفنوا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأودعوه الجذث المجدوث، اختاروا بشهوتهم وعملوا بآرائهم، تبا لهم! أولم يسمعوا الله يقول (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (القصص: ٦٨) بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦) هيهات! بسطوا في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم فتعسأ لهم وأضل أعمالهم، أعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور) <sup>(٢)</sup>.

### أيها الأحبّة :

لا يمكن ان يجتمع حب فاطمة ومولاتها وطلب شفاعتها مع ما انحدر اليه المجتمع من مفسد وانحراف وانحلال بلغ مديات غير معقولة من فساد مالي

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٣١/١

(٢) موسوعة المصطفى والعتره للشاكري: ٣٦٢/٤، عن عوالم المعارف: ٢٢٨/١١، والحور بعد الكور

أي نقصان بعد الزيادة.

تحوّل إلى ثقافة عامة فأدى إلى تخريب مؤسسات الدولة وشمل حتى الخدمات الحيوية كالصحة والتعليم والقضاء والأمن ومن تجارة للمخدرات وادمان عليها إلى احتفالات الفسق والفجور إلى العلاقة المشبوهة بين الجنسين مما أدى إلى كثرة حالات الطلاق والانتحار، وازدادت الصراعات العشائرية التي تخلّف ضحايا وخسائر بالأموال وتغذيها أحياناً بعض الأحزاب المتنفذة للحفاظ على مصالحها الشخصية، وانتشرت الملاهي ومحلات بيع الخمر بشكل غير مسبوق وأصبحت متاحة حتى للصبيان وتمارس عملها بشكل علني وبحماية السلطة وبعض الجهات المتنفذة، والتشكيك في العقائد الحقة والثابتة بل الاستهزاء بها والدعوات إلى نبذها أصبحت علنية بلا حياء ولا مراعاة لمقدسات المجتمع وحرماته.

هل من المعقول أن يحصل كل هذا على أرض ضمت الأجساد الطاهرة لأمر المؤمنين والحسين والكاظمين والعسكريين (عليهم السلام) وفي ظل حكومات يتسيدها الإسلاميون وتدعي الالتزام بتوجيهات المرجعية الدينية؟

وهل يمكن أن نرجو شفاة الزهراء (عليها السلام) ونعدّ أنفسنا من شيعتها الذين تلتقطهم يوم المحشر لتشفع لهم، ونحن نرى كل هذا الظلم والانحراف ولا نتحرك بالشكل الكافي لمواجهته. روى الشيخ الطوسي في مجالسه بسنده قال (كان يقال: لا يحل لعين مؤمنة ترى الله يُعصى فتطرف حتى تغيّره)<sup>(١)</sup>.

وقد جعلت سلام الله عليها معياراً لمن يستحق عنوان شيعة فاطمة قالت

(١) وسائل الشيعة: ١٦ / ١٢٥ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ١ ح ٢٥

(عَلَيْهِمَا) (إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من شيعتنا) (١) .  
 ان الله تعالى يستنهض عباده المؤمنين خصوصاً النخبة العاملة الرسالية  
 الواعية للدفاع عن المحرومين والمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة الا بالله  
 العلي العظيم (٢) ويدعوهم الى التحرك لإنقاذ إخوانهم من ضعف الايمان والعقيدة  
 والجاهلين بأحكام الشريعة فيرفعون عنهم الشبهات والشكوك ويعلمونهم الاحكام  
 الدينية ويطلعونهم على سيرة المعصومين (عَلَيْهِمَا) وأخلاقهم وتعاليمهم وليغيرون  
 الظلم والفساد، قال تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤).

كما يستنهضهم لدفع الظلم والحرمان والاضطهاد عن المؤمنين الذين لا  
 حول لهم ولا قوة فيطلبون النجدة من إخوانهم (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ  
 الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)  
 (النساء: ٧٥).

ويستنكر في أحاديث شريفة على المتقاعسين عن هذه الواجبات كالحديث  
 المروي عن الامامين الباقر والصادق (عَلَيْهِمَا) (ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر

(١) بحار الأنوار: ١٥٥/٦٨

(٢) راجع خطاب تفسير قوله تعالى (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ  
 وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا  
 وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء: ٧٥)

بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup> وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال (بئس القوم قوم يعيرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)<sup>(٢)</sup> وروي الامام الرضا (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (إذا أمتي تواكلت - أي اتكل بعضهم على بعض فتركوا فريضته - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله)<sup>(٣)</sup>.

### أيها الأخوة والاخوات

إذن نحن بحاجة إلى أن نحيي في أنفسنا هذه الغيرة الفاطمية ونستمد من القيام الفاطمي العزم والقوة للتحرك في جميع الساحات وبكل الوسائل الفاعلة والمؤثرة للعمل بما أمرت به هذه الآية الشريفة أداءً لرسالة الصلاح ولمكافحة الفساد والانحراف والضلال والظلم أسوة بالأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) و٢٣- وسائل الشيعة: ١٦ / ١١١-١١٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب ١.

## (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ) امرأة فرعون أسوة حسنة للرجال والنساء<sup>(١)</sup>

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (التحریم: ١١).

مثل يضربه الله تعالى ليتأسى به (الَّذِينَ آمَنُوا) جميعاً في جميع الأجيال رجالاً ونساءً وليس النساء فقط وليأخذوا منه الدروس والعبر وهكذا كل الأمثال والقصص فليست هي للتسلية ولا لقضاء أوقات الفراغ قال تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: ٢١).

وهذا المثل شاهد على ما يمكن أن تصل إليه المرأة من مكانة سامية بحيث تصبح مثلاً وقُدوة لجميع المؤمنين، انها امرأة فرعون التي ذكرت الروايات أن اسمها آسية.

وقدّم الله تعالى الآية التي تذكرها على الآية التي تذكر المثل الآخر وهي مريم ابنة عمران ربما لامتياز في آسية وهي انها عاشت في بيت كافر بل في قمة الكفر والتحدي لله تعالى حيث يزعم فرعون أنه ربهم الأعلى فاختيارها الايمان

(١) كلمة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد البعقوبي (دام ظله) مع إدارة ملتقى العلم والدين

النسوي في النجف والمحافظات يوم الخميس ٨ جمادى ثاني / ١٤٤٠ الموافق ١٤ / ٢ / ٢٠١٩.

كان على خلاف العادة وفيه مشقة كبيرة ومجاهدة عظيمة اما مريم فقد ولدت في بيئة سالحة وهم آل عمران الذين اصطفاهم الله تعالى وكانوا يقولون لمريم (عَلَيْهَا) (يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْيًّا) (مريم: ٢٨) ونشأت برعاية نبي (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (آل عمران: ٣٧) فسموها وكمالها يكون منسجماً مع تلك الظروف.

إن امرأة فرعون سجّلت موقفاً نادراً يصعب تصوره ويذهل المتأمل فيه فقد كانت زوجة فرعون مصر والسيدة الأولى في الإمبراطورية الفرعونية التي تنفذ كل رغباتها بلا مناقشة ولها مكائنها العظيمة في قلب فرعون وكانت تتقلب في حياة الترف والنعيم في قصور فرعون الباهرة مما تحلم به أي امرأة، وفي تلك الأبهة التي اشير الى بعض جوانبها في القرآن الكريم على لسان فرعون (وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ) (الزخرف: ٥١-٥٣). وكان أيضاً في قمة الطغيان والجبروت بحيث ينهار أمامه أشرس الأبطال الشجعان.

وإذا بهذه المرأة تتنازل عن ذلك النعيم كله وتواجه ذلك الطغيان كله وتتحول إلى صف المؤمنين بموسى (عَلَيْهِ) لما سمعت دعوته إلى الله تبارك وتعالى ورأت آياته المعجزة في مواجهته مع السحرة وهي تعرف قبل ذلك صدق موسى (عَلَيْهِ) واستقامته وسمو اخلاقه عندما تبنته طفلاً رضيعاً لما وضعت أمه في تابوت وألقته في اليم (فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) (القصص: ٨) وطلبت من فرعون أن يبقى على حياته (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكَلْدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (القصص: ٩)، روى الشيخ الصدوق في كتابه الخصال بسنده عن جابر بن عبدالله قال (قال رسول الله ﷺ) ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات انها كانت من بني إسرائيل وهي من خيار النساء من بنات الأنبياء وكانت أما للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم<sup>(٢)</sup>.

وقد أخفت إيمانها في البداية لكن هذا التغير في حياتها وسلوكها لم يكن ليخفى على زوجها اللصيق بها فرعون فعلم بذلك وطلب منها الرجوع إلى كفرها فرفضت ثم تعرضت للضغط الاجتماعي حيث ابتداءً بأمرها لتستعمل العاطفة لإرجاعها إلى دين فرعون، ثم حذروها من خسارتها لكل هذه الحياة المترفة في قصر فرعون ومن بطشه وعذابه فلم يفلحوا معها ثم وصفوها بالجنون واستهزؤا بقرارها وسخروا من هذا الانقلاب في حياتها وتفضيلها وعوداً غيبية مؤجلة يقدمها النبي موسى (عليه السلام) على نعيم عظيم حاضر تتمتع به لكنها أصرت على الإيمان فهددها فرعون بتعذيب غير مسبوق فلم تراجع حتى نفذ تهديده ليثبت بذلك هزيمة الطواغيت والفراعنة بكل جبروتهم امام ثبات وإصرار امرأة على الحق.

وروى الطبرسي ان فرعون أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس ثم أمر أن يلقي عليها صخرة عظيمة وروى انها كانت ترمق السماء وتدعو

(١) الخصال: ١٧٤، باب ٣ ح ٢٣٠

(٢) بحار الأنوار: ١٦/١٣



بما ذكرته الآية الشريفة فمرّ عليها موسى (ﷺ) فدعا لها أن يخفف عنها فلم تجد للعذاب أثراً وأوحى الله تعالى إليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون التي بها تضحك وهي في العذاب<sup>(١)</sup>.

فلا عجب أن تشني عليها الأحاديث الشريفة وتذكر درجاتها في الجنة رابعة أربعة مع فضليات نساء الدنيا فاطمة الزهراء (ﷺ) وخديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران<sup>(٢)</sup>.

ان دعاءها الذي ذكرته يكشف عن كمال معرفتها وسمو ذاتها لخصت فيه هدفها في الحياة والغرض الذي ضحّت من أجله فقد بدأت بقولها (ربّ) للاعتراف بين يدي الله تعالى بالتربية الإلهية الخاصة التي حظيت بها وترجو أن يديمها ربها عليها وطلبت أن ينجيها الله تعالى من مكائد فرعون وضغوطه وفتنته وأن لا تكون جزءاً من نظامه الفاسد (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) (القصص: ١٧) لأنها رافضة لكفره ولسلوكة الشيطاني ومن كل أعمال المجتمع الفرعوني الغارق بالكفر والمعاصي، وتوجهت بقلبها وعقلها إلى ما عند الله تبارك وتعالى وزهدت بنعيم فرعون الذي فيه ما تشتهيه الأنفس وتهفو إليه القلوب بما يفوق التصور لكنها ادركت ببصيرتها أنه متاع دنيوي زائل ولم تكنف بطلب بيت في الجنة الذي فيه عوض عما زهدت به في الدنيا بل أن يكون هذا

(١) بحار الأنوار: ١٣: ١٦٤-١٦٥

(٢) الخصال: ٢٠٥- ٢٠٦ باب ٤ ح ٢٢، ٢٣

البيت عند الله تعالى وهي ما ارادت بالعندية عندية المكان لأن الله تعالى لا يحدّه مكان وإنما ارادت عندية المكانة في جواره وقربه تعالى وفي ذلك كرامة معنوية فائقة.

وهي بذلك تضرب مثلاً سامياً في قوة الإرادة والثبات على الايمان والإخلاص في العبودية لله تعالى والتنزّه عن زخارف الدنيا الوهمية حيث كانت ترى قصر فرعون والدنيا عموماً سجنًا تضيق نفسها بالحياة فيه فتطلعت إلى بيت تبنيه الإرادة الإلهية بدون واسطة حتى الملائكة.

إننا بحاجة ماسة إلى احياء ذكر هذه القمم لنزيد من همتنا في طاعة الله تعالى ومن مقاومتنا لكل مشاريع الفساد والانحلال والابتعاد عن الله تعالى مهما كانت الاغراءات أو الضغوط حتى تصبح هذه الظواهر المنحرفة التي تحصل هنا وهناك كالذي تقوم به بعض النساء في احتفالات الاعراس او على صفحات التواصل الاجتماعي او العلاقات المشبوهة ونحو ذلك تصبح ممقوتة ومثيرة للاشمئزاز فضلاً عن التأثر بها والانسياق معها.

وهذه المرأة العظيمة حجة علينا جميعاً لأننا مهما تعرضنا لإغراءات الدنيا فهي دون ما كان متاحاً لامرأة فرعون وطوع ارادتها ومهما تعرضنا لضغوط وتهديدات فهي دون ما لاقت (رضوان الله تعالى عليها) وماتت تحت تعذيب ومع ذلك فقد صمدت وثبتت وازدادت سموً وإخلاقاً حتى لاقت ربها وماتت تحت التعذيب شهيدة راضية مرضية، فما هو عذرنا وما هي مبرراتنا إن ضعفنا أو قصرنا.

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا  
مَّحْمُودًا) (الإسراء: ٧٩)  
صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل  
المقامات الرفيعة<sup>(١)</sup>

(وَمِنَ اللَّيْلِ) يمكن أن تكون (من) بيانية باعتبار أن النهار من شأنه النشاط والحركة فلا يحتاج العمل فيه إلى بيان، أما الليل فهو للنوم والسكون فالعمل فيه يحتاج إلى توجيه، ويمكن أن تكون تبعية أي بعض الليل، والتبعيض يمكن أن يستفاد من الباء، وقد حددت آيات المزمّل هذا البعض، قال تعالى (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمّل: ٢-٤).  
(فَتَهَجَّدْ) الهجود هو النوم ومعنى تهجد أي قاوم النوم وتكلف اليقظة كالتمريض الذي يعني معالجة المرض.

(نَافِلَةً لَكَ) تكليفاً زائداً خاصاً بك يا رسول الله (ﷺ) حيث ان قيام الليل واجب عليه خاصة (عَسَى) ترجى وأمل بأن يبلغ به المقام المحمود مقام الرسالة العظمى والولاية الكبرى وإظهار دينه على الدين كله والشفاعة الواسعة المقبولة وتفضيله على الخلق أجمعين، ولا داعي للاقتصار على أحدها في تفسير المقام المحمود.

(١) كلمة القيت في مدرسة الابرار للعلوم الدينية في النجف الأشرف على طلبة المدرسة ومدرسة

اعلام الهدية بحضور إدارة المدرستين يوم الثلاثاء ٢٧ / جمادى الآخرة / ١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٣/٥

واستعمال صيغة الترجي وليس صيغة الجزم والقطع مع ان إرادة الله تعالى اذا تعلقت بأمر فإنما (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس:٨٢) لعل ذلك لإحداث المزيد من الرغبة والعزم، كالذي ورد في تفسير قوله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:٤٤) لحن النبي موسى وأخيه هارون (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) على بذل الوسع في دعوة فرعون إلى الايمان والتوحيد، والله تعالى يعلم أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى.

وقد بيّنت آيات سورة المزمّل المتقدمة ان قيام الليل يهيئ لإداء الأدوار الكبيرة وتحمل المسؤوليات العظيمة، وتمتها (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا \* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) (المزمّل:٥-٦) سنوحى اليك قولاً يحمل مسؤولية عظيمة وفيه معاني عميقة وثقيل في آثاره ونتائجه وثقيل في ما يسببه لمن يصدع به من مصاعب ومشاق (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف:٢) فلكي تتحمل هذه الاثقال استعن بناشئة الليل أي العبادة التي تنشئها في الليل لأنها أصعب مراساً وأشد على النفس وأثبت لها وأصدق في الأداء وادعى لحضور القلب لانقطاع الشواغل، في الرواية عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (يعني بقوله: وَأَقْوَمُ قِيلاً: قيام الرجل عن فراشه يريد به الله عزوجل ولا يريد به غيره)<sup>(١)</sup> لذا فإنها تكون أحسن انتاجاً وتحقيقاً للغرض وهذه حقيقة ثابتة فان العظماء الذين بلغوا ما بلغوا من مقامات كانت علامتهم المميزة مواظبتهم على قيام الليل، فاذا كنتم من الساعين لليل تلك المقامات – وحرى بكل عاقل أن

(١) وسائل الشيعة: ٢٦٩/٥ أبواب بقية الصلوات المندوبة، باب ٣٩ ح ٥.

يكون كذلك – فأعدوا أنفسكم بهذه الرياضة المعنوية لتساعدكم على نيل الخصال الكريمة.

لذا تضمنت الوصايا التي قدمها رسول الله (ﷺ) لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يُعده لخلافته العظمى تركيزاً على صلاة الليل، عن الامام الصادق (عليه السلام) (كان في وصية النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) أن قال: يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال: اللهم أعنه.... – إلى ان قال – وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل)<sup>(١)</sup>.

ومن سننه (ﷺ) أنه كان يفرق صلاة الليل على اجزائه ليكون في جميع وقته مستأنساً بقاء ربه ففي التهذيب بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: وذكر صلاة النبي (ﷺ) قال: كان يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله، فإذا استيقظ جلس، ثم قلب بصره في السماء ثم تلا الآيات من آل عمران " إن في خلق السماوات والأرض " (٢) الآيات، ثم يستن ويتطهر، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءة ركوعه وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتى يقال: متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال: متى يرفع رأسه، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران، ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد ويصلي الأربع ركعات كما ركع قبل ذلك،

(١) رواها في وسائل الشيعة عن المشايخ الثقات في اصولهم في عدة مواضع منها في كتاب الصلاة،

أبواب بقية الصلوات المندوبة، باب ٣٩ ح ١.

(٢) الآية ١٩٠ من السورة وما بعدها.

ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ ويجلس ويتلو الآيات من آل عمران ويقرب بصره في السماء، ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين، ثم يخرج إلى الصلاة<sup>(١)</sup> ورواه الكليني في الكافي بسند صحيح عن الحلبي عن ابي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفيه (ثم قال: لقد كان لكم في رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أسوة حسنة، قلت: متى كان يقوم؟ قال: بعد ثلث الليل)<sup>(٢)</sup> وفيه قال: في حديث آخر: (بعد نصف الليل)<sup>(٣)</sup>.

وقد اختصر الحديث المروي عن الامام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هذه الأهمية بقوله (الوصول إلى الله تعالى سفر لا يدرك الا بامتطاء الليل)<sup>(٤)</sup> أي ان الاعمال الصالحة الموصلة إلى الله تعالى لا بد ان تُتَوَجَّح بصلاة الليل لتوصل إلى الهدف.

وهذا الحديث له دلالات عديدة منها أن الوصول إلى الله تعالى ممكن ولكنه يحتاج إلى حركة وسلوك وقطع مسافة بما يتطلب ذلك من جهد وجهاد، وأنه يحتاج إلى مراكب ليقطع به الطريق وهي صلاة الليل، وأن يترك كل شيء مما يتعلق به قلبه وراءه كالمسافر الذي يهجر وطنه وداره وأهله وولده وماله

(١) وسائل الشيعة: ١٩٥/٣ ح ١، التهذيب: ٣٣٤/٢ ح ١٣٧٧

(٢) وهذا مما يُستدل به على أن وقت صلاة الليل يبدأ قبل منتصف الليل بعد مضي ثلثه، ومما يدلّ على ذلك آيات سورة المزمل الماضية فان فيها (نصفه، أو زد عليه) والزيادة على النصف تعني القيام قبل منتصف الليل.

(٣) وسائل الشيعة: ١٩٦/٣ ح ٢، الكافي: ٤٤٥/٣ ح ١٣

(٤) بحار الأنوار: ٣٧٩/٧٨، مسند الامام العسكري: ٣٧٩، الأنوار البهية للمحدث القمي: ١٦١.

ومنصبه وجاهه وعلاقاته وسائر تعلقاته.

ويفيد الحديث أيضاً أن الصلوات المفروضة قد لا يكفي اتخاذها وسيلة لقطع هذا السفر ولا بد من امتطاء صلاة الليل معها ليتحقق الوصول إلى الهدف بإذن الله تعالى وإن الصلاة بشكل عام هي أداة هذا العروج إلى الله تعالى ولعل هذه المعاني منشأ الكلمة المشهورة على ألسنة العلماء (الصلاة معراج المؤمن)<sup>(١)</sup> فهذه كلها معاني يمكن استفادتها بوضوح من الحديث الشريف.

ومن تشبيه صلاة الليل وعموم الطاعات بالسفر إلى الله تعالى نعرف انها تتعرض لنفس ما يتعرض له المسافر من مخاطر: كالتيه والمزالق والوحوش المفترسة وقطاع الطرق وفقدان الزاد، وهذه المخاطر بوجودها المناسب موجودة لمن يريد السفر إلى الله تبارك وتعالى، فقطاع الطرق هم المتلبسون بالدين الذين يضللون الناس بشبهاتهم، وفقدان الزاد بضياع العمر من دون تقديم عمل صالح (آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر)<sup>(٢)</sup> والوحوش المفترسة هم الذين

(١) قال الشيخ محمد الريشهري في كتاب: الصلاة في الكتاب والسنة - الصفحة ١٥: لا يخفى أن عبارة " الصلاة معراج المؤمن " مع كثرة تداولها على الألسن بحيث صارت من أشهر الكلمات في وصف الصلاة، لم نجد لها مصدراً مسنداً إلى صلى الله عليه وسلم أو الأئمة عليهم السلام، وهذا بعد أن استقصينا كلمات أصحاب الكتب في شتى العلوم ووجدناها في أكثر من ثلاثين موضعاً من عباراتهم، علماً أن كتب السنة كلها وكتب الشيعة جلها إلا ما دون في القرون الأخيرة - كروضة المتقين وبحار الأنوار للمجلسين أعلى الله مقامهما والرواشح السماوية للمحقق الداماد قدس سره - خالية منها، فالظاهر أنها ليست برواية بل من عبارات علمائنا المتأخرين رضوان الله تعالى عليهم.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام ج ٤ - الصفحة ١٧

يزينون الدنيا والشهوات ويوقعون الانسان في المعاصي ليطفئوا في قلبه نور الايمان، ويتحقق التيه بعدم أخذ العلم والمعروفة من أصله ومعدنه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (فان العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعداً من حاجته)<sup>(١)</sup>.

هذا كله من ناحية الارتقاء في سلم الكمال، اما من ناحية الثواب فقد ورد في صلاة الليل فضل عظيم ففي الرواية عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: ١٧) قال (عليه السلام) (ما من عمل حسن يعمله العبد وله ثواب في القرآن الا صلاة الليل، فان الله تعالى لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده، فقال: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: ١٦-١٧)<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث قدسي (ان العبد ليقوم في الليل فيميل به النعاس يميناً وشمالاً وقد وقع ذقنه على صدره فيأمر الله تعالى أبواب السماء فتفتح ثم يقول للملائكة: انظروا إلى عبيدي ما يصيبه في التقرب إليّ بما لم افترض عليه راجياً مني لثلاث خصال: ذنباً أغفره له، أو توبة أجددها له، أو رزقاً أزيده فيه، اشهدوا ملائكتي أني قد جمعتهن له)<sup>(٣)</sup>.

وروى الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال النبي ﷺ) لجبرئيل (عليه السلام):

(١) بحار الأنوار: ٢٠٩/١ ح ١١ عن نهج البلاغة.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٠/٨٧

(٣) وسائل الشيعة: ٢٧٢/٥



عظني: فقال: يا محمد عش ما شئت فانك ميت، وأحب ما شئت فانك مفارقه، واعمل ما شئت فانك ملاقيه، واعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه كفّه عن اعراض الناس<sup>(١)</sup>.

وتوجد روايات كثيرة في الآثار الدينية والدينية المباركة التي تترتب على أداء صلاة الليل بفضل الله تعالى وكرمه.

ولأن صلاة الليل بهذه المنزلة العظيمة فانها لا تنال الا بتوفيق خاص ويحرم منها من ليس أهلاً لها، في الرواية (جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام): إني قد حرمت الصلاة بالليل فقال أمير المؤمنين عليه السلام أنت رجل قيدتك ذنوبك<sup>(٢)</sup>. وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام (إني لأمقتُ الرجل قد قرأ القرن ثم يستيقظ من الليل فلا يقوم، حتى اذا كان الصبح قام يبادر بالصلاة)<sup>(٣)</sup>.

هذا الحب لله تعالى وامتطاء الليل للوصول إليه سبحانه هو الذي أراده الامام الحسين عليه السلام حينما طلب من ابن اسعد تأجيل المعركة من عصر يوم التاسع إلى صبيحة يوم عاشوراء، فقد روي ان عمر بن سعد زحف بجيشه نحو معسكر الامام الحسين عليه السلام عصر يوم التاسع فأرسل أخاه العباس عليه السلام ليستعلم خبرهم فقصدهم في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبیب بن مظاهر فقال لهم العباس عليه السلام (ما بدا لكم، وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم! قال: فلا تعجلوا حتى ارجع إلى أبي عبدالله

(١) وسائل الشيعة: ٢٦٩/٥

(٢) وسائل الشيعة: ٢٧٩/٥

(٣) بحار الأنوار: ١٢٧/٨٣ ح ٧٩

فاعرض عليهم ما ذكرتكم) ثم أتى إلى الامام الحسين (عليه السلام) بما عرض عليه عمر بن سعد قال (ارجع اليهم: فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار) فبات الحسين (عليه السلام) تلك الليلة راکعاً ساجداً باكياً مستغفراً متضرعاً، وبات أصحابه ولهم دوي كدوي النحل<sup>(١)</sup>. جزاهم الله تعالى عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين.

(١) تاريخ الطبري: ٤١٦/٥، الكامل في التاريخ: ٥٥٨/٢، البداية والنهاية: ١٧٦/٨ الارشاد: ٨٩/٢،

مناقب ابن شهر آشوب: ٩٨/٤ مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ٢٥١/١ وغيرها.

## القبس القرآني

١٦٠

## (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (آل عمران: ١٩١) ذكر الله تعالى عند الطاعة والمعصية<sup>(١)</sup>

في ذكرى البعثة النبوية الشريفة نقف عند محطة من حياة رسول الله (ﷺ) وبالخصوص من قيامه في الليل، فقد كانت صلاة الليل واجبة على رسول الله (ﷺ) دون الأمة جميعاً وهذه واحدة من خصوصياته وقد ورد في رواية صحيحة<sup>(٢)</sup> عن الامام الصادق (ع) في كيفية صلاته (ﷺ) في الليل بأنه كان يفرقها على أجزاء الليل ليديم حالة الأنس بربه فيقوم في بعض الليل من نومه ثم يصلي اربع ركعات ثم ينام ويستيقظ من جديد ويصلي اربعاً أخرى ثم ينام ويستيقظ ليصلي الشفع والوتر ونافلة الصبح ثم يخرج لصلاة الفريضة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في تفسير قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ) (الإسراء: ٧٩).

ومحل الشاهد انه (ﷺ) كان كلما يستيقظ من نومه كان يقلب بصره في السماء ويتلو الآيات المباركات في آخر سورة آل عمران من الآية ١٩٠ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) إلى آخر الآيات، وفي الآية التالية (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (آل

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من طلبة جامعة الامام الصادق (ع) في العاصمة الإيرانية طهران يوم الأحد ٢٤ رجب ١٤٤٠ المصادف ٣١ / ٣ /

عمران ١٩١) فأول صفة من صفات اولي الألباب لمن أراد أن يكون منهم هو ذكر الله تعالى على كل حال لأن الانسان لا يخلو حاله من كونه قائماً أو قاعداً أو على جنبه.

إن ذكر الله تعالى على كل حال واستحضار الرقابة الإلهية والشعور بالمسؤولية امامه سبحانه حالة مطلوبة سواء كان الانسان في ظرف معصية أو طاعة.

اما في ظرف المعصية فالأمر واضح لكي يخشى الله تعالى ويستحي من نظره إليه فيجتنبها، فإن الغفلة عن الله تعالى سبب للوقوع في المعاصي والتذكر صمام الأمان منها، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١) مثلاً يكون في مجلس فيتورط الحاضرون بغيبة مؤمن فيتذكر نهي الله تعالى عن الغيبة فيمتنع عن المشاركة معهم وينهاهم عن ذلك وقد يكون العلاج بمغادرة المجلس، أو شاب يتعرض لإغواء من الجنس الآخر فيتذكر ان الله تعالى مطلع عليه وإن الشاهد هو الحكم فيكف عن الانسياق وراء شهوته وهكذا، وكان المعصومون (عليهم السلام) دقيقين في مراقبتهم لأنفسهم وإستحضار الرقابة الإلهية، روي ان الامام السجاد (عليه السلام) التاثت عليه ناقته - أي تباطأت - فرفع القضيب وأشار إليها وقال (لو لا خوف القصاص لفعلت) وفي رواية (آه من القصاص وردَّ يده عنها)<sup>(١)</sup>.

وعند عروض فرصة الطاعة فان الانسان التواق إلى الكمال يذكر الله تعالى

وحثه على المسارعة إلى الخير فيلبي دعوة الله تعالى ويبادر إليها، قال تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة: ١٤٨) وقال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣) وفي الرواية عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَام) (من همَّ بشيء من الخير فليعجله فان كل شيء فيه تأخير فان للشيطان فيه نظرة)<sup>(١)</sup> وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال (كان أبي يقول: اذا هممت بخير فبادر فانك لا تدري ما يحدث)<sup>(٢)</sup>.

والتجربة شاهدة على ذلك فقد يتعرض الانسان لموقف إنساني كمساعدة محتاج أو معالجة مريض ويعزم على المساهمة بمبلغ معين يفي بالحاجة فاذا تأخر في إخراجه فان الشيطان يوسوس له بان هذا المبلغ كبير وعليه ان يوفره لعياله وانه ليدع غيره يساهم في المساعدة ونحو ذلك حتى يثنيه عن عزمه او يقلل مما قرّر سابقاً دفعه.

والأمر الآخر الذي عليه ان يتذكره عند الاقدام على الطاعة هو اخلاص النية في العمل فلا يقدم عليه الا بعد أن ينقي نيته من الرياء وحب السمعة ويختبر نفسه بانه لو لم يعلم احد بما فعل فهل سيتوقف عن العمل أم يتساوى عنده علم الناس وعدم علمهم لأن الله تعالى مُطَّلِعٌ عَلَى الْحَقَائِقِ وَهَذَا كَافٍ. وعليه أن يطهر نفسه من العجب بنفسه والتباهي بما فعل لأنه يفسد العمل، وكذا عليه أن لا يحبط عمله بالَمَن على من اسدى إليه المعروف وقال تعالى (لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة: ٢٦٤).

وعليه أن يثبت من فعله بأنه برٌّ في موقعه لكيلا يضيع معروفة أو يؤدي إلى عكس النتيجة، روي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (مع التثبت تكون السلامة)<sup>(١)</sup> وتجد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فرح كثيراً بدعاء سفانة بنت حاتم الطائي له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عندما عفى عنها ثم أطلق جميع اسرى قبيلتها طيئ حين قالت (أصاب الله ببرك موقعه).

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين)  
(النساء: ٧٥)

**وجوب العمل لإنقاذ المجتمع من الظلم والجهل والتخلف والحرمان<sup>(١)</sup>**

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا).

في الآية استنكار واستهجان لحالة التقاعس والقعود عن أداء المسؤولية لدى البعض، وحث وتحريض واستنهاض المؤمنين للقتال في سبيل الله تعالى وتحرير المستضعفين رجالاً ونساءً وصبياناً الذين يتحكم فيهم المستكبرون والطغاة المتفرعون ويضغطون عليهم بمختلف الأساليب الوحشية ليركوا دينهم الإسلامي، وهم ليسوا في أنفسهم ضعفاء وإنما استضعفهم المستكبرون بأدوات الظلم والبطش التي يمتلكونها فسلبتهم القدرة على التغيير ولم يعودوا يمتلكون إلا الدعاء من ربهم ان ينقذهم من هؤلاء الظلمة، وقد عبّر عن ذلك بألفظ تعبير وانسبه للإخلاص فلم يقولوا يالقومنا أو ياللغرب أو وامعتصماه كما في بعض الحوادث، وإنما قالوا (رَبَّنَا) فهم يستغيثون بالله تعالى ويطلبون منه تعالى أن

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد العقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج يوم الاثنين ٢٣/شعبان/١٤٤٠ الموافق ٢٩/٤/٢٠١٩ بمناسبة قرب حلول موسم التبليغ في شهر رمضان

ينجدهم بإخوانهم المؤمنين (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا).  
 فيدعوهم الله تعالى إلى القتال في سبيله ويستغرب من تقاعس البعض  
 ويتساءل مستنكراً (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ) وأنتم تطلبون احدى الحسنين النصر أو  
 الشهادة وكلها في عين الله تعالى وفيها أجر عظيم، وقد أضاف إليها الجانب  
 العاطفي بأن هؤلاء اخوانكم في الدين أو نظراؤكم في الإنسانية فكيف تسمحون  
 ببقائهم تحت الظلم والقهر والتعذيب والحرمان وأنتم قادرون على تحريرهم  
 واستعادة كرامتهم.

وقد رفع الله تعالى من شأن هؤلاء العاملين الرساليين بأن جعلهم هم الولي  
 والنصير من قبله تبارك وتعالى لتحرير الناس الذين يستجيب بهم دعاء المؤمنين  
 وفي ذلك تحفيز عظيم للنهوض والتحرك حتى يفوزوا بهذه المنزلة العظيمة.

والآية الكريمة ككثير من الآيات غيرها تكشف عن كون الجهاد هو عمل  
 في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى وتحرير الانسان من الظلم والفساد والضلال وليس  
 لجني مصالح اقتصادية أو توسيع نفوذ وهيمنة أو تصفية حسابات سياسية ونحو  
 ذلك خلافاً للأمم المادية التي تدّعي التحضّر والتقدم فان حروبها جميعا للحصول  
 على مصالح مادية ضيقة او الحفاظ عليها.

ويستفاد من الآية أهمية وجود النخبة الرسالية الصالحة المؤهلة لقيادة الأمة  
 وتهب لنجدتها وتحمل هم الامة جميعا والتي تعزز اقتدارها بالقوى المعنوية  
 والمادية لتحقيق الأهداف المرجوة.

فالآية لا تختص بدوي المهاجرين من مكة إلى المدينة الذين بقوا في مكة



وعانوا من اضطهاد قريش بل تشمل كل بلد يعاني فيه المجتمع من الاستضعاف العقائدي او الأخلاقي او الاقتصادي او السياسي او الفكري وقد أطلق القرآن الكريم عنواناً عاماً لهذه البلدان بقوله تعالى (هَذِهِ الْقَرْيَةُ الظَّالِمِ أَهْلِهَا) (النساء: ٧٥). والآية وإن ذكرت القتال باعتباره الأسلوب المناسب يومئذ لردع مشركي مكة اللذين حشدوا الجيوش لمحاربة الإسلام وأهله، لكن الآية لا تختص بالقتال لان مورد النزول لا يخص الآية، وانما تشمل قبل ذلك أي أسلوب من أساليب التي يستطيع بها المؤمنون انقاذ المستضعفين من مشاكلهم وحرمانهم واضطهادهم وتخلفهم، وآخر الدواء الكي كما قيل في المثل وهو القتال والمواجهة المسلحة، والا فالمطلوب هو العمل لاستعادة كرامة الإنسان وحريته وحقوقه، من خلال الدعوة إلى الله تعالى وتطبيق النظام الإلهي بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥).

ويمكن استفادة هذا التعميم بتقريبين:

ما ذكرناه آنفا من عدم خصوصية لذكر القتال فنجد الآية عن الخصوصية ونعمم الخطاب الى كل أساليب الإنقاذ بحسب حالات الاستضعاف، وتدل على هذه المعنى روايات كثيرة إلى ان القتل يمكن ان يكون معنوياً ومادياً والحياة كذلك.

ان لفظ القتال لا يختص بالعمل المسلح فيمكن ان يشمل الخطاب والبيان والموقف والمقاطعة وحتى الصمت أحياناً لذا يصح ان يقال ان السيدة الزهراء

(عائشة) وابنتها العقيلة زينب (عائشة) قاتلتا ايما قتال اقض مضاجع الظلمة ولكنه لم يكن بالسيف وانما بالكلمة والموقف والرفض والمقاطعة.

والمستضعفون عرفتهم آية أخرى قال تعالى (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) (النساء: ٩٨-٩٩) فهم عاجزون فكرياً أو بدنياً أو اجتماعياً أو مالياً أو كبلتهم ظروف خارجة عن القدرة على التغيير، روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن زرارة قال (سألت أبا جعفر (عائشة) عن المستضعف فقال: هو الذي لا يستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر، ولا يهتدي بها إلى سبيل الايمان)<sup>(١)</sup> وروى الشيخ الصدوق بسنده عن عمر بن إسحاق قال: سئل أبو عبدالله (عائشة): ما حدُّ المستضعف الذي ذكره الله عز وجل، قال: من لا يُحسن سورة من سور القرآن، وقد خلقه الله عز وجل خَلْقَةً ما ينبغي له ان لا يحسن)<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء المستضعفون لهم حق على القادرين على إخراجهم من حالة الاستضعاف هذه بالأدوات المتاحة وأولها والشيء الرئيسي فيها إخراجهم من حالة الجهل والعمى الفكري الذي ضرب عليهم بطرق شتى كحرمانهم من أدوات المعرفة الصحيحة أو تقديس أفكار ورموز وسلوكيات موروثية وتجعل خطوط حمراء لا يجوز الاقتراب منها والتفكير فيها فضلاً عن مناقشتها وتقييمها. فكان واجباً على من يمتلك العلوم والثقافة الصحيحة أن يأخذ بأيديهم

(١) الكافي: ٢٩٧/٢ ح ٣

(٢) معاني الأخبار: ٢٠٢ ح ٧

ويصح أفكارهم ويصرهم ويعلمهم ما ينفعهم وفي ذلك ثواب عظيم. ففي الاحتجاج وتفسير العسكري (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من كان من شيعة عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعةنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي جبنه به جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيئ لأهل جميع العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيرا أو فتح عن قلبه من الجهل قفلا، أو أوضح له عن شبهة)<sup>(١)</sup>.

وفي نفس المصدر عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (علماء شيعةنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعةنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعةنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم)<sup>(٢)</sup>.

إن الله تعالى يريد من عباده الذين يمتلكون ما يساعدون به هؤلاء المستضعفين ان يعيدوا إليهم دينهم وكرامتهم وحرانيتهم وعزتهم، وما كان القيام الفاطمي ولا القيام الحسيني الا غضباً لله تعالى ولرسوله ولأداء هذه المسؤولية

(١) بحار الأنوار: ٢/٢ ح ٢

(٢) بحار الأنوار: ٥/٢ ح ٨

تجاه عباد الله تعالى كما ورد في زيارة الامام الحسين (عليه السلام) (وَبَدَلَ مُهَجَّتَهُ فَيْكَ لَيْسَتْ قَدْ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ)<sup>(١)</sup> وفي زيارة أخرى (وَبَدَلَ مُهَجَّتَهُ فَيْكَ حَتَّى اسْتَنْقَذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الغضب لله تعالى خصلة كريمة يحبها الله تعالى ويبغض من لا يتصف بها، في كتاب الكافي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (إن الله عز وجل بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقبلاها على أهلها)<sup>(٣)</sup> فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع فقال: أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الداعي؟ فقال: قد رأيته ولكن أمضي لما أمر به ربي، فقال: لا ولكن لا أحدث شيئا حتى أراجع ربي فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا رب إنني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع إليك، فقال: امض لما أمرتك به فإن ذا رجل لم يتمعر<sup>(٤)</sup> وجهه غيظا لي قط)<sup>(٥)</sup>.

وفي الكافي والتهديب عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى الى شعيب النبي (عليه السلام): اني معذب من قومك مائة الف، أربعين الفاً من شرارهم

(١) مفاتيح الجنان، زيارة الاربعين

(٢) مفاتيح الجنان، زيارة العيدين

(٣) حيث كانت الأمم السابقة تعاقب بعقوبات جماعية كما يحكي القرآن الكريم عن عدة حالات منها واعفيت الامة الخاتمة من ذلك.

(٤) لم يتمعر وجهه: أي لم يتغير الى الصفرة

(٥) الكافي: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ٨، (الغضب لله تعالى شرط صدق الايمان:

خطاب المرحلة ج ١٠ ص ٣٣٩)

وستين الفاً من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل اليه: داهنو اهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي<sup>(١)</sup>.

فنؤكدهنا من جديد الحاجة إلى استشعار هذه المسؤولية والقيام غضباً لله تعالى لإنقاذ عباد الله من الانحراف والفساد والانحلال والظلم والأخذ بأيديهم إلى حياة حرة كريمة عزيزة والخطاب موجه إلى الجميع ولكل منكم دوره سواء كان من الحوزة العلمية أو الجامعيين وعموم الواعين بل الناس جميعاً، ولا تستغرب هذا فإن أي مواطن يكون مسؤولاً عن اختيار الكفوء المخلص الشجاع في قول الحق الأمين على دين الناس وحقوقهم كالموقف الأخير في تصحيح قانون العنف الأسري الذي قُدِّم للبرلمان مؤخراً لإقراره وقد تضمن مواد تضاهاي النمط الغربي في السلوك وتسلب حق الآباء في تربية ابنائهم على السلوك الصحيح وضبط تصرفاتهم بحجة الحرية الشخصية ونحو ذلك والجميع – والاسلاميون منهم – بين موافق أو ساكت، ويكون التكليف أكد في الشرائح المستهدفة بالتخريب أكثر كالنساء والشباب.

وشهر رمضان المبارك الذي تقترب منا أيامه فرصة ثمينة للقيام بهذه المسؤولية ونفض غبار التقصير والتقاعس.

(١) الوسائل: ١٤٦/١٦ ح ١، (الغضب لله تعالى شرط صدق الايمان: خطاب المرحلة ج ١٠ ص ٣٣٩)

## (إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) (الكهف: ١٣) الفتوة زينة الانسان<sup>(١)</sup>

تعرف المعاجم اللغوية الفتوة بانها مرحلة عمرية للإنسان فالفتى هو الشاب الطري الحدث وتطلق على غير الانسان كالفتي من الابل، لكن المحققين في أصول المفردات يرون ان الشباب غير كافٍ وحده لإطلاق عنوان الفتوة مالم تجتمع فيه خصال الكمال لذا قيل (ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال)<sup>(٢)</sup> مع شيء من الطراوة والجدة لذا فإن الشاب اعم من الفتى.

وتوسع المعنى - وهو الأمر البالغ التام - من الأشياء الخارجية كالفتى من الانسان والحيوان إلى المعنوية، فاشتقت الفتوى إذ ان الإفتاء هو النظر التام البالغ الذي يبين المشكل من الأمور ويقوي الحق فيها لذا فالنظر اعم من الفتوى، ولا تختص بالأحكام الشرعية، قال تعالى (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (يوسف: ٤١) وقال تعالى (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ) (يوسف: ٤٦) وقال تعالى (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) (النمل: ٣٢).

وعلى هذا فليس كل شاب فتى ما لم يكن تاماً بالغاً ومدبراً عاقلاً، وقد

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٦/٥

(٢) التهذيب: ٣٢٧/١٤ بواسطة كتاب التحقيق في كلمات القرآن للمصطفوي: ٢٨/٩

توسّع هذا المعنى في القرآن الكريم وروايات المعصومين (عليه السلام) لكل من اتصف بهذه الخصال الكريمة وان لم يكن في عمر الشباب قال تعالى (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (الأنبياء: ٦٠) وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ) (الكهف: ٦٠)، ووصف النساء العفيفات - وإن كن مملوكات - بالفتيات للتبجيل والتوقير، قال تعالى (وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) (النور: ٣٣) وقال تعالى (فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) (النساء: ٢٥).

وبهذا اللحاظ أطلق القرآن الكريم على أصحاب الكهف وصف الفتية وهم لم يكونوا شباباً، ففي رواية الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال (لرجل عنده: ما الفتى عندكم؟ فقال له: الشاب، فقال: لا، الفتى المؤمن، إن أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسماهم الله عز وجل فتية بإيمانهم)<sup>(١)</sup>.

ورويت بطريق آخر عن سليمان بن جعفر الهمداني عنه (عليه السلام) قال فيها (أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا كهولاً فسماهم الله فتية بإيمانهم، يا سليمان من آمن بالله واتقى فهو الفتى)<sup>(٢)</sup>.

وقد أظهر أصحاب الكهف من الفتوة ما أبحر العقول واستحق الثناء من الله تبارك وتعالى فقد آمنوا بالله تعالى ووحدوه ونبذوا ما كان عليه قومهم من الشرك والوثنية وعبادة الطاغوت وهو امبراطور الرومان ولم ترعهم قوته وبطشه وقسوته ولم يخلدوا إلى الدنيا التي تزينت لهم وكانوا فيها مترفين ومن عليه القوم، لكنهم

(١) الكافي: ٣٩٥/٨ ح ٥٩٥

(٢) تفسير العياشي: ٣٢/٢ ح ١١، تفسير البرهان: ١١٨/٦

آثروا ما عند الله تعالى ووقفوا بشجاعة في وجه الطاغوت وعرفوه بحقيقته التافهة واعانهم الله تعالى بالتأييد والثبات وقوة القلب ورسوخ الايمان (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) (الكهف: ١٣-١٤) وهؤلاء الفتية نعم الأسوة لنا، ولم يكونوا من الأنبياء ولا من المعصومين حتى يقال اننا لا نستطيع بلوغ درجتهم وتكرار نسختهم.

وقد اعطى المعصومون (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قيمة كبيرة للفتوة، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (ما تزيّن الانسان بزينةٍ أجمل من الفتوة)<sup>(١)</sup> ويّنوا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) عدة خصال كريمة يتضمنها معنى الفتوة كبذل المعروف للناس وكف الأذى عنهم واجتناب القبائح ونحو ذلك فعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (بعد المرء عن الدينّة فتوة)<sup>(٢)</sup> وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (الفتوة نائل - أي عطاء - مبذول، وأذى مكفوف)<sup>(٣)</sup> وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (نظام الفتوة - أي تمامها وكمالها - احتمال عشرات الاخوان و حسن تعهد الجيران)<sup>(٤)</sup>.

وقد تجلّت الفتوة بأكمل خصالها في رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، روى الشيخ الصدوق بسنده عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن أبيه عن جده (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قال (ان اعرابياً أتى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فخرج اليه في ثوب مزين ، فقال: يا

(١) غرر الحكم/٩٦٥٩

(٢) غرر الحكم: ٤٤٢٥

(٣) غرر الحكم: ٢١٧٠

(٤) غرر الحكم: ٩٩٩٩



محمد لقد خرجت اليّ كأنك فتى، فقال ﷺ: نعم يا اعرابي أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى، فقال: يا محمد أما الفتى فنعم، وكيف ابن الفتى وأخو الفتى، فقال: اما سمعت الله عز وجل يقول (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) فانا ابن إبراهيم، واما أخو الفتى فان منادياً نادى في السماء يوم أحد: لا سيف الا ذوالفقار ولا فتى الا علي، فعلي أخي وأنا أخوه<sup>(١)</sup>.

وصحّح الأئمة أيضاً المعاني المنحرفة لهذه الصفة النبيلة حيث اطلقت على المكر والخداع و(البلطجة) في مصطلح اليوم، روي ان أصحاب الامام الصادق (عليه السلام) تذاكروا عنده الفتوة فقال (عليه السلام): وما الفتوة؟ لعلكم تظنون أنها بالفسوق والفجور! كلا، إنما الفتوة طعام موضوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، واذى مكفوف، واما تلك فشطارة و فسق<sup>(٢)</sup> أي دهاء وخبث.

ولعله (عليه السلام) يشير إلى الظاهرة الاجتماعية التي انتشرت يومئذٍ بمن يسمّونهم (الشطار والعيارين) وكانوا يؤذون الناس ويستهزئون بهم ويسلبونهم أموالهم وممتلكاتهم بعنوان الشطارة وهكذا في كل زمان يوجد من يلبس الأفعال والمظاهر السيئة عناوين جميلة لتسويقها داخل المجتمع.

وحكى في مجمع البحرين أن هذا الكلام منه (عليه السلام) (رد على ما كان يزعمه سفيان الثوري وغيره من فقهاء العامة من أن التوبة بعد التفتي والصبوة ابلغ

(١) معاني الاخبار: ١١٩

(٢) أمالي الصدوق: ٤٤٣، المجلس ٨٢، الحديث ٣، أمالي الطوسي، معاني الأخبار: ١١٩، بحار الأنوار: ٣٠٠/٧٩

وأحسن في باب التزهد، من الزهادة والكف عن المعصية رأساً في بدء الأمر<sup>(١)</sup> وهذه من شطحاتهم المنكرة.

وقد التصقت الفتوة بالشباب لأن عندهم الأهلية للتحلي بمعانيها الكريمة فأنهم يتصفون بطراوة الفطرة وطهارة النفس وبالشجاعة والقوة والاقدام والتضحية والنخوة والحيوية والمسارة إلى الخير، حيث يقوم شبابنا اليوم بخدمات إنسانية وفعاليات ميدانية وتعبوية تجسد معنى الفتوة .

فلاحياء هذه الصفة الكريمة وبيان معانيها السامية وترسيخها في الفرد والمجتمع وتنقيتها من سوء الاستعمال وتشجيع الفعاليات الميدانية والتعبوية التي يطلق عليها احياناً عنوان (الكشافة) ولبيان سيرة فتیان الإسلام ندعو الى تعيين يوم للفتوة، وقد اخترت له يوم الخامس عشر من شوال لأنه ذكرى معركة أحد وإعلان السماء أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو فتى الإسلام بلا منازع يوم نادى منادي السماء (لا فتى الا علي).

فأدعوكم إلى إقامة هذه الفعالية وضعوا برامج لاكتساب المجتمع خصوصاً الشباب هذه الخصلة الكريمة لنساهم في ارتقاء الأمة وازدهار البلد، وليقم العلماء والكتّاب والمفكرّون بالتعريف بتفاصيلها والله معكم وهو ناصركم إن شاء الله.

(١) مجمع البحرين: المجلد الأول: ٢٠١ مادة فتا

**لئن بسطت إلي يدي لآتقتني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني  
أخاف الله رب العالمين (المائدة: ٢٨)**

**من مبادئ الإسلام في التعايش السلمي<sup>(١)</sup>**

أدب من آداب القرآن واخلاقه ونموذج راقى للسلام والتعايش الذي تنشده البشرية اليوم وكل يوم ذكره الله تعالى ضمن قصة ابني آدم هابيل وقايل، قال الله تبارك وتعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧) والنبأ: الخبر ذو الفائدة العظيمة الذي يفيد العلم، وهو هنا يتعلق بواقعة حدثت لابني آدم في بداية وجود البشر على الأرض وفيها الكثير من المواعظ والعبر، والقربان ما يتقرب به إلى الله تعالى، ولم تذكر الآيات الكريمة كيفية حصول العلم بالقبول وعدمه، لكن الروايات دلت على ان علامة القبول تن تأكله النار.

وتفيد صحيحة ابي حمزة في الكافي عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ان آدم أمر قاييل وهابيل ان يقربا قرباناً وكان هابيل صاحب غنم وكان قاييل صاحب زرع فقرّب هابيل كبشاً وقرب قاييل من زرعه ما لم يُتَقَّ، وكان كبش هابيل من أفضل غنمه وكان زرع قاييل غير نقي فتُقَبِّلُ قربان هابيل ولم يتقبل قربان قاييل وكان

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٦/٥

القربان اذا قُبِلَ تأكله النار<sup>(١)</sup> .

فالأمر بتقديم القربان كان من النبي آدم (عليه السلام) كجزء من تربيتهما وتعويدهما على الطاعة والأعمال الصالحة، أو لمعرفة المستحق لوراثة ابئهما معنوياً وفي سؤال وجَّه إلى الامام الصادق (عليه السلام) (فمِم قتل قابيل هايبيل؟ فقال: في الوصية)<sup>(٢)</sup> .

ويظهر من بعض الآيات الشريفة ان هذه التي كانت علامة القبول هي ايضا علامة استحقاق تحمل الرسالة الإلهية، قال تعالى (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ اٰتِنَا اَلَّا نُوْمِنَ لِرَسُوْلٍ حَتّٰى يٰتِنَا بِقُرْبٰنٍ تَاْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنٰتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ) (آل عمران: ١٨٣).

فالآية الكريمة تشير الى ان السر في القبول وعدمه هو اخلاص النية لله تبارك وتعالى وتنقية العمل وإحسانه المعبر عنه بالتقوى فذكرت الآية معياراً عاماً للقبول (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧) وذكره هايبيل بأدب ولم يقل لأخيه انك لست من المتقين، وبدلاً من ان يذعن قابيل للحقيقة، ويسعى لإصلاح حاله ويعالج سبب عدم القبول ويعود إلى طاعة ربّه فإنه حسد أخاه حسداً شديداً وأصدر قراره بقتل أخيه لكن أخاه الصالح هايبيل المتأدّب بأداب الله تعالى قابل أخاه بموقف إنساني نبيل كان كافياً لردع أخيه عن فكرته السيئة فرفض ان يتصرف نفس التصرف ولا يقدم على قتل أخيه وان كان أخوه عازماً على قتله، لأنه لا يفعل الا ما فيه رضا الله تبارك وتعالى ولا يستفزّه خطأ الآخر فيدفعه

(١) الكافي: ١١٣/٨ ح ٩٢

(٢) تفسير العياشي: ٣١٢ ح ٨٣

لارتكاب خطأ مماثل (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ  
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: ٨).

في بعض قصص الأنبياء انه اتى له بأسرى في نهاية معركة انتصر فيها فقال  
بعض أصحابه اقتلهم فامتنع النبي المنتصر ف قيل له انهم يقتلون أسرانا فقابلهم  
بالمثل، قال: انهم ليسوا قدوة لنا، وقد سجّل القران الكريم زجره عن مثل هذا  
السلوك بقوله إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴿ [النساء : ١٤٠]

وفي سيرة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه أخبر ان عبد الرحمن بن ملجم سيقتله  
فقيل له: لم لا تقتله قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): لا يجوز القصاص قبل الجناية<sup>(١)</sup>.

وهذا المبدأ شاهد على سمو القانون الاسلامي وتفوقه على القوانين الوضعية  
التي تجيز ما يسمى بالضربة الاستباقية أي ضرب الخصم اذا علم أو ظنّ بانه  
يستهدفه او لردعه عن التفكير بذلك.

ويجب الالتفات الى ان هابيل انما امتنع عن خصوص مد يده لقتل أخيه  
ابتداءً ولمجرد الضربة الاستباقية اما بسط يده في الدفاع عن نفسه فهذا حق  
مشروع له بل يجب عليه ان لا يمكن خصمه من نفسه، لذلك فان قتل هابيل كان  
اغتيالاً، في تفسير العياشي بسنده عن ابي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (لما قرب ابن آدم  
القربان فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر، قال: تُقبّل من هابيل ولم يُتقبّل من  
قابيل، دخله من ذلك حسد شديد وبغى على هابيل، ولم يزل يرصده ويتبع خلوته

حتى ظفر به متنحياً من آدم فوثب عليه وقتله<sup>(١)</sup>.

واستعمال القران الكريم لمفردة التطويح، يكشف عن ان هذا الفعل الشنيع ما كان مستساغاً في أول الأمر لأنه خلاف الفطرة وحكم العقل بقبح الظلم والعدوان، ولازالت البشرية في أول تكونها ولم ينتشر الفساد في الأرض فاستمر الشيطان في تزوين القتل واستثارة الحسد في نفسه الأمانة بالسوء حتى انقاد لهواه مما يبين خطورة رذيلة الحسد وأمثاله من الدوافع الذاتية السيئة على سلوك الفرد بغض النظر عن تأثير البيئة الاجتماعية إذ لم يتشكل يومئذ مجتمع بعد، ونقد قابيل ما تأمره به نفسه (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (المائدة: ٣٠).

ولا يخفى ما في كلمة (فَطَوَّعَتْ) من دلالة على المحاولات المتكررة والضاغطة لدفعه إلى تنفيذ الجريمة ولو أغلق على نفسه باب التفكير فيها لما وصل إلى هذه النتيجة، وهذا هو الحال في فعل المعاصي خصوصاً الكبائر فإنه لا يفعلها بمجرد خطورها على ذهنه ولكن استجابته لعملية الدعوة المتكررة والتزوين تجعله يستسلم لفعلها ففي رواية الكافي المتقدمة (ان ابليس أتاه فقال له: يا قابيل قد تُقْبَلُ قربان هابيل ولم يُتَقَبَّلْ قربانك وإنك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك ويقولون: نحن أبناء الذي تُقْبَلُ قربانه، فاقتله كي لا يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله).

وهذه اللطيفة القرآنية نور آخر نقتبسه من الآية الكريمة حاصله: ان الايمان

(١) تفسير العياشي: ٣٠٦/١ ح ٧٧

ليس مجرد عقيدة نظرية وإنما هو سلوك والتزام بما يريد الله تعالى وتحكيم شريعته في الحياة، حيث كشفت الاخبار أن إيمان قابيل كان نظرياً فقط.

(فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لأنه خسر نفسه حيث أوردتها النار بهذا الأثم العظيم وتحمل أثم أخيه<sup>(١)</sup>، وخسر أخاه الصالح المحب له الشفيق عليه، وخسر دنياه لأن حياته أصبحت منكدة كئيبة (فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (المائدة: ٣١)، وخسر كرامته وسمعته الاجتماعية.

والاية الكريمة تشخص مشكلة خطيرة وبلاءً عظيماً يتعرض له الصالحون والمصلحون عند ما يناصرهم العداة ويكيد لهم من لا يرونه عدواً لهم ويتورعون عن القيام بفعل يشبه ما يريد فعله الخصوم ونتيجة ذلك أن يتلقى العدوان بنفس صابرة مطمئنة ويدافع عن نفسه بما يتيسر له.

وفي الحديث الشريف عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (لا ينفك المؤمن من خصال اربع جارٍ يؤذيه وشيطان يغويه ومنافق يقفو أثره ومؤمن يحسده، ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اما انه أشدهم عليه، قلت: كيف ذاك؟ قال: انه يقول فيه القول فيصدق عليه<sup>(٢)</sup>.

فالخصم إذن مؤمن لا تستطيع ان تؤذيه او تعتدي عليه لكنه يحسد ويبغي ويفتري ويشوه الصورة ويسقط السمعة والكرامة ولا تستطيع أن تقابله بالمثل.

وقد ابتلي أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بهذا البلاء فقد بغى عليه وقاتله مسلمون

(١) عن الامام الباقر (عليه السلام) قال (من قتل مؤمناً متعمداً أثبت الله عزوجل على قاتله جميع الذنوب ويرى

المقتول منها) (بحار الأنوار: ٣٧٧/١٠١ باب ٣٦ ح ٤٢)

(٢) الخصال: أبواب الأربعة، ح ٧٠، ص ١٧٠

مقربون إليه يحرص كل الحرص على اكرامهم، وكان (عليه السلام) يمنع أصحابه من أن يبدأوا خصومهم بالقتال، وإنما يقاتلون دفاعاً عن انفسهم.

ومن خطاب الامام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء لأهل الكوفة (سلتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم - أي اوقدتم - علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم أولياء لأعدائكم على اوليائكم)<sup>(١)</sup> فهؤلاء الرجال والسلاح الذي بأيديهم هم لنا ويجب ان يكونوا من جند الإسلام لأنهم مسلمون بحسب الظاهر، لذا كان (عليه السلام) يمنع أصحابه من ان يبدأوهم بقتال ولم يقاتلوا الا دفاعاً عن انفسهم.

ومن قصيدة دعبل الخزاعي الشهيرة:

إذا وُتروا مدّوا إلى واطريهم أكفّاً عن الأوتار منقبضات

(١) الملهوف: ١٥٥، الاحتجاج: ٩٧/٢، تحف العقول: ٢٤٠



**(وعلامات وبالنجم هم يهتدون) (النحل: ١٦)****أهل البيت (عليه السلام) نجوم أهل الأرض (١)**

فسرت روايات كثيرة النجوم الواردة في عدة آيات كريمة بأهل البيت (عليه السلام) لعدة وجوه مشتركة سنشير إليها ان شاء الله تعالى، وقد استعمل القرآن الكريم التشبيه لإيصال حقائق كثيرة تعرف فضل أهل البيت (عليه السلام) ووظائفهم ودورهم في حياة البشرية فكانوا (عليه السلام) تأويل هذه الآيات الكريمة وهذا شأن القرآن الكريم في كثير من الحقائق التي لم يبينها في التنزيل لمصلحة ما خصوصاً ما يتعلق بأهل البيت (عليه السلام) لكن الأئمة (عليه السلام) أفادوا تأويلها (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) (الحشر: ٢١).

وقد بين القرآن الكريم اهتمامه بالنجوم وما يرتبط بها من وظائف وحركة متقنة ومواقع دقيقة، قال تعالى (فلأ أقسم بمواقع النجوم \* وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم) (الواقعة: ٧٥-٧٦) ونشير هنا استطراداً إلى نكتة القسم بالمواقع دون نفس النجوم ولعلها لأمرين على الأقل:

١- بيان دقة توزيع هذه النجوم في مواقعها والانسجام التام في حركتها

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله) في مجلس بحثه بمناسبة افتتاح العام الدراسي بعد تعطيل شهر رمضان المبارك يوم الأحد ٥ / شوال / ١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٦/٩.

فتكون من آيات الخالق، ولعلمنا بهذه الدقة والانسجام فإننا نبني على قوانينها الكونية المنضبطة ونستطيع معرفة أمور وحوادث قبل وقوعها بسنين، ولو كانت مبعثرة وعشوائية لما أمكن الاعتماد عليها قال تعالى (وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلاً) (الإسراء: ١٢) فهذه الدقة في المواقع والحركة جُعِلَتْ في كل شيء ليتعلمها الانسان ويستفيد منها في حياته.

٢- لتصحيح عقائد الناس خصوصاً وأنهم قريبو عهدٍ بالجاهلية حيث كانوا يعتقدون بأن للنجوم أرواحاً وانها تتحرك بإرادتها وبقي هذا الاعتقاد إلى وقت قريب<sup>(١)</sup> وكانوا أيضاً يعتقدون بتأثيرها المستقل وجلبها للخير والشر ويحلفون بها فعدل الى الحلف بمواقعها ليعرفوا أنها مخلوقات مدبرة ومسيرة من قبل الخالق العظيم.

وهذا المعنى وارد في الروايات ففي حديث عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (إن مواقع النجوم رجومها للشياطين، فكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه (فلا أقسم بها))<sup>(٢)</sup> وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (كان أهل الجاهلية يحلفون بها فقال الله عزوجل: فلا أقسم...).

والمستفاد من استقراء الآيات الكريمة: ان للنجوم عدة وظائف وهي جارية بعدها المعنوي في أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

١ - الهداية، قال تعالى (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (النحل: ١٦) وقال

(١) حيث استطاع يوهانس كبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠) وصف حركتها بمعادلة رياضية ثم علل إسحاق نيوتن

(١٦٤٢ - ١٧٢٧) حركتها بمحصلة قوى الاستمرارية والجاذبية.

(٢) مجمع البيان: ٢٨٧/٩

تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأنعام: ٩٧) حيث كان الناس يتخذونها دليلاً لمعرفة الطرق في اسفارهم خصوصاً في البحار والمحيطات حيث لا توجد أي علامة غيرها قبل اختراع الآلات واستفادوا منها لتحديد الاتجاهات كالكعبة وبعض الأوقات فمن دون علامات في البر<sup>(١)</sup>، ونجوم في الجو لا يهتدون الى الطريق الموصل للغرض. وكان الجاهليون يستهدون بها لمعرفة حظوظهم ومستقبلهم ويتفاءلون بها ولذا كانوا يطلبون الخير والبركة منها، ولعل هذا يفسر الحركة التمويهية التي قام بها إبراهيم في قوله تعالى (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ \* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ \* فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) (الصفات: ٨٨-٩٠) فكأنه (ﷺ) طلب منهم أن يكتشفوا من النجوم التي يعتقدون بها ما يشير إلى سقمه، وما كان سقيماً في جسده ولكنه كان مرتاداً طالباً للحقيقة وهي معرفة الله تبارك وتعالى.

وهذه الوظيفة - وهي الهداية - هي من أهم وظائف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد اختارهم الله تعالى ليكونوا هداة إليه وادلاء على طاعته يأخذون بأيدي الناس من ظلمات الجهل والتعصب والضلال واتباع الشهوات والفتن إلى نور الهداية والسعادة والفلاح، قال تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء: ٧٣) فهم يهدون بأمر الله تعالى كالنجوم التي وصفها الله تعالى بأنها (مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ)

(١) كاختلاف التضاريس الأرضية من جبال وسهول وأنهار لذا كانوا يتيهون في الصحراء لعدم وجود

(الأعراف: ٥٤)، ورد في تفسير قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا) (الأنعام: ٩٧) عن علي ابن إبراهيم ان (النجوم: آل محمد عليهم السلام)<sup>(١)</sup> ووردت عدة روايات بهذا المعنى في تفسير قول الله عز وجل: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) منها عن الامام الصادق عليه السلام قال (رسول الله صلى الله عليه وآله النجم، والعلامات هم الأئمة عليهم السلام بهم يهتدون)<sup>(٢)</sup>.

وهم عليهم السلام أولى بالهداية لأنهم آيات الله العظمى التي تمشي على الأرض بين الناس اما النجوم فهي بعيدة عنهم ولا يعرفون تفاصيلها. فمن سار على هداهم نجا ومن تنكب عنهم هلك: وقد اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله قوله (الا مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)<sup>(٣)</sup> وعن أمير المؤمنين عليه السلام (وخلف فينا راية الحق، من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها زهق، ومن لزمها لحق)<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما أكدته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها (أما والله لو تركوا الحق على أهلها واتبعوا عترة نبيه صلى الله عليه وآله) لما اختلف في الله أثنان ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين عليه السلام ولكن قدموا من آخره الله وأخروا من قدمه الله)<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القمي: ٢١١/١

(٢) الكافي: ج ١ / ١٦٠ ح ١ وتجد مجموعة الروايات في البرهان: ٣٢٨/٥

(٣) فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل: ٧٨٥/٢

(٤) نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج ١ / ص ١٩٣

(٥) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: ٤ / ٣٦٢ عن عوالم المعارف: ٢٢٨/١١

ومن رسالة الامام المهدي (عج) إلى شيعته (او ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون اليها، واعلاماً تهتدون بها من لدن آدم كلما غاب علم بدا علم، واذا أفل نجم طلع نجم)<sup>(١)</sup>.

٢- الزينة قال تعالى (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (فصلت: ١٢) (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) (الصفات: ٦) والزينة ما يحسن الانسان ويجمل هيئته الظاهرية (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (الأعراف: ٣١) والزينة تشمل الأمور الظاهرية والباطنية روى جابر الانصاري عن رسول الله (ﷺ) قوله (زينوا مجالسكم بذكر علي بن أبي طالب)<sup>(٢)</sup> عن رسول الله (ﷺ) قال (كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر الف عام، فلما خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزأين ركباً في آدم فجزء أنا وجزء علي بن أبي طالب، فنور الحق معنا نازل حيثما نزلنا)<sup>(٣)</sup>.

روى الكليني (قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عبادته ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عبادته، بالرفقة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله)<sup>(٤)</sup>.

(١) الاحتجاج: ٢٧٢/٢.

(٢) بشارة الإسلام، أبو جعفر الطبري: ١٠٤/٢.

(٣) تذكرة خواص الأمة: ٤٦.

(٤) الكافي: ١ / ١٤٤.

٣ - الحماية والأمان: قال تعالى (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ \* وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ) (الحجر: ١٦-١٧) روي عن النبي (ﷺ) قوله (النجوم أمان لأهل السماء، اذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)<sup>(١)</sup>.

وقد اكتشف العلم الحديث الكثير من هذه الوظائف للنجوم من حيث حفظ التوازن في الكون وصدّ الشهب الثاقبة ومعرفة موقع واتجاه الحركة في الكون ونحو ذلك.

واخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ﷺ) النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق - فلو لم يستهدوا بالنجوم فأنهم يتيهون في البحار ويغرقون - وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف فاذا خالفها قبيله من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس)<sup>(٢)</sup>.

وقد روي عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله (يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد) وروي البرقي في المحاسن (فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فان فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)<sup>(٣)</sup>.

عن معاوية بن وهب قال (سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله

(١) امالي ابن الشيخ: ٢٤١.

(٢) المستدرک علی الصحيحين: ١٦٢/٣

(٣) بحار الأنوار: ٩٢/٢

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) (ان الله عند كل بدعة تكون بعدي ويُكاد بها الايمان ولياً من أهل بيتي موكلأً به يذب عنه، ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعف فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله) (١).

ونستشر هذا الأمان من خلال ولايتنا لأهل البيت (عليهم السلام) ووجود امام معصوم يتابع شؤوننا (نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إننا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء) (٢).

ويمكن أن نأخذ تصوراً عن هذا الدور المهم للأئمة المعصومين (عليهم السلام) من خلال التجربة والمعاشية للدور المبارك الذي تؤديه المرجعية الرشيدة في حفظ كيان الأمة وحمايتها وتحصينها من الانحراف والضلال والمؤامرات الخبيثة التي تحاك لها، وخذ العراق مثلاً فان الفتن التي تعرض لها والمكائد الخبيثة والمشاريع الشيطانية التي أغرقته في بحور من الدماء والفساد والشبهات والصراعات الا أنه بقي صامداً محافظاً على مبادئه بدرجة كبيرة بينما تنهار الدول والحكومات بأقل

(١) الكافي: ٥٤/١

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ٣٢٣

من ذلك بكثير.

ومن مجموع هذه الوظائف العظيمة للنجوم فانه لا يمكن الاستغناء عن وجودها لذا فان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لا يمكن التخلف والاعراض عنهم او اتباع غيرهم بدلاً عنهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله)) من هذه الأمة أحد ولا يُسَوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً<sup>(١)</sup>. لكن بعض المنحرفين عن أهل البيت (عليهم السلام) وضعوا حديثاً لخلط الأمور وتضيع الحقيقة على الناس وافتروا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وهم يعلمون باليقين أن كثيراً من هؤلاء الأصحاب ارتكبوا الجرائم والموبقات الكبيرة وبدلوا دين الله تعالى وحرفوا أحكامه وقتلوا أولياء الله تعالى فكيف يُهتدى بهم.

نعم وجدت في بعض مصادرنا ان الحديث مروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكنه فسّر الاصحاب بأهل بيته (عليهم السلام)، فقد روى الشيخ الصدوق (رحمته الله) بسند معتبر عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما وجدت في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها اخذ اهتدي، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة. فقيل: يا رسول

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج ١ - ص ٣٠



الله ومن أصحابك؟ قال: أهل بيتي<sup>(١)</sup>.

نسأل الله تعالى أن يهدينا بنورهم ويزيننا بولايتهم ويحصننا بأمانهم في الدنيا والآخرة.

## الفهرس

- القبس القرآني ١١٦ (فَوَرَّبُّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الحجر: ٩٢-٩٣) تنمية الشعور بالمسؤولية ..... ٥
- القبس القرآني ١١٧ (وَقَفَّوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) صفات المسؤول ..... ١٤
- القبس القرآني ١١٨ [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] ..... ٣١
- القبس القرآني ١١٩ [إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] الخارجون عن طاعة قادة الإسلام (الفرقة الواقفة) انموذجاً ..... ٤٠
- القبس القرآني ١٢٠ (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) الامام الرضا رائد حوار الحضارات ..... ٤٦
- القبس القرآني ١٢١ (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) حي على خير العمل والدعوة الى ولاية أهل البيت عليهم السلام ..... ٥٣
- القبس القرآني ١٢٢ (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) ..... ٦١
- القبس القرآني ١٢٣ [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] (الذاريات: ٥٠) ..... ٧٠
- القبس القرآني ١٢٤ (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) (الأحقاف: ٣٥) ..... ٧٧
- القبس القرآني ١٢٥ (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِ) النبي ﷺ مكفور النعمة ..... ٨١
- القبس القرآني ١٢٦ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ) (الممتحنة: ١) درس نبوي في المصالحة المجتمعية ..... ٨٩

- القبس القرآني ١٢٧ (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (الأنفال: ٦٠) إعداد القوة  
في السيرة النبوية المباركة ..... ٩٣
- اعداد القوة في السيرة النبوية المباركة: ..... ٩٨
- القبس القرآني ١٢٨ (لَنفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) معاني القرآن لا  
تنتهي ..... ١٠١
- القبس القرآني ١٢٩ (وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) العفة رأس كل خير ١١٠  
تحصل ملكة العفاف بعلاجين: نظري وعملي: ..... ١١٤
- القبس القرآني ١٣٠ [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ  
فِي الْأَرْضِ] الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين ..... ١١٨
- القبس القرآني ١٣١ (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ)  
(مريم: ٥٩) ..... ١٢٨
- القبس القرآني ١٣٢ (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ)  
إنبعث الحياة المعنوية ..... ١٣٦
- القبس القرآني ١٣٣ (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ..... ١٤٣
- القبس القرآني ١٣٤ (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) ..... ١٥٧
- القبس القرآني ١٣٥ (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ  
مِنْ قَرِيبٍ) (النساء: ١٧) بادر الى التوبة فأنها تصعب بالتأخير التورط بأموال الناس  
نموذجاً ..... ١٦٣
- القبس القرآني ١٣٦ سنة الاستدراج ..... ١٧٠

- القبس القرآني ١٣٧ (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ) (البقرة: ١٧٧) افهم حقائق الأمور جيداً: البر والعلم والعبادة أمثلة ..... ١٧٨
- القبس القرآني ١٣٨ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: ٢٦) ..... ١٨٣
- القبس القرآني ١٣٩ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران: ١٩) ..... ١٩٢
- القبس القرآني ١٤٠ (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) (القلم: ٩) لا مساومة على المبادئ الحقة ..... ٢٠١
- القبس القرآني ١٤١ (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (ص: ٢٤) ضع الله تعالى نصب عينيك عندما تكون في خلاف مع الآخر ..... ٢٠٥
- القبس القرآني ١٤٢ (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد: ٤) المعية الإلهية ... الثمرات والمراتب ..... ٢٠٩
- القبس القرآني ١٤٣ (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (البقرة: ١٥٢) ..... ٢١٦
- القبس القرآني ١٤٤ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: ١٤٣) الوسطية في الإسلام لا في غيره ..... ٢٢٢
- استدلال قرآني على وجود الامام المهدي (عج) وحياته ..... ٢٢٧
- القبس القرآني ١٤٥ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: ١١) التغيير يبدأ من داخل الانسان والمجتمع ..... ٢٢٩
- القبس القرآني ١٤٦ (وَإِذَا يَنْزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت: ٣٦) الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الجن والانس ..... ٢٣٣

- القبس القرآني ١٤٧ (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل: ٩٨)..... ٢٤١
- القبس القرآني ١٤٨ (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) (محمد: ١١)..... ٢٤٣
- القبس القرآني ١٤٩ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ) (المدثر: ١-٢)..... ٢٤٨
- القبس القرآني ١٥٠ (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (القيامة: ٢) محكمة الضمير دليل على وجود محكمة القيامة..... ٢٥٥
- القبس القرآني ١٥١ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب: ٤١) أهم قضاياها: أن نستحضر الله تعالى في وجداننا..... ٢٦٠
- القبس القرآني ١٥٢ (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) (الإسراء: ١١) في العجلة الندامة الا في فعل الخير..... ٢٦٤
- دوافع العجلة:..... ٢٦٧
- الاستعجال محمود ومذموم:..... ٢٦٧
- القبس القرآني ١٥٣ (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (الشورى: ٣٠)..... ٢٧٢
- القبس القرآني ١٥٤ (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: ٢٥٦) الرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف..... ٢٨١
- القبس القرآني ١٥٥ (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ) (الجمعة: ٦) الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان..... ٢٨٧

- القبس القرآني ١٥٦ (اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ) (المؤمنون:٩٦)..... ٢٩٦
- القبس القرآني ١٥٧ (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (الزمر:٥٤) السيدة الزهراء (عليها السلام) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى والانقياد له ..... ٣٠١
- القبس القرآني ١٥٨ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ) امرأة فرعون أسوة حسنة للرجال والنساء ..... ٣١٠
- القبس القرآني ١٥٩ (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (الإسراء:٧٩) صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل المقامات الرفيعة ..... ٣١٥
- القبس القرآني ١٦٠ (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (آل عمران:١٩١) ذكر الله تعالى عند الطاعة والمعصية ..... ٣٢٣
- القبس القرآني ١٦١ (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ) (النساء:٧٥) وجوب العمل لإنقاذ المجتمع من الظلم والجهل والتخلف والحرمان ..... ٣٢٧
- القبس القرآني ١٦٢ (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) (الكهف:١٣) الفتوة زينة الانسان. ٣٣٤
- القبس القرآني ١٦٣ (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (المائدة:٢٨) من مبادئ الإسلام في التعايش السلمي ..... ٣٣٩

القبس القرآني ١٦٤ (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (النحل:١٦) أهل البيت

٣٤٥ ..... نجوم أهل الأرض (عليه السلام)

٣٥٤ ..... الفهرس